النصُّ المَبْتور

تفسيرُ القرآن وتلفيق التاريخ الرسمي للإسلام

(نظرية في إعادة ترتيب الأديان والعصور-
الكتاب الثاني)

عنـوان الكتـاب : النصُّ المَبْتور
تفسيرُ القرآن وتلفيق التاريخ الرسمي للإسلام
(نظرية في إعادة ترتيب الأديان والعصور - الكتاب الثاني)

المؤلـــف : فاضل الربيعي

الناشـــر : دار الفرقد

الطبعـة الأولى : 2019م

التنفيذ والإشراف دار الفرقد

الإخـراج الفـني : وفاء الساطي

تصـميم الغـلاف : 255 STUDIO www.255studio.co

دار الفرقد

للنشر والتوزيع

دمشق - سورية

ص . ب : 34312

هاتف : 00963-11- 6618303 - 6660915

فاكس : 00963-11- 6660915

Email: info@daralfarqad.com

alfarqad70@gmail.com

www.daralfarqad.com

فاضل الربيعي

النصُّ المَبْتور

تفسيرُ القرآن وتلفيق التاريخ الرسمي للإسلام

(نظرية في إعادة ترتيب الأديان والعصور- الكتاب الثاني)

المحتويات

ملاحظات عامة

هذا هو الكتاب الثاني من مؤلفي " نظرية في إعادة ترتيب الأديان والعصور"، وهو مكرّس لأسبابٍ محض تقنية فرضتها عليّ طريقة التأليف وحسب، لمعاينة وفحص التاريخ الرسمي للإسلام كما أنشأه الفقهاء ومفسرّو القرآن وكتاب التاريخ التقليدي. وبطبيعة الحال، فإن نقد هذا "التاريخ" لا يعني بأي حالٍ من الأحوال نقداً للنصّ الديني، أو التقليل من أهميته ومكانته الروحية، فهذان أمران مختلفان. إن نقد "التاريخ" لا يعني بأي صورةٍ من الصور " نقداً للدين" كما قد يتوهّم بعض القرّاء، ومن أرغمنا على تصوّر الروايات التاريخية بوصفها نصوصاً مقدّسة هم الفقهاء ومفسرّو القرآن وكتّاب التاريخ التقليدي، هؤلاء هم الذين كرّسوا فكرة زائفة مفادها، أن تاريخ الإسلام الرسمي " مقدّسٌ" ولا يجوز المساس به. وهذا أمر غير مقبول، لأن كل " تاريخ" هو بطبيعته قابل للمراجعة والفحص. كما لا يعني هذا النقد، الاشتباك بصورة مباشرة وصاخبة مع التشريعات الدينية. قصارى ما يهتمّ به هذا الجزء من العمل، هو تقديم رؤية نقدية للطريقة التي جرى فيها " إنشاء التاريخ" على أيدي مجموعة متعاقبة من مفسّري القرآن، خلقت وأسّست لسردية مُهيمنة على العقل العربي/ الإسلامي. وبهذا

المعنى، فهو مساهمة نقديّة في الاشتباك العلني مع السردية السائدة بوصفها تاريخاً رسمياً مزيفاً أو مُتلاعباً به. ولابدَّ من الاعتراف في هذا الصدد، بالنجاحات الهائلة والبرّاقة التي حققتها هذه الهيمنة على السرد التاريخي منذ بدايات العصر العباسي الأول، حين تمكن الطبري، وهو من مواليد طبرستان [1] الإيرانية - ومصادره في تأسيس أرضية هذه السردية هي بالكامل، وكما كشف عنها أكبر المستشرقين الألمان نولدكه [2] ، مصادر فارسية ذات منحىً سرديّ أسطوريّ بأكثر ممّا هي تاريخ حقيقيّ - من أن يخلق دون أن يعلم أو يرغب ربما، نمطاً من التهديد المُصاغ بأكثر العبارات غموضاً؛ بأن أيّ مساس بهذه السردية أو " تعريضها للمساءلة" قد يكون تهديداً لأسس الدين، ومع أن الطبري لم يقل ذلك صراحة، لكن سردياته التاريخية خلقت الانطباع المُفعم بالمهابة، بأن على كل مؤلف في التاريخ أن يعيد " نسخ" روايته وأن ينقلها حرفياً.

وهكذا ظهرت سلالة من المؤرخين المسلمين المتناسلين من رحم واحد هو"رحم رواية الطبري". ما من كاتب في التاريخ الإسلامي من

---

(1) : طبرستان : إقليم عرفه العرب والفرس والترك باسمه منذ القرون القديمة، وهو يَقع في شمال دولة إيران وفي جنوب غرب دولة تركمانستان اليوم ويَمتد في مُعظمه على الساحل الجنوبي لبحر قزوين عبر سلسلة جبال ضخمة كما يَصفه ياقوت الحموي في معجم البلدان ، المجلد الخامس "طبرستان".

(2) : نولدكه : ثيودور نولدكه (1836 - 1930) شيخ المستشرقين الألمان. ولد عام 1836 في هامبورغ، أتقن العربية، والعبرية، والسريانية. درس في غوتنغن وفيينا وبرلين وليدن. حصل على الدكتوراه عام 1856م وهو في سن العشرين عن تاريخ القرآن. .

مـؤرخي ومفسّـري القـرآن المتـأخرين، إلا وأعـاد" نسـخ " سـردية الطبري، مثل ابن الأثير الذي كان يتعيّش على رواية الطبري. ولكن هذا النوع من " النسخ"مع ذلك، كان يتيح لأي مؤلف، ويا للمفارقة هامشاً صغيراً، يمكّنه ويساعده على أن يضيف ما يشاء من " التلفيق"، تماما كما فعل الطبري نفسه. وهكذا نشأت " عمارة تلفيق " في التاريخ الإسلامي على نحو ما سوف أبيّن بالأدلّة في هذا الجزء من الكتاب. إن ملاحظتي ونصيحتي الأخيرة لعموم القرّاء، هـي أن يهتمّوا بالفكرة المركزية للكتاب وأن لا ينشغلوا في تفاصيل التفاصيل، فهذا أمر لا جدوى منه. وتلخيص هذه الفكرة يمكن إيجازه على النحو الآتي: ثمة أخطاء فادحة في طريقة إنشاء " التاريخ الرسمي" السائد والمُهيمن، ساهمت في تداخل العصور، وفي نشوء فوضى في تسلسل الأديان وأزمان ظهورها الحقيقية، وكذلك في خلق شخصيات لا وجود لها في التاريخ الحقيقي.

لكل هذا، قد تبدو هذه الملاحظات العابرة ضرورية. لا تنشغلوا بالتفاصيل الهامشية أو تفاصيل التفصيل، وركزوا بدلاً من ذلك على الفكرة المركزية في الكتاب. الأفكار أهم من التفاصيل.

حول " سورة الفيل "

مدخل إلى نظرية الكتاب

هنـاك نـصٌّ مبتـورٌ في التـاريخ الرسمـيّ للإسـلام لا نعلـم عـن مضامينه ومحتوياته أيّ شئ حقيقيّ، لكنه مع ذلك، خلّف صَدْعاً كبيراً في الأسوار؛ بل شروخاً كثيرة في الجدران هنا وهناك. وقد يساعدنا الكشف عن حجم هذا الصدْع وحدوده، لا في معرفة نوع الشروخ الكثيرة وطبيعتها؛ بل وكذلك في إعادة بناء المرويات التراثية /الإخبارية السائدة، والمهُيمنة على العقل العربي، وربما— بدرجة أقل من الطموح والمبالغة ـ في إعادة ترميمٍ أولية للتاريخ الإسلامي المُتصدّع. هذا النصُّ المبْتور والمتلاشي من متن التاريخ، يتضمنُ الحقيقة التي تلاعب بها المؤرخون الإسلاميون الأوائل والمتأخرون. ولذلك، يستلهمُ هذا الكتاب عنوانه الفرعيّ من نصٍّ رائعٍ كتبه الجاحظ (159 ـ 255 هـ) [1] ، وحددّ فيه أوجه الطعن في تفاسير القرآن، وكيف أنها ساهمت في (تصنْيع/ خلق) تاريخ رسمي غير حقيقي للإسلام. ينطلقُ الجاحظ في نقده للتفاسير من تفسير آية

(1) : الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب أبو عثمان : كتاب الحيوان ، دار الكتب العلمية ـ عدّة طبعات ، بيروت - الطبعة: الثانية، 1424 هـ - عدد الأجزاء: 7

(الفيل) في القرآن، بعدما أصبح شائعاً ومتداولاً ومُسلماً به في العصرين الأموي والعباسي، أن الله أنزل هذه السورة للتّذكير بغزو حبشيّ للكعبة، وأن هذا الحدث وقع في العام الذي ولد فيه النبيّ عام 570م. إن جزءاً من محتويات ومضامين النصّ المبتور في التاريخ الرسمي للإسلام، قد تكون موجودة في تفسير هذه الآية على وجه التحديد، ولعلّها تكون مفتاحاً لفكّ شيفرة النصّ الضائع والمُتلاشي. يستعرضُ نصّ الجاحظ ما يسمّيه (أوجه الطعن) في صحّة التفسير المتداول والشائع للسورة ـ والآية ـ ، ويبيّنُ إشكاليّات القصة القرآنية عن حملة إبرهة الحبشي على مكة، ولكن دون اهتمام كافٍ بالجانب التاريخي. في الواقع، لم يتمكن الجاحظ من تقديم وجهة نظر متكاملة، واكتفى بطرح شكوك قوية حول تفاسير القرآن.

كان تعبير (الطعن) الذي استُخدم في معرض نقد التفاسير الرائجة، تعبيراً مقبولاً في أوساط المسلمين وشائعاً في السجال حول تفسير هذه الآية، وهذا أمر مُبهج بكل تأكيد بالنسبة إلينا نحن المعاصرين، فقد كان هناك مسلمون رائعون يتقبّلون من أديب بصريّ (عراقي) اصطلاحاً جارحاً (الطعن في قصص القرآن)، ولم يكن ذلك ليثير فيهم أي رغبة غرائزية في مهاجمته والطعن بدينه ولا تكفيره. لقد كان كاتباً حرّاً في مجتمع حرّ. بكلامٍ موازٍ، يمكننا القول إنّ عصر الجاحظ (عصر الفلاسفة المسلمين/ المعتزلة) كان بالفعل عصر نقد الرواية السائدة عن تاريخ الإسلام. ظهر المعتزلة بوصفهم فرقة كلامية (مُتفلسفة) إسلامية في أواخر العصر الأموي، لكنها شهدت ازدهاراً حقيقياً في العصر العباسي،

وقد اعتمدت على فلسفة (العقل المجرد) في فهم الدين. كان الاعتزال ثمرة تطور ثوريّ تاريخيّ لمبادئ فكرية ـ فلسفية تدور في نطاق فكرة (العقل المجرد)، وهو تطور ناجم في الأصل عن التأثر بالفلسفة اليونانية حيث بدأ آنئذٍ عصر ترجمة التراث الفلسفي اليوناني. ومع أن تشكيك الجاحظ بتفاسير القرآن واختلاق القصص والمرويات، لم يكن مُنصبّاً على تفنيد الجانب القصصي، ولم يتناول بشكل جذريّ منطوق آية (الفيل) أو صحّة القصة القرآنية ولا التاريخ بطبيعة الحال؛ وبدلاً من ذلك ركزّ فقط على نقد الجوانب اللغوية في التأويلات السائدة، إلا أن أهميته بالنسبة لنا تكمن في هذا الجانب الديناميكيّ من السجال الدينيّ بوصفه نقداً مبكراً للآية وتفسيرها. كما تكمن في إمكانيته غير المحدودة على تطوير نقدٍ جديدٍ أكثر ثورية، ينهض بمهمة تقويض التراث السّقيم الذي ورثه المسلمون المعاصرون، وبشكل أخصّ التراث الدينيّ المُدعى أنه التفسير الصحيح لقصص القرآن؛ بل وتفنيد مزاعم المفسرّين الذين قاموا بأكبر عملية تلفيق لتاريخ الإسلام الرسميّ، حين استخدموا التأويل لإنشاء سرديّات كبرى عن مولد النبيّ وقدسيّة مكة، استمرت نحو ألف عام متواصلة. لقد قام كلّ هؤلاء بتأويل النصّ القرآني، لغرض وحيد هو محاولة ترميم (النصّ المبتور) من تاريخ الإسلام، لكنهم انتهوا، وبدلاً من الترميم المُفترض، إلى إنشاء تاريخ ملفق زعموا أنه التاريخ الصحيح، أي الرسمي.

كان المسلمون خلال العصر العبّاسي يتطلعون إلى امتلاك هذا التاريخ واحتكار روايته كليّاً، وهو اليوم كما نلاحظ بات

(مقدّساً) آخر قد توازي قدّاسته الأحاديث المنسوبة إلى النبيّ في كتاب البخاري. لكن واجهوا مشكلة عويصة أخرى ومن نوعٍ مختلف، تتصل بمسألة امتلاك هذا التاريخ (الاستحواذ عليه وتهذيبه). في هذا النطاق من الفكرة، فقد تتمثل المسألة برمتّها في وجود فجوة زمنية هائلة تفصل بين ظهور محمد - والإسلام - والعصر الأموي/ العباسي، تصل إلى ما يزيد عن قرنين ونصف (نحو 240 سنة تقريباً) لا وجود فيها لأي مخطوطات أو كتب أو نقوش أو أي أثر ثقافي، يسجل أو يروي أو يلمح أو يشير إلى أيّ شيء عن هذه الحقبة الطويلة. كل ما كان لديهم نص وحيد هو (سيرة ابن هشام) نقلاً عن ابن إسحق. بيد أن لا أحد يعرف منْ هو ابن إسحق، ومتى وأين عاش وأين مخطوطته الأصلية ؟ فمن هو ابن هشام؟

لا أحد يعرف بالضبط، لكن التاريخ الرسمي للإسلام يخبرنا أن (أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري البصري المُتوفّى سنة 218هـ) عربي مسلم تعود أصوله وبشكل مباشر إلى قبيلة (حمير) اليمنية/ اليهودية. ولأنه توفي بعد أكثر من قرنين على ظهور محمد والإسلام، فهذا يؤكد لنا أنه كتب روايته ولم يكن لديه سوى (وثيقة) واحدة، استند فيها لكتابة روايته هي سيرة ابن إسحق التي سبقت روايته بنحو قرن تقريباً. وبطبيعة الحال، فقد كان (التهذيب) الذي قام به للنص الأصلي، يرتكز بشكل أساس إلى ذاكرته كيمني/ حميري يهودي سابق، وبحيث يقال إنّه تمكن من تخليص السيرة ممّا يُزعم أنها (إسرائيليات)، أي أنه كان يستطيع بفضل ثقافته السابقة على الإسلام، أن يميزّ بين ما هو (إسرائيلي) وما هو (غير إسرائيلي). وسوف نبيّن في سياق هذا

الكتاب، أن هذا الاستنتاج الشائع، هو من مُخْتلقات المتأخرين وأن ابن هشام لم يفعل أي شيء مما يُزعم أنه (بتر/ أو حذف) للإسرائيليات من النصّ الأصلي. لكن من هو أبن إسحق؟ حسب الرواية الرسمية السائدة، هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار المدني (ت:151 هـ) ولد في المدينة ـ الجزيرة العربية ـ وعاش في الكوفة (الحيرة) بالعراق في عصر أبي جعفر المنصور. والمؤكد، أنه كتب روايته (التي لا وجود لها كمخطوطة قط) بعد مضي 150 عاماً من ظهور محمد وانتشار الإسلام.

وهذا يعني أن ابن هشام جاء من بعده بنحو قرن كامل ليهذّب السيرة.

هذا الفراغ الهائل حيث لا وجود لأي ملفات موثقة أو وثائق تاريخيّة أو (روايات أحياء) يمكن أن يستذكروا تاريخ الإسلام المبكر، هو الذي شجع على (التلفيق). ولذلك، كان ترميم النصّ المبتور يؤدي ـ في كل مرة مع عمل إخباري أو تأويل لسور القرآن ـ إلى بناء " طابق" جديد في عمارة التلفيق التاريخيّ. مثلاً، كانت المزاعم الشائعة في عصر الجاحظ مبنيّة بالكامل على تصوّر مزيف لتاريخ مكة، يرى فيها مدينة مقدّسة منذ الأزل، وأنها كانت ـ بسبب قداستها هذه ـ هدفاً لحملات حربية أجنبية. ولم يكن ذلك صحيحاً بالمعنى التاريخي، ولا دليل أركيولوجياً أو ثقافياً يقطعُ بصحة هذه القداسة القديمة والافتراضية، والأدّق أنها أصبحت كذلك فقط مع صعود دور الحجاز الدينيّ، بعد وقت طويل من ضعف ثم انهيار ديانات اليمن القديمة. وفي إطار هذه المزاعم تمّ تلفيق قصة الغزو الحبشي لمكة انطلاقا من اليمن، وجرى (اختراع)

قصة الهزيمة التي لحقت بإبرهة، ثم موته بعد أن هاجمته طيور مجهولة قادمة من السماء، راحت تمطر معسكره بحجارة صغيرة. وزاد بعض الإخباريين في سردهم للقصة، فأضافوا تفاصيل خيالية منها أن الحجارة تسببّت في انتشار الحمّى داخل معسكر الحبشيّ فأبادت جنوده، كما أن الفيل الذي استقدمه كان يسمى محمود [1]، وقد امتنع عن هدم الكعبة لأنه ارتعد أمام قداستها.

ثم زاد الزرقاني[2] (1710م) في التلفيق، حين كتب روايته عن حادث هدم إبرهة للكعبة، وزعم أن الإخباريين الذين سبقوه قالوا، إن الفيل كان (يكنى أبو العباس وقيل الحجاج[3]). ولنلاحظ طابع

(1) : الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (المتوفى: 748هـ) تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، - المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف - الناشر: دار الغرب الإسلامي2003 كذلك، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) - البداية والنهاية، المحقق : علي شيري - دار إحياء التراث العربي 1988

(2) : محمد بن عبد الباقي الزرقاني (1055 هـ - 1122 هـ / 1645م - 1710م)، محدث، فقيه، أصولي، متصوف، من أعلام المذهب المالكي، ولد بالقاهرة سنة (1055 هـ) وتوفي بها سنة (1122 هـ)، ونسبته إلى زرقان قرية من قرى منوف بمصر.

(3) : الزرقاني، : أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد المالكي (المتوفى: 1122هـ) ، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ــ دار الكتب العلمية ــ1996 يقول الزرقاني ومعهم الفيل" محمود وكنيته أبو العباس، حكاه السمرقندي، وقيل: أبو الحجاج، وقدمه الدميري في منظومته؛ فقال:

وفيلهم محمود دليل داجي ... وكان يكنى بأبي الحجاج

وقال قوم بأبي العباس ... وكان معروفًا بعظم الباس

التلفيق العباسي المتأخر جداً، ولكن المستمر بقوة زخم التلفيق في هذا العصر ــ حين كتب فيه الزرقاني روايته ــ فقد أصبح (فيل إبرهة) يكنىّ بـ (الحجاج). وهذا أمر يمكن إحالته فقط إلى عصر (كراهية الحجاج) المتأججّة والمتواصلة، حيث صارت ترتبط تلقائياً بهدم الكعبة، بما أن الأمويين كلفوّا الحجاج بضرب الكعبة بالمنجنيق[1]. بدأ الطعن في صحّة القصة مع ظهور وانتشار التفاسير والسير الخاصة بغزوات النبي في القرن السابع الميلادي؛ وهذه إجمالاً وضعها فقهاء ورواة أخبار ومفسرّو قرآن استناداً إلى مرويات ابن اسحق (85 هـ/703م). وليس دون معنى أن ابن اسحق ـ كما تزعم الرواية الرسمية التي لا دليل على صحّتها ـ بدأ عمله الشاق في جمع كل شاردة وواردة عن سيرة النبيّ، حين وصل بغداد وأصبح من المقرّبين للخليفة أبو جعفر المنصور نحو العام 115هـ/ 733م ، حيث جمع مادة ضخمة دون أدنى تدقيق في الوقائع. وسوف أبرهن أن ابن اسحق هذا شخص لا وجود له، ولا وجود لمخطوطته المسمّاة (السيرة النبويّة) في كل مكتبات العالم. وكيف لعاقل أن يتخيّل وجود مؤرخ من أهل المدينة، يقصد بغداد لجمع " مادته " التاريخيّة عن محمد والإسلام؟ بينما يمكن تخيّل العكس: أيّ أن يقصد مؤرخ عراقي/ بغدادي مدينة الرسول في الجزيرة العربية، ليجمع نتفاً، شاردة وواردة من سيرته؟ هذا التشكيك في محله من وجهة نظري.

---

(1) : أراد الحجاج بن يوسف الثقفي أن ينهي أمر ابن الزبير فكتب إلى عبد الملك بن مروان يطلب منه الإذن بقتاله ومناجزته، فأجابه عبد الملك بقوله: افعل ما ترى، وتوجه الحجاج ابن يوسف بجميع جيشه إلى مكة ونصب المنجنيق على جبالها، وبدأ يضرب ابن الزبير داخل الحرم ضربًا متواصلاً، أنساب الأشراف (5/ 358). ـ مصدر مذكور

في الواقع كان العباسيّون المنتصرون على الدولة الأموية، يتطلعون إلى إنشاء سردية كبرى لتاريخٍ إسلاميٍّ رسميّ، تمكنّهم من إزاحة الرواية السائدة في العصر الأموي وفرض وجهة نظرهم بشكل نهائي، وهذا هو المغزى الحقيقي للقاء المزعوم بين الخليفة وابن اسحق.

كان الجاحظ ـ مرة أخرى حسب الرواية الرسمية الشائعة ـ معاصراً لابن اسحق، وقد اطلع عن قرب على مروياته وأساطيره، ومنها الأسطورة التي سوف ترتبط بـ (سورة الفيل). وهذا يعني أن البدايات الحقيقية للتيار النقدي لقصص القرآن، تضرب في جذورها عميقاً في تربة تعاظم نفوذ الفرق الكلامية والجماعات المتفلسفة وظهور تيارات فكرية وسياسية جريئة، وبشكل أخص مع ظهور المعتزلة. وأكثر هذه الفرق راحت تشكّك دون هوادة بالتاريخ الرسمي للإسلام، ولكن دون أن تجرؤ على تقديم رواية بديلة. وهذا ما يؤكده تردّدهم في تقديم نقد حقيقي لقصة الفيل وإيلاف قريش وسواها الكثير ممّا لا أصل له في النصّ القرآني. لقد اقتصر الطعن ـ آنذاك ـ على جوانب هامشية غير ذات قيمة علمية، وتركز معظم النقاش الدينيّ واللغويّ والفلسفيّ حول أمور ثانوية ذات طبيعة تتعلق بالسجال العقلي لا التاريخيّ؛ ولذلك جرى إغفال الجانب الأهم وهو، أن التاريخ لا يعرف هذه الواقعة ولا أصل لها. وفي بعض الحالات جرى التركيز على تفاصيل مُخْتَلقة لا معنى لها مثلا، كيف تمكّن المهاجم العربي الذي تطوع لقتل الفيل، من التكلم معه وبأي لغة ما دام الفيل من الهند؟ في التفسير السائد لهذه القصة زعم المفسّرون أن الفيل كان من الهند وأن سائسه كان

هندياً، وأن المقاتل العربي/ المسلم تحدث معه، ولكن دون أن يقال لنا، بأي لغة تحدث مع الفيل؟ لم يفطن المُتساجلون للأسف إلى حقيقة أن التفسير كله باطل، وان آية (أصحاب الفيل) لا تعني بأي صورة من الصور، جيشاً حبشياً غازياً وصل مكة لهدم الكعبة، وأنّ هؤلاء استخدموا عمالاً من الهنود. علماً أن تاريخ الحبشة لا يعرف واقعة واحدة عن وجود (هنود) في عداد جيوشهم. ومع ذلك، فقد بلغت جرأة مفكري وفقهاء عصر الجاحظ، ذروتها مع تعالي أصوات الطعن في قصص القرآن. وسوف يتبيّن لنا من فحص الوقائع التاريخية، أن جذور هذا الطعن تعود في جزء منها إلى عصر الإسلام المبكر، وبشكل أخص إلى عهد عثمان بن عفان حين تفجّر نقاش صاخب حول جمع القرآن وتدوين غزوات النبي. ولم يكن المجتمع الإسلامي ــ آنذاك ــ ليرتجّ أو يُصاب بالصدمة من التشكيك والتساؤل بشأن بعض الآيات؛ بل على العكس من ذلك انخرط جزءٌ كبيرٌ من الفقهاء في النقاش الدينيّ واللغويّ دون خوف، وهذا أمر مدهش حقاً، ويكشف عن حيوية المسلمين الأوائل وجرأتهم. كانت آية الفيل، جزءاً من سورة (الإيلاف) وعرفها المسلمون الأوائل باسم (سورة ألم تر[1]) ولكنها لأمرٍ ما فُصلت عن سياقها، وأصبحت

(1) : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩﴾ - سورة الفجر - انظر / إبراهيم القطان (المتوفى: 1404هـ التفاسير، أبو الفداء، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى (المتوفى: 1127هـ) روح البيان - دار الفكر - بيروت، كذلك البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر
==

سورة بذاتها باسم (الفيل). بكلام آخر، إن اسم (سورة الفيل) هو تلفيق قام به جامعو القرآن، لأن السورة كانت مجموعة آيات تدعى (الإيلاف).

ولذا تحولت (سورة الفيل) إلى مادة للجدال بين المسلمين حيث شاعت في العصرين الأموي والعباسي، قصص وتفاسير وتأويلات متشعّبة ومنها التفاصيل المتعلقة بشخص يدعى نُفيْل بن حبيب، وهو شخصية أسطورية لا يُعرف عنها أي شئ، قيل إنّها لعبت دوراً مركزياً في حملة عام الفيل على مكة. وبعض تفاصيل التلفيق تذهب إلى القول إنّه همس في أذن الفيل، فبرك على قدميه وأحجم عن تهديم الكعبة. كما اختلقوا شخصية أخرى لا وجود لها في التاريخ، هي شخصية أبي رغال، فزعموا أنه كان الرجل الخائن الذي لعب دور الدليل. إن قصة الفيل برأينا، قصة مفتاحية في فهم الطريقة التي جرى فيها فهم النصّ القرآني بأكمله، أي فهم القرآن ككتاب قصص دينية، كما أنها هامة لجهة فهم الطريقة التي تمّت فيها كتابة تاريخ الإسلام الرسمي في ضوء تفسير هذه القصص. وأكثر من ذلك، إنها تمكّننا من فهم الطريقة التي جرى فيها رسم شخصية النبيّ محمد، ذلك أن ربط ولادته بحدث هلعيّ يخصّ الكعبة، كان مصمماً لإضفاء بُعد قداسي لبيت العبادة الذي لم يكن له أي حضور تاريخي حقيقي، بحسب ما لدينا من

بن محمد الشيرازي (المتوفى: 685هـ) : أنوار التنزيل وأسرار التأويل - المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي - دار إحياء التراث العربي ـ بيروت - الأولى - 1418 هـ .

وثائق ومعطيات مؤكدة. وبكل تأكيد لا يملك المسلمون أي دليل أركيولوجي (نقش، وثيقة، لقى أثرية إلخ) تسجل اسم مكة أو الكعبة. كل ما لدينا هو مرويات إخبارية تعود إلى القرن السابع الميلادي. أي أنها تعود إلى 200 عام فقط من وقوع حادث لا نعرف عنه الكثير، وزعم الرواة أنه العام الذي استولى فيه شخص يُدعى قصي على مكان يُدعى مكة. وهذا الحادث، بحسب المرويات الإسلامية وقع نحو 500م . وحتى في هذا الوقت المبكر لا توجد أي وثيقة عن شخص حقيقي يُدعى قصي أو مدينة مقدّسة تدعى مكة. بكلامٍ موازٍ لا يوجد أي دليل علمي، مهما كان بسيطاً، يمكن لنا أن نجد فيه اسم مكة أو الكعبة في الجزيرة العربية (الحجاز) في هذا العصر. ولذلك، لم يكن المسلمون لا في عهد محمد ـ ولا في عهد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ـ يعرفون أي شيء عن قصة الفيل هذه. لقد كانوا يعرفون الآية بكل تأكيد، لكنهم كانوا يجهلون تفسيرها ـ الذي لم يظهر إلا مع مرويات المزعوم أنه ابن اسحق في العصر العباسي ـ حين تبلورت أسطورة غزو إبرهة ـ وأصبحت تاريخاً رسمياً مُهْيَمناً، أي أن المسلمين كانوا يجهلون جهلاً تاماً أي صلة للآية بهذا الحادث، أو أنها ترتبط بحملة أجنبية لهدم الكعبة؛ وليس هناك أي نص أو حديث ـ يعود في زمنه لعصر الخلفاء الأربعة ـ يشير أو يُلمّح إلى أن المسلمين كانوا على دراية بقصة من هذا النوع حدثت في مكة. لقد بدأ التلفيق لأسباب عميقة وجوهرية في العصر العباسي الأول .

وهذا ما سوف نتطرق إليه بالتفصيل.

ولأن لا أصل للقصة ولا علاقة للسورة القرآنية بما زعم أنها حملة حبشية لهدم للكعبة، أو وجود غزو حبشي للجزيرة العربية أصلاً، فقد باتت مسألة الطعن فيها مسألة تتعلق بإعادة تصحيح التاريخ الرسمي للإسلام بوصفه تاريخ التفاسير المُلفقة، وهذه أدّت فعلياً إلى تحويل المسلمين القدماء– والمعاصرين كذلك ـ إلى ضحايا لخداع متواصل. وبوجه الإجمال، سنعالج القصة وتفاسيرها من منطلق كونها قصة بدأت في العصر الأموي، وهو عصر تطلب القيام بأكبر عملية تعديل وتزوير لتاريخ الإسلام، بعد ما نجحت دمشق ـ حسب التاريخ الرسمي الملفق ـ في انتزاع الخلافة من مكة وأضحت هي، وليس الحجاز، مركز الخلافة والإسلام الجديد.

أما الفقهاء والمفسّرون الذين جاءوا في عصور تالية، وراحوا يتناقلون تفاسير القدامى جيلاً إثر جيل دون أدنى تدقيق أو فحص؛ فإنهم بكل يقين لم يكونوا يدركون هذا البُعد التاريخي في المسألة، ولم يفطنوا للتناقضات والتركيبات الركيكة والضعيفة في أساس التأويل. وبكل تأكيد؛ فإن جزءاً من النقاش حول التاريخ الرسمي للإسلام، لا يزال يدور حول هذه النقطة : متى وقع (حادث الفيل) الذي أرّخ فيه العرب لمولد النبي؟ وهل وقع الحادث في مكة؟ وهل كان بطله إبرهة الحبشي؟ إن التفسير الشائع والسائد اليوم في أوساط المسلمين، هو الذي يثير هذا النوع من الأسئلة. برأينا، أن هذا التفسير، وهو شائع في الثقافة الدينية والتاريخية للعرب والمسلمين المعاصرين، يتناقض مع الوقائع التاريخية ومع منطق السورة القرآنية. وسوف تكشف لنا قراءة نقدية صادمة، كيف أن المفسرين ساهموا في تلفيق تفسير لا أساس له في التاريخ المكتوب،

فإبرهة الحبشي لم يهاجم مكة ولا قصد الكعبة لتهديمها، ولم يكن من (أصحاب الفيل)، كما يمكنها أن تميط اللثام عن وقائع محيّرة ، منها أن هذا الحادث وقع في مكان آخر وفي سياق تاريخي لا علاقة للكعبة به، وبكل تأكيد أيضاً، لم يعرف المسلمون في عصر النبي قط قصة الفيل هذه، كما لا يعرفون تفسيرها الشائع اليوم، ولم يكونوا يؤرخون به. والمثير للدهشة أن (سورة الفيل) المقُتطعة أصلاً من سورة أخرى، كانت في الأصل جزءاً من سورة قريش (الإيلاف) وكان عمر بن الخطاب يقرأ السورتين في صلاته كسورة واحدة دون بسملة بينهما [1] .

---

(1) : الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن (المتوفى: 741هـ) لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح: محمد علي شاهين ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الطبعة: الأولى، 1415 هـ (ولهذا جعل أبي بن كعب هذه السّورة وسورة الفيل واحدة ولم يفصل بينهما في مصحفه ب - بسم اللّه الرّحمن الرّحيم والذي عليه الجمهور من الصحابة وغيرهم، وهو المشهور أن هذه السّورة منفصلة عن سورة الفيل وأنه لا تعلق بينهما وأجيب عن مذهب أبي بن كعب في جعل هذه السّورة، والسورة التي قبلها سورة واحدة) كذلك، التونسي: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور (المتوفى : 1393هـ): التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» - الدار التونسية للنشر ـ تونس - 1984 هـ (وَلأَنَّ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ جَعَلَهَا وَسُورَةَ قُرَيْشٍ سُورَةً وَاحِدَةً فِي مُصْحَفِهِ وَلَمْ يَفْصِلْ بَيْنَهُمَا بِالْبَسْمَلَةِ وَلِخَبَرِ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ الْمَذْكُورِ آنِفًا رَوَى أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَرَأَ مَرَّةً فِي الْمَغْرِبِ فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ سُورَةَ الْفِيلِ وَسُورَةَ قُرَيْشٍ، أَيْ وَلَمْ يكن الصَّحَابَة يقرأون فِي الرَّكْعَةِ مِنْ صَلَاةِ الْفَرْضِ سُورَتَيْنِ لِأَنَّ السُّنَّةَ قِرَاءَةُ الْفَاتِحَةِ وَسُورَةٍ فَدَلَّ أَنَّهُمَا عِنْدَهُ سُورَةٌ وَاحِدَةٌ. وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ سُورَةُ قُرَيْشٍ نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْفَلَقِ وَأُلْحِقَتْ بِسُورَةِ الْفِيلِ فَلَا
==

ولو أننا فعلنا الأمر ذاته وقرأنا السورتين في صلاتنا كسورة واحدة، فسوف نكتشف حجم التزييف والتلفيق، وكيف أن المفسرين قاموا بعمل نجم عنه ظهور تاريخ مزيف للإسلام يبدأ من عام الفيل. إن التاريخ الرسمي للإسلام يصبح في ضوء هذا الخيار تاريخاً مُتلاعباً به. ويغدو مع كل قراءة جديدة، موضوعاً للتشكيك والتساؤل عن دور الإخباريين والمفسرين المسلمين، وكيف أنهم (اخترعوا) إسلاماً آخر، لا يعرفه مسلمو الدعوة الأولى.

هذا هو الإطار العمومي للنظرية التي يطرحها الكتاب.

يَتِمُّ الاحْتِجَاجُ بِمَا فِي مُصْحَفِ أُبِيِّ بْنِ كَعْبٍ وَلا بِمَا رَوَاهُ عَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ.)
انظر أيضاً : أبو عمر عبد الحي بن يوسف، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net واستدلوا على ذلك بأنه ثبت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قرأ في ركعة بسورة الفيل وسورة قريش ولم يفصل بينهما.

الفصل الأول

تلفيق قصة الفيل

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ۝٥ ﴾

سورة الفيل

هذه هي سورة (**الفيل**) القصيرة التي تسبّب تأويلها الخاطئ في وقوع أكبر تلاعب في تاريخ العرب والإسلام. وكما يُلاحظ، فلا توجد أي إشارة أو تلميح إلى اسم مكة أو الكعبة أو إبرهة الحبشي. كما أن منطوقها لا يقول بأي شكل من الأشكال أن الأحباش نظّموا حملة حربية لغزو الجزيرة العربية، وأنهم استهدفوا تدمير الكعبة (البيت الحرام). إنها ببساطة خالية (خاوية) من ذكر أي شيْ يتصل بمكة أو البيت الحرام. فكيف استنتج المفسّرون، أنها تدور حول حادث تاريخي حقيقي؟ وعلى أي مصدر تاريخي أو رواية حقيقية وموثّقة استندوا في إنشاء هذه السردية، ولماذا جعلوا من الحادث أساس تقويم زمني جديد، يبدأ به وأسموه عام الفيل؟

وبحيث ثبتوًا في الذاكرة التاريخية للمسلمين دون أي دليل، أنه العام الذي ولد فيه النبيّ؟ بهذا المعنى الذي تثيره أسئلة من هذا النوع، سوف يكون علينا التأمل في مغزى عملية ترميم (النصّ المبتور) من تاريخ الإسلام.

هاكم ملخصاً بأهم التفاسير التي وردت في كتب الفقهاء والإخباريين ومفسري القرآن، حسب تسلسلها الزمنيّ وحيث راجت القصة في عصور الإسلام حتى اليوم. وسوف أعرض ـ هنا ـ للتفاسير والقصص الإخبارية على امتداد أكثر من 1200 عام، وأبيّن من خلال هذا العرض الأشكال التي تبدت فيها (عمارة التلفيق) حيث يضيف كل مُفسّر، وراوٍ للأخبار، طابقاً جديداً من المزاعم.

يقول ابن كثير[1] (774 هجرية) في تفسيره، ما يأتي :

(وهذه قصة أصحاب الفيل على وجه الإيجاز والاختصار والتقريب، قد تقدم في قصة أصحاب الأخدود[2] أن ذا نُواس[1] ـ

---

(1) : ابن كثير : أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن زرع القرشي : تفسير ابن كثير. مُحدّث ومفسر وفقيه ولد في دمشق سنة 701، هـ ، وانظر : العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر (المتوفى: 852هـ) ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ـ المحقق: مراقبة / محمد عبد المعيد ضان ـ مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر أباد/ الهند 1972م.

(2) : وَقَعَ إِلَى نَجْرَانَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ عَلَى دِينِ عِيسَى فَدَعَاهُمْ فَأَجَابُوهُ فَسَارَ إِلَيْهِمْ ذُو نُوَاسٍ الْيَهُودِيُّ بِجُنُودٍ مِنْ حِمْيَرَ فَخَيَّرَهُمْ بَيْنَ النَّارِ وَالْيَهُودِيَّةِ فَأَبَوْا ، فَأَحْرَقَ مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا فِي الأَخَادِيدِ ، وَقِيلَ سَبْعِينَ أَلْفًا ، وَذُكِرَ أَنَّ طُولَ الأُخْدُودِ أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا وَعَرْضَهُ اثْنَا عَشَرَ ذِرَاعًا : الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن ==

وكان آخر ملوك حمير، وكان مشركًا [2] - هو الذي قتل أصحاب الأخدود، وكانوا نصارى، وكانوا قريبًا من عشرين ألفًا، فلم يفلت منهم إلا دوس ذو ثعلبان، فذهب فاستغاث بقيصر ملك الشام - وكان نصرانيًا - فكتب إلى النجاشي ملك الحبشة؛ لكونه أقرب إليهم، فبعث معه أميرين: أرياط وأبرهة بن الصباح أبا يكسوم في جيش كثيف).

في هذا النص هناك مغالطات مريعة وغير منطقية أو مقبولة. ولكي يصبح هذا النّص مفهوماً لعموم القرّاء المعاصرين الذين لا يعرفون تراكيب وصياغات النص الكلاسيكي، فسوف أعيد تلخيصه بلغتنا المعاصرة وتبيان الأخطاء فيه وبإيجاز على النحو الآتي: كان ذو نؤاس ـ آخر ملوك حمير 524 م ـ وهو مشرك/ كافر من وجهة نظر ابن كثير مع أنه يهودي حسب كل المصادر التاريخية - قد قررّ ضرب القبائل المسيحية ـ في نجران ـ . ولذا فرّ شخص يدعى دوس ذو ثعلبان، طالباً معونة ودعم البيزنطيين المسيحيين في الشام. لكن ملك الشام (البيزنطي/ المسيحي) كتب إلى ملك الحبشة، فأرسل هذا قائدين هما أرياط وإبرهة بن الصباح أبو يكسوم.

هذا هو ملخص الفقرة المأخوذة من نص طويل لابن كثير، أهم مفسرّي القرآن وأكثرهم حظوة وشهرة. ويمكن ملاحظة الخطأ

الحسن بن الحسين التيمي خطيب الري (المتوفى: 606هـ) مفاتيح الغيب ـ التفسير الكبير - دار إحياء التراث العربي - بيروت 1420 هـ.

(1) : ذو نواس الحميري 524 -535م.

(2) : الصحيح كان يهوديا.

المريـع الـذي ارتكبـه، فهـو يفـترض أن القيصـر كـان في سـورية، والصحيح أنه كان في بيزنطة، وولاة الشام في هذا العصر هم من القبائل الغسانية المسيحية ، وكانوا على خلاف مع مسيحيّ نجران، لأن هؤلاء كانوا أقرب إلى المذهب النسطوري في مملكة الحيرة (الكوفة في العراق) المسيحية. وبسبب هذا الخلاف فقد امتنعوا عن (دعم) أشقائهم في نجران، والأمر ذاته حصل مع مسيحيّ الحيرة، ولكن بدوافع ومُسوِّغات مختلفة، فقد كانوا مملكة ضعيفة تحت سيطرة الفرس، وهؤلاء كانت لديهم حساباتهم الخاصة، فإضعاف المسيحية في اليمن، يصبّ لمصلحتهم في الصراع مع البيزنطيين المسيحيين.

لكن بيزنطة وبعد وقت طويل نسبياً من هذه الأحداث، شجعت حلفاءها المسيحيين في الحبشة (أثيوبيا) على غزو اليمن والإطاحة بالملك اليهودي هناك.

يضيف ابن كثير في مقتطف آخر من النصّ ما يلي [1] :

(فدخلوا اليمن واستلبوا المُلْك من حمير، وهلك ذو نواس غريقا في البحر. واستقل الحبشة بملك اليمن وعليهم هذان الأميران: أرياط وأبرهة، فاختلفا في أمرهما وتقاتلا ، فقال أحدهما للآخر: إنه لا حاجة بنا إلى اصطدام الجيشين بيننا، ولكن أبرز إليّ وأبرز إليك، فأينا قتل الآخر، استقل بعده بالملك. فأجابه إلى ذلك فتبارزا، فحمل أرياط على إبرهة فضربه بالسيف، فشرم أنفه وفمه وشق وجهه، وحمل ـ عَتَوْدَة ـ مولى أبرهة على أرياط فقتله).

(1) : ابن كثير ـ المصدر نفسه.

ما يقوله هذا المُقتطف بلغتنا المعاصرة هو الآتي: إن الحبشة (أثيوبيا) قامت بغزو اليمن بوساطة قائدين هما إرياط وإبرهة، وأنهما تمكنا من الاستيلاء على عرش الملك اليهودي، وأن هذا مات غرقاً في البحر. ثم اختلفا ونشب بينهما صراع انتهى بجرح إبرهة (الذي سوف يعرف بالأشرم لأن أنفه شُرم بالسيف) وبقتل إرياط على يد مساعد إبرهة. في الواقع ارتكب ابن كثير سلسلة أخطاء سوف تؤدي إلى تشويه فظيع في أصل السردية التاريخية.

ما حدث هو الآتي :

أولاً : لم يكن هناك قائدان للحملة. ولا يوجد أي سبب عسكري يفرض على أثيوبيا أن تنظمّ حملة (برأسين) متنافسين. الصحيح أن قائد الغزو هو الضابط الأثيوبي إرياط.

ثانياً : إن إبرهة الحبشي ليس قائداً أثيوبيا (حبشياً). لقد نجم عن الفهم الخاطئ للقبه في شيوع تصوّر زائف كرّسه ابن كثير ثم كل الرواة من بعده، يقول إنّ إبرهة هو حبشي (لأن لقبه الحبشي) والصحيح أنه مسيحي يمني من تعز، وينتسب إلى جبل حبْشي. ويمكننا أن نجد حتى اليوم عشرات المواضع باسم إبرهة في تعز ـ كما سوف أبيّن ذلك في المكان المناسب ـ . وهذا كان زعيماً محليّاً قوياً فرض نفسه على قوات الغزو.

ثالثاً : إن جوهر الصراع لم يكن خلافاً شخصياً أو تنافساً بين زعيمين؛ بل كان صراعاً يمنيا / أثيوبياً داخل المسيحية الموالية لبيزنطة. لقد قررّ مسيحيو اليمن بقيادة إبرهة الحبْشي التخلص من الأثيوبيين، فدبروا مؤامرة لقتل قائد الغزو، وفرضوا أنفسهم على الأحباش كأصحاب حق في حكم بلدهم.

رابعاً : إن إبرهـة الحبشـي لـيس إبرهـة الأشـرم، وهـو لم يحمـل هذا اللقب بسبب الجرح. في الواقـع خلـط ابـن كـثير بـين شخصـيتين عاشتا في حقبتين مختلفتين، همـا إبرهـة الحبْشـي (مـن جبـل حبْشـي في تعـز) وإبرهـة الأشـرم، وهـذا شـخص آخـر سـوف نتحـدث عنـه في مكانه المناسب.

يضيف أبن كثير[1] :

(ورجـع إبرهـة جريحـًا ، فـداوى جرحـه فَبَـرأ ، واسـتقل بتـدبير جيش الحبشـة بـاليمن. فكتـب إليـه النجاشـي يلومـه علـى مـا كـان منه ، ويتوعّده ويحلف ليطأن بلاده ويجزّن ناصيته. فأرسل إليه أبرهة يترّقق له ويصانعه ، وبعث مع رسوله بهدايا وتحف ، وبجراب فيـه مـن تـراب اليمن ، وجـزَّ ناصيته فأرسـلها معـه ، ويقـول في كتابـه : ليطـأ الملـك علـى هـذا الجـراب فيبّـر قسـمه ، وهـذه ناصـيتي قـد بعثـت بهـا إليـك. فلمـا وصـل ذلـك إليـه أعجبـه منـه ، ورضـي عنـه ، وأقـره علـى عمله).

ما يقوله هذا المقتطف يؤكد صحّة استنتاجنا ، فالصراع كان حبشياً/ يمنياً ، وأن الحبشة رفضت سياسة الأمر الواقع التي فرضها المسيحيون اليمنيون؛ ولذا قـررت تجهيـز حملة أخرى لاحـتلال اليمن والتخلص من المتآمرين اليمنيين. بيد أن المسيحيين اليمنيين اعتمدوا دبلوماسية هادئـة لخطـب ودّ جيرانهـم الغـزاة ، وهكـذا أرسـلوا لملك إثيوبيـا (الحبشـة) المسـمّى في المصـادر الإخباريـة (النجاشـي) رسـائل

(1) : ابن كثير ـ المصدر نفسه

تؤكد خضوعهم له وللكنيسة الأثيوبية. ويبدو أن (صفقة) من نوع ما أُبرمت بين الطرفين اليمني والأثيوبي، وهذا ما سوف نكتشفه حين نحلل ظروف نشأة الاتحاد المسيحي/ اليمني / الأرتيري (والذي يعرف باسم مملكة أكسوم). وأكسوم / يقسوم هذا هو الابن البكر لإبرهة، وهو من قاد جهود توحيد الكيانات الثلاثة في مملكة مسيحية واحدة. وبرأييّ إن اسمه/ لقبه هو بالضبط (يقسوم) وليس (يكسوم) وهو لقب ديني مسيحي بمعنى القس/ القسّ ـ الياء أداة تعريف يمنية منقرضة ـ أما الميم في آخر الاسم فهي أداة تعريف منقرضة ظلت شائعة بحكم العادات الصوتية مثلما نقرأ في النقوش المسندية اسم (عوف/ في صورة عوفم[1]). لقد وضع المستشرقون[2] تاريخ ظهور هذه المملكة بشكل عشوائي، وبعضهم اقترح أن تكون قد ظهرت خلال عام 325 ق.م، بينما يضعها بعض آخر في نهاية القرن الرابع الميلادي[3]. وسوف أعود في هذا الكتاب لمزيد من التوضيحات في مكانها المناسب.

---

(1) : أنظر نقش امرئ القيس بن عوفم في كتابنا (يهوذا والسامرة - مصدر مذكور في السيرة الذاتية)

(2) :Turchin, Peter and Jonathan M. Adams and Thomas D. Hall: "East-West Orientation of Historical Empires and Modern States", page 222. Journal of World-Systems Research, Vol. XII, No. II, 2006

(3) :Francis Anfray. Les anciens ethiopiens. Paris: Armand Colin, 1991Carlo Conti Rossini. Storia d'Etiopia. Bergamo: Istituto Italiano d'Arti Grafiche, 1928.

Rodolfo Fattovich et al. The Aksum Archaeological Area: a preliminary assessment. Naples: Istituto Universitario Orientale, 2000.

ثم يضيف المفسّر الإسلامي [1] إلى (عمارة التلفيق) ما يأتي :

(وأرسل أبرهة يقول للنجاشي: إنيّ سأبني لك كنيسة بأرض اليمن لم يُبْنَ قبلها مثلها. فشرع في بناء كنيسة هائلة بصنعاء، رفيعة البناء، عالية الفناء، مزخرفة الأرجاء. سمتها العرب القُلَّيس لارتفاعها؛ لأن الناظر إليها تكاد تسقط قلنسوته عن رأسه من ارتفاع بنائها).

يُخيّل للمرء ـ للوهلة الأولى ـ وهو يقرأ هذا الجزء الفظيع من نصّ ابن كثير، أن الأثيوبيين قايضوا مصرع/ اغتيال قائد حملتهم على اليمن ببناء كنيسة في صنعاء، وهذا غير منطقي. في الواقع، تمّ تطويق الخلاف ثم التوافق على أن يكون هناك (مركز مسيحي يمني) جنوب غرب الجزيرة العربية من خلال بناء أكبر كنيسة في صنعاء. وهذه كانت رغبة بيزنطة سيّدة الأحباش. لقد رأت بيزنطة أن إنشاء مركز مسيحي جنوب غرب الجزيرة العربية، سوف يكون عملاً مُلهماً ومكمّلاً للمركز المسيحي شمال الجزيرة العربية (بلاد الشام) حيث بنى البيزنطيون هناك سلسلة رائعة من الكنائس. إن كلمة (القليس) التي احتار فيها قدماء اللغويين المسلمين هي ذاتها كلمة (قليس/ قنيس: كنيس، واللام والنون تتبادلان الوظيفة يقال في العربية إسماعيل وإسماعين. والكلمة من الجذر العربي كنس [2] بمعنى نظّف المكان : كنس البيت، سفر،

(1) : ابن كثير ـ مصدر مذكور.

(2) : ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة (ت سنة 395 هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، الجزء الخامس، الطبعة الثانية 1972م، كذلك طبعة دار الفكر 1979م. ص 141، ص 223 .

أزال التراب عن وجه أرضه). والكنيس/ الكنيسة بالتأنيث هي المكان الطاهر الذي كُنس/ نُظف وأصبح مهيأ للعبادة. وفي هذا الإطار وحده، يمكن لنا أن نمعن النظر في التفاهمات التي جرت بين مسيحييّ الحبشة/ إثيوبيا ومسيحييّ اليمن بعد مؤامرة خلع القائد الأثيوبي إرياط وقتله. والمدهش في (النصّ المبتور) من تاريخ الإسلام الرسمي، أن الشاعر الشهير جرير (المسلم) الذي دخل في صراع مع الشاعر الشامي المسيحيّ / السوري (الغسّاني) الأخطل، يربط بين القليس اليمني بوصفه كنيسة، وبين الأمويين كمسيحيين (لا مسلمين). هاكم ما يقوله جرير في هجاء الأخطل:

وتَغلبُ لاَ يُصَاهرُهُم كريمٌ ولاَ أَخْوالُ مَنْ وَلَدُوا كرامُ

إذا اجتمعُوا على سُكَرٍ بِقَلْسٍ فنصّوا عِنْدَ ذلكَ والنظام

علَى أستِ التغْلَبية حينَ تجبي صليبُهم وفي حَرها الجذَامُ

يُسَمونَ القَليسَ ولاَ يُسمَّى لَهُم عبدُ المَليك ولاَ هشَامُ

فما علاقة الأمويين بالصليب والسُكْر، و (القليس) اليمني؟ ولماذا يزّج شاعر إسلامي مثل جرير قصة (القليس) اليمني في الصراع مع شاعر مسيحي من أهل الشام الغساسنة ويتهمه بالسُكْر وعبادة الصليب والولاء " للقليس"؟ يمكن لنا أن نلخص للقارئ العربي/ والأجنبي كذلك، الأفكار التي وردت في هذه القصيدة. يقول الشاعر المسلم (جرير) في هجاء الشاعر المسيحي/ السوري الأخطل ما يلي:

إن قبيلتكم (واسمها تغلب) لا أحد يتزوج منها وليس لديكم أخوال من بين العرب، فأنتم تشربون الخمر في (القليس) أي في

الكنيسـة، والعضـو التناسـلي للمـرأة المسـيحية السـورية (التغلبيـة) يـدخل ـِـيْ الصـليب حـين تجثـو علـى ركبتيهـا وهـي تصـلي. وأخـيراً، يرتـأي جريـر أن هـؤلاء يفتخـرون بــ (الكنيسـة/ القلـيس) وبهشـام وعبد الملك كرمز للرّب أو كتجسيد لـه؟ هـذه القصـيدة تنسـف مـن الأساس كل التاريخ الرسمي الزائف الذي يقـول إن الأمـويين كـانوا "خلافة إسلامية". ها هنا تأكيد قاطع مـن شـاعر كبير مـن شـعراء العـرب، كـان علـى مقربـةٍ وتمـاسٍ مباشـرين مـع الدولـة الأمويـة، يؤكد لنا أنها " دولة مسيحية". ما يهمُّنا ـِـيْ هـذا الإطـار المحـدود مـن التحليـل، هـو تأكيـد اللغـويين والشـعراء ـِـيْ العصـر العباسـيّ، أن (القليس) هو (الكنيس/ الكنيسة) حين كانت اليهودية والمسيحية كـدين شـعبيّ، تعيشـان وحـدة خلاّقـة. وأعـد القـارئ أنـني سـأفرد كتابا خاصاً لتحليل هـذا الجـزء مـن التـاريخ ـِـيْ كتـاب خـاص عـن صراع جرير والأخطل: الصراع الإسـلامي/ المسـيحي، لرؤيـة الجـذور التاريخيـة ـِـيْ الالتبـاس السـائد حـول موقـف الإسـلام مـن المسـيحية، وهـو موقـف غـامض ومُلتـبس، يتنـاقض ويتصـالح ـِـيْ الآن ذاتـه مـع النصـوص القرآنيـة. إن سـياق هـذا الكتـاب يفـرضّ علـيّ العـودة إلى نصّ ابن كثير (العصـر الأمـويّ/ العباسـيّ). وأودّ هنـا أن ألفـت انتبـاه القـرّاء إلى الـنص السـابق لابـن كـثير، فهـو يشـير إلى " القلنسـوة اليهوديـة " الـتي كـان يضـعها مسـيحيّو الـيمن فـوق هامـاتهم، فهـي تسقط حين تشرئب أعناقهم وهم يتأملون القليس الشاهق؟ هذا يعني أن المسيحيّة الأولى كانت هنا ـِـيْ صنعاء؟

يضيف ابن كثير[1]

(وعزم **أبرهة الأشرمُ** على أن يصرف حَجّ العرب إليها كما يُحَج إلى الكعبة بمكة، ونادى بذلك في مملكته، فكرهت العرب العدنانية والقحطانية ذلك، وغضبت قريش لذلك غضبًا شديدًا، حتى قصدها بعضهم، وتوصل إلى أن دخلها ليلاً، فأحدث فيها [2] وكرّ راجعًا. فلما رأى السدنة ذلك الحدث، رفعوا أمرهم إلى ملكهم أبرهة، وقالوا له : إنما صنع هذا بعض قريش غضبًا لبيتهم الذي ضاهيتُ هذا به، فأقسم أبرهة ليسيرن إلى بيت مكة، وليخربنه حجراً حجراً)

سوف أعيد كتابة نص ابن كثير بلغتنا المعاصرة تسهيلاً للقارئ العربي والأجنبي:

يقول ابن كثير في روايته ما يلي : إن إبرهة ـ وهنا أصبح اسمه إبرهة الأشرم وليس الحبشي ـ قرر أن يبني كنيسة صنعاء المسيحيّة المركزية لتحجّ إليها القبائل بديلاً عن مكة/ الكعبة الوثنية، لكن عرب جنوب غرب الجزيرة العربية وشمالها، رفضوا بشكل قاطع الإذعان للمسيحية الجديدة أثيوبية المظهر/ رومانيَّة الجوهر. ومن بين أكثر هذه القبائل غضباً كانت قريش. ولذا قام فتيان من هذه القبيلة بالتسلل ليلاً إلى الكنيسة والتغوّط فيها. وحين شاهد القساوسة ذلك أخبروا إبرهة بالأمر. ولهذا السبب أقسم إبرهة أن يدّمر الكعبة؟

(1) : المصدر نفسه.

(2) : أي تغوّط.

والآن: ما هو غير المنطقي في هذه الرواية؟ لو تخيّلنا، فقط لأغراض السجال، أن المشكلة التي واجهت إبرهة مع قبائل اليمن، هي فرض المسيحية كعقيدة/ دين بديلاً عن اليهودية، فهل من المنطقي تخيّل فتيان من قريش الحجاز التي تقيم على مبعدة آلاف الكيلومترات، يمكن أن يتسللوا ليلاً إلى صنعاء للتغوّط؟ إن المسافة الهائلة بين صنعاء ومكة، تجعل من المستحيل تصديق حكاية أن شباناً من شمال الجزيرة العربية، طائشين ومستهترين، يتمكنون من الوصول بهذه السهولة فقط للتغوّط في مكان مسيحيّ يمني؟ في هذا النصّ ارتكب ابن كثير أخطاء فادحة ومزعجة، من ذلك زعمه أن (ذا نواس) كان آخر ملوك حمير وكان مُشركاً، أيّ كافراً، وهو في الحقيقة ملك يمني يهودي نادى بعودة اليهودية إلى اليمن في مواجهة اليهود المرّتدين عن اليهودية والمعتنقين للمسيحية، وهؤلاء تمكّنوا من بناء ما يشبه المملكة في نجران. لقد كان المشركون (اليهود المتحوّلون إلى المسيحية) هم أعداؤه في نجران، لأن هؤلاء ارتدّوا عن اليهودية وآمنوا بالثالوث الروماني الجديد: الله، الابن، الروح القدس، أيّ أن المسيح ابن الرّب، ولذا رأى إليهم كمشركين لأنهم من وجهة نظر اليهودية جعلوا الله أباً له ابن. أما هو ـ أي ذو نواس ـ فلم يكن في الواقع مشركاً لأن الشرك بالله يعني الإيمان بإله آخر. والحال هذه، فقد كان هذا الملك يهودياً لا يؤمن أن للرب ابنا، وهذا عينه المعتقد الإسلامي. لذلك، ومن منظور الإسلام العقيدي، فقد كانت المسيحية الأولى تشرك الإله الأب (الله) مع (ابنه) في حكم العالم، وهذا يعني أنها تشكّك بوحدانية الرّب. وهكذا، فقول ابن كثير أن الملك اليهودي

كان مشركاً هو خطأ لا يرتكبه سوى شخص ساذج. فضلاً عن كل ذلك، ارتكب ابن كثير سلسلة أخطاء أخرى في نصّه، حين خلط وقائع التاريخ بطريقة مثيرة للحزن حقاً، لأن صعود إبرهة الحبشي إلى العرش اليمني، كان في الأصل صراعاً داخل المملكة التي أسسّها وأنشأها الاحتلال الحبشي لليمن، وهي سوف تعرف تالياً باسم مملكة (يكسوم/ أكسوم). لقد فرضت الحبشة منذ عام 27 قبل الميلاد، نفسها كطرف محتل لليمن، ثم عملت على تأسيس اتحاد بين جنوب اليمن وإريتريا/ الحبشة، سرعان ما أصبح اتحاداً مسيحياً. وهذا ما سوف أشرحه بالتفاصيل. ولكن، بحسب هذا النصّ، يكون إبرهة الحبشي قد باشر في الإعداد لغزو مكة إثر اعتداء قرشيين عدنانيين على كنيسة صنعاء وتدنيسها عن سابق قصد، وأن هذا بدا سبباً كافياً للتفكير جديّاً بتدمير الكعبة، بما هي بيت عبادة يخصّ هذه الجماعة، المعادية دينياً لكنيسة القحطانيين الجنوبيين وأتباعها في اليمن والمعروفة باسم القليس. وبكل تأكيد لا يبدو مفهوماً لنا، لماذا جاء عدنانيون (قرشيون) من الحجاز، ليتغوّطوا في كنيسة صنعاء؟ هل من المنطقيّ تخيّل جماعة حجازية تقطع كل هذه المسافة، فقط لتقوم بهذا العمل العدائي دون أسباب جوهرية ؟

وهل يمكن تَخيُّل قرشيين وثنيين، يتضايقون من وجود كنيسة تبعد عنهم آلاف الكيلومترات، وبحيث يغامرون بمهاجمتها، بينما توجد في نجران على مقربة منهم كنائس كثيرة؟ وهل يمكن الافتراض ـ بخلاف منطق هذه السردية غير المعقولة ـ أن المقصود من القرشيين جماعة يمنية تعرف باسم (قريش) في

حضـرموت أو حتـى صـنعاء، وكانـت يهودية معادية للمرتـدين عـن الدين وتحوّلوا إلى المسيحية؟

قد يبدو هذا الاحتمال أكثر عقلانية وأقل جموحاً من خيـال " وجود قرشيين حجازيين " في صنعاء.

سوف نثير هذا الأمر في سياق التحليل.

مـن المؤكـد، طبقـاً لسـياق القصـة؛ فـإن الغـزو المزعـوم لشـمال الجزيرة العربية وقع مباشرة بعد بناء كنيسـة صـنعاء. وإذا مـا تقبّلنـا ولأغراض دراسيّة وحسـب ـ بـرغم الأخطـاء الفاضـحة في هـذا الـنص الركيـك وبشـكل أخص الأخطـاء المتعلقـة بضـبط الأسمـاء وترتيـب الوقائع ـ فرضية وقوع الغزو كمـا قدّمتها السـرديّة العباسـيّة، ففـي هذه الحالة سوف يتعيّن علينا أن نعيد تفكيكهـا حلقـة أثـر أخـرى، ثـم نعيـد بنـاء الوقـائع التاريخيـة بدقـة، ليتسـنّى لنـا فهـم نـوع التلفيـق وطبيعتـه في تأويـل سـور القـرآن وتفسـيرها، وكيـف أصـبح التأويـل مادة جوهرية لإنشـاء تـاريخ رسمـي جديـد للإسـلام، يتناسـب ويـتلاءم مـع طموحـات العباسـييّن واحتياجـاتهم لتثبيـت الخلافـة، بعـد أن انتزعت من مكة ابتداء من العام 60 هجرية خـلال الصـراع مـع عبـد اللّه بن الزبير ـ مرة أخرى حسب التاريخ الرسمي ـ. وسنبرهـن في هـذا الكتاب، أن معظم تأويلات القرآن تمـتّ لتلبيـة هـذه الحاجـة فقـط، ولا علاقة لها بمنطوق الآيات القرآنية أو بالتاريخ الحقيقـي، وبطبيعـة الحال فقد استكملت السردية وظيفتها مع العباسيين.

إن ترتيـب الوقـائع التاريخيـة الصـحيحة يجـب أن يكـون علـى النحو الآتي:

بعد أن استولى ذو نؤاس اليهودي الحميري، وهو الذي يعرُف خطأ باسم يوسف يثأر/ يوسف بن أسار، والرسم الصحيح للاسم هو يوسف يثر أي يوسف الكاهن ـ من كلمة إثر ـ بمعنى الإثري كما في اللهجة المندائية [1] على عرش الحميريين في الجنوب عام 524م، سارع إلى مهاجمة نجران لإخضاع المسيحيين هناك؛ وبالطبع في سياق معارك ضد مختلف القبائل لإخضاعها وهم من أتباع مذاهب دينية، بعضها كان معارضاً للكنيسة الرسمية في بيزنطة، أو تحت تأثير فارس والمدرسة النسطورية، وبعضها الآخر كان متشدّداً ضد سلوك الكهنة اليهود.

ويبدو أن يوسف أسار/ إثري، استغل عاملين هامين في الأزمة مع مسيحييّ نجران [2] ، أحدهما يتعلق بموقف بيزنطة من الأرثوذكسية العربية التي عارضت كاثوليكية الكنيسة الأم، كما عارضت بعض التيارات الفلسفية التي شاعت في هذا الوقت. في الواقع لم تكن بيزنطة مهتمّة بمصير مسيحييّ نجران الذين تعرضوا لاضطهاد يهود اليمن، ماداموا يمثلون من وجهة نظرها (فرق هراطقة) [3]. ولذلك سمّت الوثائق الكنسية السريانية شهداء

(1) : في اللهجة المندائية تعني إثري/ الكاهن (من أثير ، أي الهوائي غير الملموس/ السماوي). ويمكننا رؤية الاسم يثر في قوائم ملك سبأ وحمير بكثرة ، مثلاً : هوثر أثار يافش (نحو 20 ق.م).

(2) : إغناطيوس الثالث، الشهداء الحميريون العرب في الوثائق الكنسية/ المجلة البطريركية ـ دمشق 1966.

(3) : المسيح العربي ـ مصدر مذكور.

الحميريين باسم مثير (الرهبان الحميريون) أو (الهنود [1]). ولهذه التسمية دلالتها، فقد ظلت اليمن منذ سقوط جزيرة سوقطرى في قبضة الإسكندر المقدوني 300 ق.م تعرف باسم الهند. أمّا العامل الآخر، فيتعلق بالوضع الدقيق للعلاقات بين فارس وبيزنطة. لقد كانتا كإمبراطوريتين متنافستين على بسط النفوذ في المنطقة، تشعران بالحاجة إلى الحفاظ على معاهدات الصلح المُبْرَمة بينهما بعد سنوات طويلة من الحرب؛ ولذا بدا أي تحرك من جانب بيزنطة لحماية مسيحييّ نجران، وكأنه اقتراب من حدود فارس السياسية، كما يعني عودة الصدام بينهما. ولمّا كانت بيزنطة في هذا الوقت، وحين استولى ذو نؤاس اليهودي على اليمن، مُنهكة عسكرياً وتعيش فوق ذلك أجواء صراعات عنيفة حول العرش الإمبراطوري، فقد أوكلت للحبشة مهمة التدخل الفوري لفض الاشتباك العنيف بين مسيحييّ اليمن ويهودها، أي بين القوتين الدينيتيّن، وهما كانتا قوّتين محليّتين تتبعان بيزنطة وفارس فعلياً. وهكذا فقد تحرّكت الحبشة بقيادة الضابط الحبشي/ الأثيوبي **أرياط**. أما منافسه وغريمه المسيحي اليمني إبرهة الحَبْشي (وسوف نبرهن تالياً أنه ليس حبشياً)، فلم يكن له أيّ دور خلال المراحل الأولى من الغزو. وحين تمّ إسقاط حكم ذي نؤاس والاستيلاء على اليمن بعد عام واحد فقط من مذبحة نجران، تفجّر صراع داخل

(1) : أوسابيوس القيسري في تاريخه الكنسي (340 م) : 5: 10 واورنميوس هو الذي سمىّ رهبانها (رهبان الهند) وسمىّ الحميريين بـ (الهنود) ك 2/ فـ6 راجع إغناطيوس الثالث ـ مصدر مذكور.

المسيحية الكاثوليكية الموالية لبيزنطة بين جناحين : الجناح الأثيوبي الذي أراد فرض (هيمنة) خارجية أثيوبية على اليمن، والجناح المحليّ اليمني بقيادة إبرهة الحَبْشي (من جبل حبشي في تعز) الذي قاوم هذه النزعة، وسعى إلى فرض نفسه كحاكم محلي باسم الأثيوبيين ولصالحهم.

بدأ الصراع بين إرياط الأثيوبي/ حبشي الأصل، ومنافسه المسيحي اليمني إبرهة الحَبْشي نحو العام 533م[1]، أي بعد أكثر من عشرة أعوام على اغتصاب ذي نؤاس للعرش الحميري. ويبدو من سياق المرويات العربية، أن أرياط حكم نحو 9 سنوات فقط ابتداء من عام 524م، قبل أن يقتله إبرهة الحبْشي المسيحي/ اليمني ويُنصِّب نفسه ملكاً. ولكي يقدّم نفسه لرعاته الأحباش كزعيمٍ

(1) : ابن هشام : السيرة النبوية : قال ابن إسحاق : فأقام أرياط بأرض اليمن سنين في سلطانه ذلك ، ثم نازعه في أمر الحبشة باليمن أبرهة الحبشي [ص: 42] وكان في جنده) حتى تفرقت الحبشة عليهما فانحاز إلى كل واحد منهما طائفة منهم ، ثم سار أحدهما إلى الآخر ، فلما تقارب الناس أرسل أبرهة إلى أرياط : أنك لن تجني ـ أي مكاسب من هذا القتال الداخلي ـ بأن تلقى الحبشة بعضها ببعض حتى تفنيها شيئا فابرز إلي وأبرز إليك ، فأينا أصاب صاحبه انصرف إليه جنده . فأرسل إليه أرياط : أنصفت فخرج إليه أبرهة، وكان رجلا قصيراً وكان ذا دين في النصرانية وخرج إليه أرياط ، وكان رجلا جميلا عظيما طويلا وفي يده حربة له . وخلف أبرهة غلام له ، يقال له عتودة يمنع ظهره . فرفع أرياط الحربة فضرب أبرهة، فوقعت الحربة على جبهة أبرهة فشرمت حاجبه وأنفه وعينه وشفته، فبذلك سمي أبرهة الأشرم وحمل - عتودة الغلام - على أرياط من خلف أبرهة فقتله. وانصرف جند أرياط إلى أبرهة، فاجتمعت عليه الحبشة باليمن.

دينيّ يمني مُخلص، فقد أعلن عن نفسه أنه (**ملك سبأ وريدان وحضرموت ويمنت**) كما جاء في النصوص والنقوش التي تركها لنا وعثر عليها علماء الآثار، كما قام ببناء كنيسة صنعاء الكبرى، لتصبح هي الكنيسة المركزية في المنطقة على أنقاض الكنائس المحروقة في نجران. وهذا هو معنى كلمة (قليس/ كنيس ـ النون واللام عند اليمنيين تتبادلان الوظيفة وفي لهجات القبائل كذلك وكما أشرنا من قبل مثل: إسماعين في إسماعيل/ قنيس/ قليس). هذا الجانب من التاريخ معروف جيداً عند علماء التاريخ والآثار، لكنهم يجهلون جهلاً تاماً، وقوع غزو يمني - حبشي للجزيرة العربية في هذا العصر، ومع ذلك ما فتئت المزاعم تتردّد في كل المؤلفات عن هذا الحدث الذي لا أساس له؛ إذْ لا توجد أي دلائل أركيولوجية أو ثقافية تؤيد نظرية وقوع غزو حبشي/ يمني للجزيرة العربية بقيادة إبرهة. ولو سلّمنا جدلاً لأغراض السجال العلمي، أن إبرهة الحَبْشي كان بالفعل من أصول حبشية (أثيوبية) وأنه اتجه بعد هذه الأحداث لتنظيم حملة عسكرية لإخضاع مكة والطائف، ففي هذه الحالة يتوجب الافتراض، أن أقرب تاريخ محتمل لوقوع حدث من هذا النوع طبقاً لرواية ابن كثير ـ يجب أن لا يتجاوز 543م في أبعد تقدير، أي بعد عشر سنوات من توليه العرش. لقد كان عليه أن يقاتل القبائل لتثبيت حكمه طوال عقد كامل، وكان من المحال تخيّل أنه في هذا الوقت كان قادراً على تنظيم غزو لشمال الجزيرة العربية. وفي هذه الحالة لن يكون الغزو قد وقع عام 570م (عام الفيل)، ذلك أن إبرهة واجه خلال سنوات استيلائه على الحكم، مصاعب كثيرة

مع القبائل اليمنية لتثبيت حكمه، وكان عليه أن يعمل دون هوادة طوال عشر سنوات تقريباً لكسب ولائها. وهذا وضع لا يمكّنه من تنظيم حملة حربية على مكة والطائف. وفي هذه الحالة يجب أن يكون مولد محمد قد وقع عام 543 م (أي قبل التاريخ الرسمي بنحو 27 عاماً). لكن رواية ابن كثير لا تقول ذلك بدقة أو وضوح وربما لا تلتف إليه. وهذا سلوك تقليدي اتسم به معظم ساردي نصوص الحملة الحبشية المزعومة في هذا الوقت (774 هجرية). وهكذا، نشأت سرديّة جديدة لا أصل لها ومليئة بالأخطاء، يرويها التاريخ الرسمي للإسلام.

يضيف ابن كثير[1] بلغتنا المعاصرة ما يلي:

إن إبراهة سار في جيشٍ كبيرٍ ومعه فيلٌ عظيم يقال له محمود، كان قد أرسله له ملك الحبشة ، ويُقال كانت هناك ثمانية من الفيلة أو اثنا عشر فيلاً، ليهدم جدران الكعبة حين تربط السلاسل في الأركان وتوضع في أعناق الفيلة، فلما سمعت قبائل العرب شعرت بالذعر.

(1) : نص ابن كثير بلغته ـ مصدر مذكور ـ : (فتأهب أبرهة لذلك، وسار في جيش كثيف عَرَمرم؛ لئلا يصده أحد عنه، واستصحب معه فيلاً عظيما كبير الجثة لم ير مثله، يقال له: محمود، وكان قد بعثه إليه النجاشي ملك الحبشة لذلك. ويقال : كان معه أيضًا ثمانية أفيال. وقيل : اثنا عشر فيلاً. وقيل غيره، والله أعلم. يعني ليهدم به الكعبة، بأن يجعل السلاسل في الأركان، وتوضع في عُنُق الفيل، ثم يُزجر ليلقي الحائط جملة واحدة. فلما سمعت العرب بمسيره أعظموا ذلك).

وبحسب هذه السرديّة المزيفة، فقد انطلق إبرهة الحَبْشي ليبسط نفوذ الحبشة في شمال الجزيرة العربية، وكان هدفه كملك يمني جديد ـ بعد أن سقط حكم خصمه اليهودي ذو نؤاس ـ أن يعزّز أسس المسيحية في نجران إلى الجنوب الغربي ـ وأن يُحطّم أسس الوثنية في الشمال (مكة والطائف). وبذلك، تكون الحبشة طبقاً لهذه السرديّة الزائفة، قد حققت ما عجزت عن تحقيقه الإمبراطوريتان العظيمتان روما وبيزنطة وطوال قرون من الحروب، أي إخضاع كامل جنوب وغرب وشمال الجزيرة العربية. وهذا غير منطقي ولا ينسجم مع وقائع التاريخ، فكيف تستطيع قوة عسكرية صغيرة، تنطلق من بلد ضعيف تنهشه صراعات داخلية مريرة، أن تحقق للإمبراطورية الرومانية ـ ثم البيزنطية ـ ما عجزتا عنه؟ ولو كان هذا ممكناً من الناحية الواقعية فكيف سمحت فارس بتمدّد الرومان (البيزنطيين) عبر وكلائهم الأحباش في مساحة جغرافية هائلة وبهذه البساطة؟ولماذا تجهل السجلات التاريخية الفارسية وقوع مثل هذا الحادث؟ سوف ندقّق أكثر في فحوى سرديّة ابن كثير الذي يُعدُّ تفسيره عند سائر المسلمين، الأكثر شعبية وقبولاً.

تقول الرواية بلغتنا المعاصرة ما يأتي [1] :

واجه إبرهة أحد زعماء/ أقيال اليمن ويُقال له " ذو نفر " كان يدافع عن (بيت الله) فهزم ذو نفر وأسره إبرهه، لكنه أخذه معه

(1) : رواية ابن كثير بلغته - المصدر نفسه (فخرج إليه رجل كان من أشراف أهل اليمن وملوكهم، يقال له ذو نَفْر فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة، وجهاده عن بيت الله، وما يريد من هدمه وخرابه. فأجابوه وقاتلوا أبرهة، فهزمهم لما يريده الله عز وجل، من كرامة البيت وتعظيمه، وأسر ذو نَفْر فصحبه معه. ثم مضى لوجهه حتى إذا كان بأرض خثعم (1) ، عَرَض له نُفَيل بن حَبيب الخَثعمي في قومه : شهران وناهس (1) فقاتلوه، فهزمهم أبرهة، وأسر نُفَيل بن حبيب، فأراد قتله ثم عفا عنه، وصحبه معه ليدله في بلاد الحجاز. فلما اقترب من أرض الطائف، خرج إليه أهلها ثقيف وصانعوه خيفة على بيتهم الذي عندهم ويسمونه اللات ، .فأكرمهم وبعثوا معه أبا رغَال دليلا. فلما انتهى أبرهة إلى المُغَمّس ـ وهو قريب من مكة ـ نزل به وأغار جيشه على سَرْح أهل مكة من الإبل وغيرها ، فأخذوه.وكان في السرح ـ القافلة ـ مائتا بعير لعبد المطلب سيّد مكة. وكان الذي أغار على السرح ـ القافلة ـ بأمر أبرهة أمير المقدمة ، وكان يقال له: الأسود بن مقصود فهجاه بعض العرب - فيما ذكره ابن إسحاق - وبعث أبرهة حناطة الحميري إلى مكة ، وأمره أن يأتيه بأشراف قريش، وأن يخبره أن الملك لم يجئ لقتالكم إلا أن تَصُدوه عن البيت. فجاء حناطة فَدُل على عبد المطلب بن هاشم وبلغه عن أبرهة ما قال، فقال له عبد المطلب: والله ما نريد حربه، وما لنا بذلك من طاقة، هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم، فإن يمنعه منه فهو بيته وحرمه، وإن يخلّ بينه ـ أي بين أبرهة ـ وبينه، فوالله ما عندنا دَفْع عنه. فقال له حناطة: فاذهب معي إليه. فذهب معه، فلما رآه أبرهة أجله، وكان عبد المطلب رجلاً جميلاً حسن المنظر، ونزل أبرهة عن سريره، وجلس معه على البساط، وقال لترجمانه: قل له: حاجتك؟ فقال للترجمان: إن حاجتي أن يرد عليّ الملك مائتي بعير أصابها لي. فقال أبرهة لترجمانه : قل له: لقد كنت أعجبتني حين رأيتك، ثم قد زَهِدت فيك حين كلمتني، أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك، وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئتُ لهدمه، لا تكلمني فيه؟ فقال له عبد المطلب: إني أنا رب الإبل، وإن للبيت ربا سيمنعه).

وهـو يتجـه في حملـة أخـرى ضـد بـلاد خـثعم (بالطـائف). هنـاك واجـه زعيمـاً قبليـاً آخـر يُـدعى نُفيـل بـن حبيـب وكـان زعيمـاً علـى قبيلتي خثعم وناهس، فهزمهم وكان يرغب في قتل بن حبيب هذا، لكنه لأمر ما عفا عنه ثم أخذه معه في طريق حملته نحو الحجاز. وما أن اقترب من الطائف حتى خرجت قبائل ثقيف، ساعية إلى استرضائه خوفاً من قيامه بهدم معبد اللات، ولذا بعثوا معه شخصاً يدعى أبو رغال ليدلّه على طريق مكة في منطقة تدعى (المغمّس). في هذا المكان شن إبرهة غارة انتهت بالاستيلاء على قافلة تجارية لتجار مكة. وفي القافلة كان هناك عبد يقود مئتي بعير لعبد المطلب جد النبيّ، فاستولى إبرهة على الإبل وأسر العبد. ولذا بعث إبرهة مبعوثاً منه إلى سيّد مكة يطلب اللقاء به. في هذا اللقاء فوجئ إبرهة أن سيّد مكة كان يطالب بإبله ولم يطالب بوقف الهجوم على الكعبة، وحين سأله عن سبب هذا الموقف قال: إنّي أنا رب الإبل، وإن للبيت رباً سيمنعه. بعد ذلك، أمر **إبرهة** ـ بحسب هذه السرديّة ـ قواته بمهاجمة الكعبة ، وطلب من أحد رجاله أن يدفع بالفيل نحو أركان البيت الحرام ليهدمها.

ثم يضيف ابن كثير[1] :

(وضربوا الفيل ليقوم فأبى. فضربوا رأسه ليقوم، فأبى؛ فوجهوه راجعا إلى اليمن فقام يهرول. ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك. ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك ووجهوه إلى مكة فبرك.

(1) : ابن كثير المصدر نفسه.

وأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها : حجر في منقاره، وحجران في رجليه، أمثال الحمص والعدس، لا تصيب منهم أحدًا إلا هلك، وليس كلهم أصابت).

وهكذا، أصبحت (قصة الفيل) هي القصة المركزية، بديلاً من قصة الغزو وهي الأهم، وهكذا أيضاً راح ابن كثير يسرد على قرّاء عصره، كيف أن الغزاة الأحباش ضربوا رأس الفيل ولم ينهض، وحين حاولوا توجيهه صوب الكعبة كان يفرّ ويهرب ثم يجثو ـ علماً إن الفيل لا يستطيع أن يجثو على قدميه وهذا مستحيل نظراً لضخامته ـ. هذا السرد القصصيّ المُنظّم، كان غرضه ترميم النصّ المبتور من رواية غزو إبرهة ومحاولته تهديم الكعبة. لم يكن لدى ابن كثير في الواقع، أيّ وقائع تاريخيّة ليسرد القصة؛ ولذا تحوّل تفسيره للآية القرآنية إلى قصة خيالية. ولذلك سوف يستطرد فيقول[1] : (وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق ـ أي يفتشون عن طريق للفرار ـ. وجعل **أبرهة** يحمل على سائس الفيل وينهره ويضربه، ليقهر الفيل على دخول الحرم. وطال الفصل في ذلك. هذا وعبد المطلب وجماعة من أشراف مكة، منهم المُطعّم بن عدي[2] ، وعمرو بن عمران بن مخزوم[3] ،

---

(1) : كذلك

(2) : المطعم بن عدي: من رجالات قريش من بني عبد مناف، والد الصحابي جبير بن مطعم، وحسب مزاعم التاريخ الرسمي للإسلام فقد عاش في زمن النبي محمد، ولكنّه توفي ولم يعتنق الإسلام. وهذا أمر مشكوك فيه.

(3) : عمرو بن مخزوم : عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم (ولد 644م / 23 هـ ـ توفي 711م / 93 هـ) شاعر قرشي

ومسعود بن عمرو الثقفي [1] ، على ـ جبل ـ حرّاء ينظرون إلى ما الحبشة يصنعون، وماذا يلقون من أمر الفيل، وهو العجب العجاب. فبينما هم كذلك، إذ بعث اللّه عليهم طيراً أبابيل، أي قِطَعاً قِطَعاً صُفراً دون الحمام، وأرجلها حُمر، ومع كل طائر ثلاثة أحجار، وجاءت فحلقّت عليهم، وأرسلت تلك الأحجار عليهم فهلكوا).

سنلاحظ من هذا النصّ الطويل نسبيّاً عند التحليل، أن ابن كثير كتب سردية لا تاريخية مليئة بالأخطاء المريعة، مثلاً أن الشخص الذي أسره إبرهة الحَبْشي في اليمن يُدعى" ذو نفر"، وكان يدافع عن (بيت اللّه)؟ فهل كان البيت في اليمن؟ لو أعاد القارئ قراءة نصّ ابن كثير ودققّ فيه فسوف يشعر بهول المفاجأة : هناك شخص أسره أبرهة في اليمن لأنه كان يدافع عن (بيت اللّه). هذا بالطبع وهو في طريقه إلى الحجاز، وبين اليمن والحجاز آلاف الكيلومترات. فأي بيت هذا؟ هل كان هناك (بيت للّه) آخر في اليمن أراد إبرهة هدمه؟ إن وضع هذه السرديّة في إطارها الجغرافي/التاريخي الصحيح سيقول لنا ما يأتي :

شعر المسيحيون اليمنيون المتحالفون مع مسيحييّ أثيوبيا، والذين أصبحوا فعلياً من أصدقاء بيزنطة الكاثوليكية، أنهم يجب أن يقوموا بعمل موازٍ لبناء الكنائس، أساسه تهديم المعابد الوثنية

---

(1) : مسعود بن عمرو الثقفي. والد عروة بن مسعود الثقفي الذي أرسلته قريش إلى النبي ﷺ يوم صلح الحديبية ليفاوضه، ويومها قال عروة للنبي: أي محمد، أرأيت إن استأصلت أمر قومك، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك. [البخاري]. المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد المعروف بـ (الطبراني)

(القديمة). ولذا هاجم إبرهة منطقة صرواح بهدف تدمير معبد الإله المقه، وهناك اصطدم بقبائل أرحب القوية وزعيمهم ذي ظفر (وليس نفر[1]) وتمكن من أسره. وهذا يؤكد لنا أن حملات إبرهة لإخضاع قبائل اليمن الوثنية أو اليهودية المرتدّة أو المسيحية غير الموالية لبيزنطة التي استغرقت منه عشر سنوات من حكمه، كانت (حرباً أهلية) يمنية/ داخلية، محلية ولا علاقة لها بالجزيرة العربية، وهي دارت حول معبد المقه/ المكه اليمني. لكل ذلك تبدو سرديّة ابن كثير غرائبيّة بشكل لا يمكن تصديقه، فهي بتكرارها لصور الشخصيات الأسطورية تغدو أكثر فأكثر سرديّة لا عقلانية، مثلاً، هي تتحدث عن شخصية خيالية تدعى (أبي رغال) الذي طلبت منه ثقيف أن يصبح دليل الحملة، بينما كنا نعلم أن إبرهة أسر شخصا يدعى نفيل بن حبيب، ثم عفا عنه وكلفه العمل كدليل؟ فهل كان إبرهة يحتاج لشخص يمني وآخر من ثقيف ليكونا من بين أدّلاء حملته ؟ سيكون مفهوماً لنا، مغزى الزّج بثقيف (الطائف) في هذه القصة التشهيريّة؛ إذا ما ربطنا هذه الصورة النمطية بالتنافس الديني بين الطائف ومكة، أي بين اللات والكعبة.

---

(1) : ذو ظفر: ،ذو ظفار، أي " ملك/ قيل" مخلاف ظفار وهي تدعى اليوم يريم في محافظة إب. ولكن لقب ظفر/ ظفار ينصرف إلى جماعة من اليهود المتشددين الذين حرّمت عليهم التوراة أكل أي حيوان (ذي ظفر). جاء في تفسير القرآن العظيم لابن كثير: قال ابن جرير: يقول تعالى: وحرمنا على اليهود ﴿كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ وهو البهائم، والطير ما لم يكن مشقوق الأصابع، كالإبل، والنعام - تفسير ابن كثير، مصدر مذكور وهذا يعني أنه يهودي مرتدّ.

ومـن بـين هـذه الأخطـاء أيضـاً ، أن إبرهـة حسـب مرويـة ابـن كـثير، أسـر شخصـين (زعـيمين قبلـيين) لكنـه بـدلاً مـن قتلـهما اصطحبهما معـه، ولكـن دون أن نعلـم مـن القصـة لماذا ولأي غـرض اصطحبهما وأي دور لعباه في هـذا الصُحبة ، لأن شخصـاً ثالثـاً دخـل فجـأة وأصبح هـو الـدليل، كمـا أن القصـة تـروي حـدثاً عسـكرياً يقفز فيه إبرهة من اليمن إلى الطـائف فالحجـاز دون أي عـائق. وهـذا جـزء هامشـي مـن التنـاقض العـريض في الروايـة. كـان القـرطبي (610هـ) [1] الذي سبق ابن كثير ـ بنحو قرن في تقديم هـذا التفسـير للآية ـ قد أضاف بعض التفاصيل للسردية التي سوف ينقلها الفقهـاء بالتتابع، دون أدنى تدقيق أو نقد. ويبدو لي أن ابن كثير قرأ تفسـير القرطبي بشكل سطحيّ ، وبنى قصة خيالية لا أسـاس لها ودون أن يستند إلى نص القرطبيّ.

يقول [2] :

(فخرجوا يتساقطون بكل طريق، ويهلكون بكل مهلك على كل سهل، وأصيب أبرهة في جسده، وخرجوا به معهم يسقط أنملة أنملة، كلما سقطت منه أنملة أتبعتها منه مدة تمثّ ـ تـنزف ـ قيحـاً ودماً، حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر، فما مات ـ إبرهـة ـ حتى انصدع صدره عن قلبه، فيما يزعمون).

---

(1) : القـرطبي : الجـامع لأحكـام القـرآن، والمبين لمـا تضـمن مـن السـنة وأحكـام الفرقان . طبعة دار الفكـر بيروت ـ دون سنة نشر.
(2) : القرطبي ـ مصدر مذكور.

كل هذه الوقائع لا أساس لها من المنظور التاريخي الحقيقي، وهي مأخوذة من أسطورة موت هرقل [1] ـ التي شاعت في العصر الهليني في كل أرجاء المنطقة، وذلك بعد أن لبس ثياباً مسمّمة مزّقت جسده إرباً إربا. وهذه عينها قصة موت امرئ القيس التي أعادت المصادر الأدبية والتاريخية العربية المعاصرة روايتها حرفياً، وربطت بين موته وعشقه لامرأة من بلاط القيصرالروماني، ويزعم فيها أنه حين لبس البدلة التي أهداها له القيصر، مات مسموماً عقاباً له لأنه عشق أخت ـ أو ابنة ـ القيصر حسب الأسطورة [2]. ولنلاحظ أن كل التفاسير تضع الحدث داخل اليمن، تاريخاً وجغرافية، وأن الحملة المزعومة انطلقت من اليمن. هذا أمر مثير حقاً. في هذا السياق، وحيث بدأت عملية إنشاء سردية مزيّفة عن غزوٍ حبشيّ، فقد زعم القرطبي أن إبرهة الحبشيّ هو إبرهة بن الصبّاح.

---

(1) : APOLLODORUS, THE LIBRARY BOOK 2 - Theoi Classical Texts Library
"Volume: Hellas, Article: Greek Mythology". Encyclopaedia The Helios. 1952كذلك
Arabic theology, Arabic philosophy: from the many to the one, Richard M. Frank,James Edward Montgomery. p.60

(2) : محمد سليم الجندي، امرؤ القيس، الناشر مؤسسة هنداوي سي آي سي LD SL41 ، هاي ستريت، وندسور، المملكة المتحدة ، أحمد حسن الزيات باشا (المتوفى: 1388هـ) مجلة الرسالة، كذلك : د. ريتا عوض، بنية القصيدة الجاهلية: الصورة الشعرية لدى امرئ القيس، بيروت: دار الآداب، 1992، كذلك، محمد بن عبد الله بن بليهد النجدي، صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار، الجزء الأول، ضبط وتصحيح محمد محيي الدين عبد الحميد 1972 ـ دون ذكر دار النشر ـ

وهذا ما سوف يكرّره ابن كثير دون أي انتباه. ولسوف يؤدي ذلك تالياً إلى ظهور مشكلة جديدة، هل هما الشخص نفسه أم هما شخصان، أحدهما يدعى إبرهة الحبشي والآخر يُدعى إبرهة بن الصباح، وعاش كل منهما في عصر مختلف؟ لكن من قام منهما بالغزو ؟ وماذا عن إبرهة الأشرم؟ هذا يعني أن قصة " تفتتّ جسد" إبرهة شبيهة بقصةٍ أقدم عن هرقل اليوناني/ الروماني، وامرئ القيس الكندي/ اليمني، ومع ذلك، فالفحوى النهائية من هذا التماثل لا قيمة لها، بمقدار ما يبدو التماثل في شخصيات إبرهة هو الأهم. ها قد أصبح لدينا ثلاث نسخ من إبرهة: النسخة الأولى الحبشي، والنسخة الثانية الأشرم، وأخيراً نسخة الصباح؟

يزعم القرطبي ما يأتي:

(وسببُ ـ قصة ـ الفيل ما روي أن فتية من قريش، خرجوا تجاراً إلى أرض النجاشيّ، فنزلوا على ساحل البحر إلى بيعةٍ للنصارى، تسميها النصارى الهيكل، فأوقدوا نارا لطعامهم وتركوها وارتحلوا، فهبّت ريح عاصف على النار فأضرمت البيعة ناراً فاحترقت، فأتى الصريخ إلى النجاشي فأخبره، فاستشاط غضبا. فأتاه أبرهة بن الصباح وحجر بن شرحبيل وأبو يكسوم الكنديون، وضمنوا له إحراق الكعبة وسبي مكة. وكان النجاشي هو الملك، وأبرهة صاحب الجيش، وأبو يكسوم نديم الملك، وقيل وزير، وحجر بن شرحبيل من قواده، وقال مجاهد: أبو يكسوم هو إبرهة بن الصباح. فساروا ومعهم الفيل. وقال الضحاك: هي ثمانية فيلة. ونزلوا بذي المجاز، واستاقوا سرح مكة، وفيها إبل عبد المطلب).

وهكذا، جرى تلفيق شخصية أخرى هي شخصية أبو يكسوم نديم الملك النجاشي؛ بينما نعلم أن إبرهة الحبشي هو أبو يكسوم؟ ولنلاحظ أن قصة الفيل قبل قرن واحد من تفسير ابن كثير، تتحدث عن حريق لحق ـ خطأ ـ بالكنيسة، ولم يكن هناك قرشيون أو كنانيون يتغوّطون فيها؟ إن فكرة وجود أشخاص يتغوّطون ويدنّسون الكنيسة، فكرة جديدة طارئة، فلماذا ولأي غرض جرى استبدال فكرة الحريق بالتغوّط؟ إن القرطبيّ الذي سبق ابن كثير بـ100 عام يتحدث في تفسيره عن حريق (وليس تغوّط). لقد قلب ابن كثير السبب الذي أدّى إلى الغزو، وجعله (شنيعاً) أكثر فأكثر، فبدلاً من (الحريق عن طريق الخطأ) صوّره في صورة تغوّط. وهذا هو التلفيق في تاريخ الإسلام الذي أتحدث عنه. تكشف لنا السردية الجديدة، المنتصرة والسائدة عن نمط التلفيق في التاريخ الرسمي للإسلام، فإبرهة الحبشي الذي يعرف بكنيته أبو يكسوم ـ وهو ابنه البكر واقعياً ـ والذي أسس التحالف مع الحبشة، ثم ساهم في قيام المملكة المسيحية معها، ينشطر إلى شخصيتين، إحداهما إبرهة والآخر أبو يكسوم، ويغدو هذا نديماً للملك الحبشي، مع أن ملوك الحبشة (المسيحيون) لم يكونوا يعرفون تقاليد وجود ندامى في بلاطهم.

وإذا ما أضفنا لهما وجود شخص ثالث هو إبرهة بن الصبّاح، فسوف يكون لدينا ثلاث شخصيات كلّ منها هو إبرهة. وهذا غير منطقي، فأيهم قام بالغزو؟ في هذا الإطار، يمكننا رؤية نوع التلفيق بوضوح أكبر، حين ندقّق في المقتطف الآتي من القرطبي [1] نقلاً عن رواة مسلمين لا نعرف عنهم أيّ شيء :

---

(1) : القرطبي المصدر نفسه

قال أحد هؤلاء ـ وهم مجهولون بالنسبة إلينا، لأن الراوي لا يذكر اسماً محدّداً :

(لقد رأيتُ قائد الفيل وسائقه أعميينْ يستطعْمان الناس. وقال أبو صالح: رأيتُ في بيت أم هانئ بنت أبي طالب نحواً من قفيزين من تلك الحجارة ـ أي حجارة السجيل ـ، سوداء مخططة بحمرة).

ثم بلغ التلفيق ذروته حين زعم بعض رواة الحديث، أن معاوية شاهد روث الفيل. وقد طعن كثيرون منهم ابن الأثير ـ في أواخر العصر العباسي ـ بهذه المزاعم. قال الزبيدي (تاج العروس) [(1)] .

(قيلَ لمُعاوِيَةَ: أَتَذْكُر الفِيلَ. قال: أَذْكُرُ خَذْقَه، يَعْنِى رَوْثَه. قالَ ابنُ الأَثير: هكَذا جاءَ في كتاب الهَرَوِيِّ والزَّمَخشَرِيِّ وغيرِهما عن مُعاوِيَة وفيه نَظَر، لأَنَّ مُعاوِيَةَ يصبُو عن ذلِكَ لأَنهُ وُلِدَ بعدَ الفيل بأَكثرَ من عِشْرِينَ سَنَةً فكيفَ يَبْقَى رَوْثُه حَتّى يراهُ ؟)

على هذا النحو تصاعدت استراتيجيات (الطعن في قصص القرآن) حتى العصر العباسيّ المتأخر (مع حملات المغول والفرنجة) حيث وجد ابن الأثير، أن رواية بقاء روث الفيل حتى عصر معاوية هي تلفيق لا معنى له. وبالطبع، إذا ما افترضنا أن الغزو وقع عام 570م عام مولد النبي كما تقول المرويات، فعلينا أن نجد مُسوِّغاً مقنعاً لاحتفاظ أم هانئ بنت أبي طالب شقيقة علي، بقفيزين من الحصى طوال 60 عاماً ؟ وقد يستحيل علينا تقبّل هذا التفصيل

(1) : الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، (المتوفى: 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس ـ المحقق: مجموعة من المحققين ـ لناشر: دار الهداية ـ دون سنة نشر.

الملفق، لأن وقتاً طويلاً جداً مضى بين مولد النبي ـ حسب المزاعم الرائجة ـ في هذا العام ودخوله مكة منتصراً، أي نحو 60 عاماً. كما أن هذا الوقت الطويل لا يسمح بوجود قائد الفيل في الحرم المكيّ حيّاً ووحيداً وأعمى، فكيف لفق الهروي والزمخشري رواية روث الفيل التي شاهدها معاوية؟

لكن، كم عاماً تفصل بالضبط بين ما يُدعى أنه عام الفيل ومولد محمد؟ يبدو أن القرطبي لاحظ هذا التناقض في الروايات التي تربط بين الأمرين، ولذا راح يفتش عن حل لإشكالية هذه السردية، فوجد عند الواقدي الذي سبقه بنحو أربعة قرون (207 هـ) ما يساعده على تقديم مقاربة جديدة؛ فنقلاً عنه، ارتأى القرطبي أن المقصود من اسم **إبرهة** في الحملة الحربية هو :

(إبرهة جدّ النجاشي الذي كان في زمان رسول الله ﷺ، وإبرهة هو الأشرم، سمي بذلك لأنه تفاتن ـ تقاتل ـ مع أرياط، حتى تزاحفا ـ اشتبكا ـ ثم اتفقا على أن يلتقيا بشخصيهما، فمن غلب فله الأمر. فتبارزا. وكان عام الفيل قبل مولد النبي ﷺ بأربعين سنة. قال الكلبي[1] وعبيد بن عمير[2] : كان قبل مولد النبي ﷺ بثلاث وعشرين سنة. وقال في كتاب أعلام النبوة: ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول، وكان بعد الفيل بخمسين عاماً).

---

(1) : أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث بن عبد الحارث الكلبي ويكنى ابن الكلبي (نحو 110 هـ - توفي 204 هـ).

(2) : أبو عاصم عبيد بن عمير الليثي (المتوفى سنة 73 هـ).

طبقاً لهذه الرواية؛ فإن النبي لم يولد في عام الفيل. وهذا أمر مفاجئ لنا وينسف كل أساس قام عليه تفسير سورة الفيل. وهذه الرواية أقدم من رواية ابن كثير بـ400 عام على الأقل، وتؤكد أن محمداً ولد بعد عام الفيل 570 م بـ 50 عاماً ، أي عام 750 م؟ لكن، لماذا وكيف ولأي غرض ثبّت الفقهاء والرواة الذين جاءوا بعد أربعة قرون من موت الواقدي، عام الفيل بوصفه العام الذي ولد فيه محمد ؟

لدينا هنا مشكلات تقنية عدّة تسبّب بهما نص القرطبي :

الأولى :

الفوضى غير المحدودة في ضبط اسم الملك الحبشي الذي قرر غزو مكة، فهل هو إبرهة الحبشي أبو يكسوم، أم إبرهة الأشرم، أم إبرهة بن الصبّاح؟ وهل هو نديم الملك أم جدّه ؟

الثانية :

وتتعلق بمولد النبي، فهو في رواية ولد بعد عام الفيل بأربعين سنة ، وفي أخرى بعد خمسين سنة، وفي رواية أضعف بعد ثلاث وعشرين سنة ، وفي روايات تالية ـ مع العصر العباسي ـ بعد أربعين أو خمسين عاماً، أو حتى عشرين يوماً ؟

الثالثة :

وهي التي تثير المشكلة الأكثر تعقيداً، لأنها تؤكد أن إبرهة الحبشي الذي كان في عصر النبي، هو جدّ النجاشي؟ فكيف أصبح جدّه ونحن نعلم ان الملك الحبشي المسيحي هو الملك النجاشي الذي أرسله في حملة عسكرية لغزو اليمن اليهودية ثم مكة؟ هل

من المنطقي أن ملك الحبشة يرسل جدّه ليقود حملة لغزو اليمن ثم الجزيرة العربية. هذا خيال ساخر. وأي نجاشيّ هو المقصود؟ وهل هو نجاشي آخر؟

في هذه الحالة، بجب أن يكون غزو مكة حدثاً قديماً وقع ذات يوم وكان بطله يدعى إبرهة، وهو جدّ الملك الحبشي الذي احتل اليمن حين أرسله لهدم الكعبة ؟ وهذه بكل تأكيد لوحة خيالية لا صلة لها بالتاريخ. في هذه الحالة أيضاً لن يكون النبيّ محمد قد ولد، لا في عام الفيل ولا بعده (لا بأربعين ولا بخمسين عاماً). من الواضح، أن القرطبيّ ومن جاء بعده من مفسّري القرآن بما فيهم ابن كثير، خلطوا بين إبرهة بن الصبّاح المسلم اليمني الذي عاش في عصر معاوية، وبين إبرهة الحَبْشي المسيحي الذي عاش في عصر مملكة أكسوم. وبين شخص ثالث يدعى إبرهة الأشرم . وهذا ما سوف نتحدث عنه بالتفصيل. في هذا السياق، يأتي تفسير السيوطي[1] بعد نحو ألف عام من تفسير ابن كثير، وألف وأربعمائة عام من تفسير القرطبيّ، ليكرر سرد التفاصيل ذاتها، ولكن ليضيف إليها كل ما هو غريب ويضاعف من حجم الالتباس.

يقول السيوطي :

(كان من حديث أصحاب الفيل أن إبرهة الأشرم الحبشي كان ملك اليمن، وإن ابن ابنة أكسوم بن الصباح الحميريّ خرج

(1) : جلال الدين عبد الرحمن السيوطى (ولد فى القاهرة 1445 ـ توفى فى القاهرة 9 اكتوبر 1505م). كاتب إسلامي ومؤرخ مصرى كبير من العصر المملوكي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور، منشورات دار الفكر، دون سنة نشر

حاجاً، فلما انصرف من مكة نزل في كنيسة بنجران فغدا عليها ناس من أهل مكة فأخذوا ما فيها من الحليّ وأخذوا متاع أكسوم، فانصرف إلى جده مغضباً، فبعث رجلاً من أصحابه يقال له شهر بن مقصود على عشرين ألفاً من خولان والأشعريين).

هكذا، وبعد ما يزيد عن ألف وأربعمائة عام من التفسير العقيم وغير العقلاني لسورة الفيل، يدخل مفسّر ومؤرخ إسلامي متأخر من عصر المماليك في مصر، ليضيف تلفيقاً على (عمارة التلفيق) ويصبح أكسوم ابن بنت الصباح، أي أن الصباح جدّه، ولكنه في هذه الحالة يصبح ابن أخت إبرهة الحبشي، كما يصبح سبب غزو مكة أمراً يتعلق بلصوص سلبوا ابن الأخت ما لديه من الذهب حين كان في كنيسة نجران. وهذا خيال جامح لا مثيل له، فقد انتقل سبب الغزو من (الحريق) ثم (التغوّط) في كنيسة صنعاء إلى (سرقة الحليّ) في كنيسة نجران. وفضلاً عن ذلك تصبح نجران هي المسرح وليس الطائف أو مكة كما في رواية ابن كثير[1].

دعونا ندّقق في رواية السيوطيّ. هاكم ما يقوله :

(فساروا حتى نزلوا بأرض خثعم فتنحت خثعم عن طريقهم، فلما دنا من الطائف خرج إليه ناس من بني خثعم ونصر وثقيف فقالوا: ما حاجتك إلى طائفنا، وإنما هي قرية صغيرة، ولكنا ندلك على **بيت بمكة**، فعليك به ودعنا منك فأتاه حتى إذا بلغ المُغْمّس وجد إبلاً لعبد المطلب مائة ناقة مقلدة فاتهبها بين أصحابه، فلما بلغ ذلك عبد المطلب جاءه، وكان جميلاً، وكان له صديق من أهل

(1) : ابن كثير ، مصدر مذكور، البداية والنهاية/ الجزء الرابع.

اليمن يقال له ذو عمرو فسأله أن يرد عليه إبله، فقال: إني لا أطيق ذلك، ولكن إنْ شئت أدخلتك على الملك فقال عبد المطلب افعل).

طبقاً لهذه السرديّة المتأخرة أكثر من ألف عام على أول نصّ تفسيريّ للسورة، فقد كان هناك صديق لعبد المطلب توسط له للقاء إبرهة؛ بينما تقول رواية ابن كثير ـ أن إبرهة هو من أرسل موفداً منه للقاء سيّد مكة. فأيهما نصدّق ؟ هل نصدّق الراوي المسلم القديم أم الراوي المسلم المتأخر؟ يبدو لنا من سائر هذه الروايات وبالتسلسل الذي عرضناه للقصة خلال روايتها شفاهيا وتحريرياً طوال ألف عام، أن سورة الفيل صارت (موضوعاً قصصياً) لا علاقة له بالسورة قرآنية الأصل، وكل مؤرخ أو فقيه أو قصاص أو مفسّر للقرآن، يمكنه أن يضيف دون أي حرج ما يشاء من تفاصيل، سواء عن الأشخاص أم الأحداث وتسلسلها. بكلام آخر: لم يعد لتفسير السورة أيّ صلة بتاريخ الإسلام الرسمي. لقد تأسسّت سرديّة جديدة لا علاقة لها لا بالدين ولا بالتاريخ. إنها ببساطة سرديّة قصصيّة تقليدية، يمتلك فيها كل راوٍ جديد، حرية أن يضيف ما يشاء على (عمارة التلفيق).

وهكذا، يستمر السيوطيّ في اختراع التاريخ[1] عندما يقصّ علينا قصة لقاء إبرهة مع عبد المطلب :

(فأدخله عليه فقال له: إن لي إليك حاجة. قال: قضيت كل حاجة تطلبها. قال: أنا في بلد حرام وفي سبيل ـ طريق ـ بين أرض العرب وأرض العجم، وكانت مائة ناقة لي مقلدة ترعى بهذا الوادي

(1) : السيوطيّ مصدر مذكور.

بين مكة وتهامة، عليها عير ـ حمولات ـ أهلها، وتخرج إلى تجارتنا وتتحمّل من عدوّنا، ـ أي تبحث عن أمان من اللصوص ـ عدا عليها جيشك فأخذوها، وليس مثلك يظلم من جاوره. فالتفت إلى ذي عمرو [1] (؟) ثم ضرب بإحدى يديه على الأخرى عجباً فقال: لو سألني كل شيء أحوزه أعطيته إياه أما إبلك فقد رددنا إليك ومثلها معها، فما يمنعك أن تكلمني في بنْيتكم ـ أي بيت عبادتكم ـ هذه وبلدكم هذا، فقال له عبد المطلب: أما بنْيتنا هذه وبلدنا هذا، فإن لهما رباً إن شاء أن يمنعهما منعهما، ولكنيّ إنما أكلمك في مالي. فأمر عند ذلك بالرحيل وقال: لتهدمنّ الكعبة ولتنُهبنّ مكة).

في هذا النص لدينا شخص يُدعى أكسوم بن الصبّاح هو ليس ابناً لإبرهة؛ بل ابن ابنته، أي أن إبرهة جده لأمه. وهذه الجملة تمّ قلبها عند بعض المفسرين المتأخرين لتتحول إلى إبرهة جد النجاشي. وهكذا، أصبح إبرهة عملياً هو النجاشي نفسه ملك الحبشة. وهذا أمر غير قابل للتصديق. وهكذا أيضاً تواصل التلفيق لينتهي في العصر المملوكي مع تفسير السيوطي إلى اختراع شخصية جديدة، هي أكسوم بن الصبّاح ابن أخت إبرهة الحبشي. وهذا بكل تأكيد شخص لا وجود له في التاريخ المكتوب.

لقد انقلب الجدّ فجأة إلى ابن أخت؟ ونحن بكل يقين، لا نعرف هذين الشخصين كبطلين حقيقيين، لكننا نعرف شخصاً بعينه يدعى يكسوم وليس أكسوم، وهو ابن إبرهة الذي حكم

(1) : لا يخبرنا سارد النص من هو ذو عمرو هذا الذي يجلس إلى جوار الملك ؟

اليمن بعد مصرع والده. كما سوف نعلم أن شخصاً يدعى ذو عمرو كان يجلس قرب الملك الحبشي حين دخل عبد المطلب. وهذا تفصيل لا أصل له. أما الشوكاني [1] الذي جاء بعد أكثر من ألف ومائة عام (1173هـ) فقد أعاد سرد القصة في تفسيره، كما هي مع تعديلات طفيفة باستخدام مرويات ابن عباس:

(عن ابن عباس قال: جاء أصحاب الفيل حتى نزلوا الصفاح[2]، فأتاهم عبد المطلب فقال: إن هذا بيت الله لم يُسلط عليه أحداً، قالوا: لا نرجع حتى نهدمه، وكانوا لا يقدّمون فيلهم إلاّ تأخر، فدعا الله الطير الأبابيل، فأعطاها حجارة سوداً عليها الطين، فلما حاذتهم ـ اقتربت منهم ـ رمتهم، فما بقي منهم أحد إلاّ أخذته الحكة، فكان لا يحكّ الإنسان منهم جلده إلاّ تساقط لحمه).

وهكذا أضاف مفسّر آخر لقصص القرآن، تفصيلاً جديداً إلى سياق التأويل، فأصبحت الحجارة التي ألقتها طيور الأبابيل حجارة سوداء فيها طين، تصيب الجلد بالحكّة حتى يتساقط اللحم البشريّ. وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه في هذا التحليل، فكل راوٍ جديد يملك الحق الطبيعي في إضافة (تلفيق) جديد إلى (عمارة التلفيق) السابقة. وهذه " الحكة " التي يتساقط الجلد بسببها، تعيدنا إلى الأسطورة اليونانية/ الرومانية عن هرقل، ثم أسطورة البدلة المسمومة التي لبسها امرؤ القيس، حيث تساقط الجلد واهترأ

(1) : محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، من كبار علماء اليمن ولد بهجرة شوكان في اليمن 1173 هـ ونشأ بصنعاء، وولي قضاءها سنة 1229 هـ.

(2) : الصفاح : السفوح الجبلية

الجسد. كل هذا يعني أننا بعد 1200 عام من أول تفسير/ تأويل للسورة القرآنية، صرنا أمام تفاصيل جديدة لم تكن معروفة ، فها هنا حجارة سوداء طينية (وليست بمثل حبة الحمص) وهي تصيب الجلد حتى يهترئ اللحم البشريّ.

يضيف الشوكاني في هذه السرديّة الزائفة والملفقة ما يأتي[1] :

(وأخرج ابن المنذر[2]، والحاكم[3]، وأبو نعيم[4]، والبيهقي[5] قال: أقبل أصحاب الفيل حتى إذا دنوا من مكة استقبلهم عبد المطلب، فقال لملكهم: ما جاء بك إلينا؟ ألا بعثت، فنأتيك بكل شيء؟

فقال: أخبرت بهذا البيت الذي لا يدخله أحد إلاّ أمن، فجئت أخيف أهله، فقال: إنا نأتيك بكل شيء تريد، فارجع، فأبى إلاّ أن

---

(1) : الشوكاني/ مصدر مذكور.

(2) : ابن المنذر النيسابوري (241 هـ - 318 هـ) هو الحافظ أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر بن الجارود النيسابوري.

(3) : الحاكم: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري. من كبار المحدّثين ومن أصحاب الصحاح. أشتهر بكتابه المستدرك على الصحيحين ولد سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة من الهجرة في نيسابور. رحل إلى العراق سنة 341، أنظر ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ـ مؤسسة الرسالة ـ 1422هـ / 2001م

(4) : أبو نعيم الأصفهاني (336 هـ ـ 430 هـ) المؤرخ المسلم الرحالة أبو نُعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى ابن مهران مواليد أصفهان وصاحب كتاب حلية الأولياء

(5) : أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني البيهقي المشهور بالبيهقي، ولد في بيهق (384 ـ 458 هـ)

يدخله، وانطلق يسير نحوه، وتخلف عبد المطلب، فقام على جبل فقال: لا أشهد مهلك هذا البيت وأهله. فأقبلت مثل السحابة من نحو البحر حتى أظلتهم طير أبابيل التي قال الله: ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾﴾ فجعل الفيل يعجّ عجاً ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾.......)

الغريب أن رواة هذه الأسطورة يغرفون من إناء ابن عباس الذي كان في العاشرة من عمره حين توفي النبي؟ ودون أن يتساءلوا عن مصدر روايته؟ يقول البخاري في الحديث (رقم 4748: حدثني موسى بن إسماعيل حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال ، قال ابن عباس توفي رسول الله وأنا ابن عشر سنين). فكيف عرفوا من ابن عباس، وعمره عشر سنوات فقط، أن النجاشي الحبشي سمع عبد المطلب وهو يقول له (ما جاء بك إلينا. ألا بعثت فنأتيك بكل شيء تريد)؟هل يستقيم هذا القول مع قول المفسّرين، إن عبد المطلب أراد أن تُردّ إليه إبله فقط، ولم يكن مستعداً لتقديم أي تنازلات؟ في هذا النصّ، نفهم أن سيّد مكة كان مستعدّاً لتقديم أي شيء وكل شيء، لو، فقط أنه علم بزحف النجاشي أو إبرهة؟ هل هذا القول يتفق مع التأويل الشائع أنه قال له (للبيت ربّ يحميه)؟ لقد روى ابن عباس عن النبي ألف وستمائة وستين حديثاً. لكن، من أين أخذ روايته عن هذا الحادث وعلى أي رواية سابقة اعتمد في سرد قصته هذه؟ إن كل المصادر تصمت صمتاً مُطْبقاً عن ذكر أي مصدرٍ قديمٍ، ولا نكاد نجد في كل المرويات أي سندٍ يرقى إلى عصرٍ سابق على عصر ابن عباس. وهذا ما يثيرُ الشكوك في الدور الذي لعبه العباسيون في إنشاء سرديّة غير تاريخية عن حادث لم يقع

أصلاً، كان الغرض الوحيد منه إضفاء قداسة لا حدود لها على الكعبة (ومكة عموماً). هذا التصعيد لقداسة الكعبة كان في جوهره، يتضمن ردّاً على الأمويين الذين هدّموها خلال حملتهم لقمع تمرّد عبد الله بن الزبير ـ بحسب التاريخ الرسمي مرة أخرى ـ. والآن، بعد أن فرغنا من سرد مرويات أغلب وأهم مفسرّي القرآن، دعونا نفحص مرويات الإخباريين المسلمين. إننا نميّز تمييزاً دقيقاً بين ما كتبه المفسّرون وما كتبه الإخباريون (القصاصون). والآن: سوف نعود إلى أبعد سقف زمني لظهور أول رواية إخبارية عن هذا الحادث (ولا علاقة لها بالتفسير لكنها تستند إليه). هاكم روايات كتاب التاريخ الإسلامي، بعد أن فرغنا من سرديات تفسير القرآن.

ارتأى الإخباري الشهير ابن حبيب (المتوفى سنة 245 هـ / 859م) في (المنمّق [1]) وهو أقدم نصّ يمكن أن نعثر عليه، ولا وجود لأي نصّ سابق عليه، ما يلي:

(كان من حديث الفيل أن نفرا من كنانة خرجوا قبل ـ من ـ اليمن، فلما دخلوا صنعاء، إذْ هم ببيت قد بني كبنيان الكعبة بناه أبرهة الأشرم الحبشي وسماه قليس، فدخل أولئك النفر ذلك البيت فتغوّط بعضهم فيه فارتحلوا فانطلقوا، فوجد ذلك الأثر فغضب أبرهة وقال: من فعل هذا ؟ قالوا له : نفر من أهل بيت العرب، فحلف بدينه أن لا يتركهم حتى يخرّب بلدهم ويهدم بيتهم، فأرسل فجمع فساق العرب وكان أكثر من تبعه خثعم، وكانوا لا يحجّون

(1) : الْمُنَمَّقُ فِيْ أَخْبَارِ قُرَيْشٍ، المحقق : خورشيد أحمد فاروق، الناشر : عالم الكتب، بيروت، الطبعة : تصوير طبعة حيدرآباد الهند (70/1).

البيت ولا يحرّمون الحرم واتبّعه أيضا بنو منبه بن كعب بن الحارث بن كعب، وكانوا لا يحرّمون الحرّم ولا يحجوّن البيت، وكان منهم الأسود بن مقصود قبل ذلك يقطع على الحُجّاج والعمار سبيلهم، وكان ممن اتّبع الأشرم، نفيل بن حبيب الخثعمي في بشر كثير من خثعم).

لنلاحظ، أن المرويات السابقة على عصر ابن حبيب، كانت تؤكد أن ما حدث لكنيسة صنعاء هو حريق نشب خطأ، لكن مع العصر الأموي سوف يتمّ التلاعب بهذه التفاصيل وتستبدل بصورة ساخرة وتحقيرية للتدنيس (التغوّط في الكنيسة). أي أن السبب لم يعد الحريق الخطأ، بل (التغوّط) وهذه صورة عن ذروة التدنيس. وهكذا أصبح للخطيئة مفهوم (أو محتوى) أكثر إثارة للغضب، فهو ليس حريقاً ناجماً عن خطأ شخصيّ؛ بل هو تدنيس متعمّد لمكان مسيحيّ. ويُفهم من نصّ ابن حبيب، والنصوص السابقة، أن سورة الفيل تدور حول حادث تاريخي يتعلق بغضب ملك حبشي شعر بإهانة دينية، وجهها وثنيون من شمال الجزيرة العربية لمعتقداته المسيحية، وأنه لهذا السبب وحده وليس لأي سبب آخر، قام بحملة عسكرية انطلاقاً من اليمن. وهذا يعني أن الرّد على تدنيس الكنيسة الكبرى (التغوط فيها) هو هدم الكعبة. وبذلك، صنع المفسرّون والفقهاء والإخباريون منذ وقت مبكر (نحو 200 هجرية) إطاراً صُلباً للحادث المزعوم يجعله كلياً، وكأنه نوع من الحروب الدينية بين مركزين دينيين: مسيّحية اليمن (والحبشة) ووثنية الجزيرة العربية. وهذا ما يثير الاشتباه في طبيعة التلفيق، لأن مسيّحيي اليمن لم يكونوا في وضعيّة تمكّنهم من قيادة حرب دينية

ضد وثنييّ الجزيرة العربية. لقد كانوا هم أنفسهم ضحيتها ، كما رأينا من حادث اضطهاد اليهود لنصارى نجران في ما يعرف بالأخدود. كان المسيحيّون في اليمن ضعفاء وهم تعرضوا للاضطهاد ، فكيف لنا أن نصدّق أنهم غضبوا فجأة وقرروا غزو مكة شمال اليمن؟ هذا غير منطقي. إن تناقضات الرواية الإسلامية تفرض ـ على أي مُتلقٍ لها ـ أن يظل في وضع حرج وعاجز عن تصديق ما يقال له ، لأنّه لن يتمكن في النهاية من التوفيق بين كل هذه التفاصيل المتناقضة ؛ إذ كيف يكون المسيحيون ضعفاء وهم يُذبحون ويحرّقون في نجران ؛ وفي الوقت نفسه يكونون أبطالاً يقومون بغزو مكة؟ ومن غير شكّ ؛ فإن تصوير مسيحييّ اليمن كطرف مهزوم ، عبر تلفيق واقعة هزيمة إبرهة الحبشي ، هو تصوير يستكمل واقعة هزيمة سابقة كانت قد حدثت في نجران. فما الذي ابتغاه ساردو هذه النصوص من وراء إظهار المسيحية اليمنية كطرف مهزوم؟

وهل هذا التصوير يشمل فرقة دينية بذاتها ، أي مذهب جماعة لها اجتهاداتها المختلفة عن الكنيسة الرسمية أم قصد به المسيحية بذاتها كدين ، وأنها هزمت مرة على أيدي اليهود (ذو نؤاس الحميري عام 524م) ومرة أخرى على أيدي خصومها الوثنيين (عام الفيل 570م)؟

في الواقع لن يكون هذا الجانب من السرديّة مفهوماً ، ما لم يتمّ ربطه عضوياً بتلفيق واقعة التغوّط في كنيسة صنعاء ، بينما رأينا أن أصل القصة هو نشوب حريق فيها نتيجة الإهمال ، تسببّ به تجار كانوا في طريقهم من نجران إلى صنعاء. تعكس هذه الصور

برأينا، جانباً خفياً من تدهور علاقات الإسلام مع مسيحييّ نجران والذي بدأ مع فتوحات العراق في عهد عمر بن الخطاب، حين أمر ـ كما يُزعم في التاريخ الرسمي للإسلام وهذا أمر مشكوك فيه بالنسبة إليّ ـ عام 20هجرية بتهجير كل الأسر المسيحية وإعادة إسكانهم في الحيرة (الكوفة اليوم)، ثم تواصل على نحوٍ ما مع تدهور العلاقات السياسية والدبلوماسية بين العباسيين ومسيحييّ بيزنطة في القسطنطينية. وإذا ما رغبنا في تلخيص ما تقوله رواية ابن حبيب، فسوف نجد أنها تؤكد على الفكرة الآتية :

إن قبائل اليمن كانت ترفض أي قداسة لمكة، ولذا رفضت الحجّ إليها. وهذا مغزى تأكيده (وكانوا لا يحجوّن البيت ولا يحرّمون الحرم)؟ فلماذا كان اليمنيون يرفضون تقديس مكة أو الحج إليها، وما مغزى هذا (الغزو الرمزي) الذي قام به مسيحيّو اليمن؟ هذا يعني أن ظهور مكة كمكان مقدّس لعرب شمال الجزيرة العربية، قد بدأ في هذا الوقت، أي في عصر إبرهة الحبشي 570 م فقط وليس في أي تاريخ آخر، وأن اليمنيين رفضوا أي تقديس له وامتنعوا عن الحجّ إليه. إن رواية ابن حبيب وهي الأقدم بين كل الروايات التاريخية، تؤكد بما لا لُبس فيه، أن اليمنيين عارضوا بقوة ظهور (الكعبة) كمكان بديل عن معبد المقه اليمني/ مكة اليمني في صرواح. ولمّا كان اليمنيون في هذا الوقت يعتنقون المسيحية، فقد وجدوا أن كنائس نجران هي (كعبة) المؤمنين لا كعبة الحجاز. هذا هو محتوى رواية ابن حبيب. إن حملات ما يزعم أنه خليفة المسلمين هارون الرشيد 763 ـ 809م على بيزنطة وفرض الجزية على الملكة البيزنطية إيريني، وهذا بالطبع أمر آخر

مشكوك فيه كليّاً، لأن من قام بذلك هو ملك ساساني من ملوك الفرس وليس خليفة المسلمين، تجسد معنى هذا التدهور. بالطبع، ليس هذا الفصل من الكتاب مناسباً لإثارة قضية شائكة تتعلق بحقيقة وجود خليفة يُدعى ـ هرون الرشيد ـ لأنني أفردت له كتاباً خاصاً سوف أنشره ضمن سلسلة أعمالي الكاملة. ومع كل ذلك، وطبقاً لمرويات التاريخ الرسمي للإسلام، ثمة علاقة بين الأمرين. برأينا أن قصة التغوّط في كنيسة صنعاء ثم نشوب الحرب وهزيمة المسيحية اليمنية ـ الحبشية، لا تعدو أن تكون أكثر من قصة عباسيّة مختلقة أدّت ـ في وقت ما ـ الغرض منها، وهو الرّد رمزياً على إهانات وتعديّات بيزنطة المسيحية على ثغور العراق. وقد يفسرّ هذا الأمر السبب الحقيقي لاختفائها من مرويات عام الفيل التي راجت في العصر الأموي، بينما تظهر بقوة في مرويات العصر العباسي. ويبدو أن علاقات المهادنة مع بيزنطة التي اتبعها معاوية بنصيحة من عمرو بن العاص خلال الصراع مع علي بن أبي طالب، أدت في عهد قسطنطين الثاني (21هـ ـ 48هـ/641 ـ 668م) وثم مع ابنه الإمبراطور قسطنطين الرابع (48 ـ 65هـ/668 ـ 685م) غرضها الكامل في خلق أجواء من التفاهم، انتشرت خلاله مرويات أموية مزيفة تزعم، أن معاوية في صراعه مع علي في الكوفة، تلقى دعماً غير محدود من ملك بيزنطة المسيحي، بينما كان معاوية ـ على العكس من ذلك ـ يقدّم الهدايا والأموال للملك البيزنطي[1] ليؤمن

(1) : اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر، تاريخ اليعقوبي، 3 أجزاء، طبعة النجف، 1358هـ/ وكذلك طبعة بيروت، تاريخ اليعقوبي ـ تحقيق : عبد الأمير المهنا ـ طباعة ونشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ لبنان ، بيروت (أن معاوية ==

عدم مهاجمته لثغور الدولة الأموية كما ارتأى اليعقوبي (ت بعد 292هـ/ بعد عام 904م)؟ وبينما جرى التركيز في هذا العصر على (قصة تهديم الكعبة) من دون ذكر قصة التغوّط في الكنيسة، سنلاحظ على العكس من ذلك، أنها أصبحت العامل المركزي في مرويات الغزو الحبشي خلال العصر العباسي. لقد أرسى ابن حبيب في روايته (عمارة تلفيق جديدة) فوق العمارة التي هندسها مفسّرو القرآن، لكنها مع ذلك تتضمن خبراً تاريخياً مهماً عن رفض مسيحييّ اليمن أي بديل (حجازي) لكعبة نجران. المثير للدهشة أن كنيسة نجران كانت تُدعى (كعبة نجران [1]). أي أن هذا الرفض يستند إلى قاعدة دينية أساسها التنافس بين كعبتين/ كعبة نجران وكعبة الحجاز.

وهذا ما سوف أشرحه في الفصل التالي.

بن أبي سفيان قد بلغه في عام 41هـ/661م أن طاغية الروم قد زحف في جموع كثيرة وخلق عظيم، فخاف أن يشغله عما يحتاج إلى تدبيره وأحكامه، فوجه إليه، فصالحه على مائة ألف دينار).

(1) : ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الأشبيلي (المتوفى: 808هـ) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ـ المحقق: خليل شحادة ـ دار الفكر، بيروت ـ 1408 هـ ـ 1988م " كعبة نجران: قال البيهقي مسافتها عشرون مرحلة وهي شرقي صنعاء وشماليها وتوالي الحجاز وفيها مدينتان نجران وجرش، متقاربتان في القدر والعادية غالبة عليها، وسكانها كالأعراب، وبها كعبة نجران بنيت على هيئة عمدان كعبة اليمن، وكانت طائفة من العرب تحج إليها ".

الفصل الثاني

طبخ " خصي الأغنام "

ارتكب مفسّرو السورة القرآنية المسمّاة (آية الفيل) ومعهم أطقم كاملة من الإخباريين المسلمين المتتابعين طوال 1200 عام سلسلة أخطاء غير قابلة للإصلاح، نجم عنها ظهور فهم سطحي ومُضلّل للنصّ القرآني، ربما يتعارض مع جوهر الإيمان كلياً.

وهنا أبرز هذه الأخطاء :

أولاً :

ما دامت هذه التفاسير ـ والقصص الإخبارية ـ تؤكد أن إبرهة كان مسيحياً، أي موّحداً من أهل الكتاب ـ وهذا صحيح ـ فكيف يمكن لنا تخيّل أن الله انتصر للوثنيين وأرسل طيراً أبابيل لتسحق جيشه؟ طبقاً للتفسير الشائع، يكون الله قد اصطف مع الوثنيين ونصرة لهم وسحق المسيحيين. وهذا غير منطقي ولا مقبول إيمانيا؛ لأن السياق الإيماني ينطوي على فكرة مغايرة، فهو يقف ضد الوثنيين ولن يسحق أيّاً من أهل الكتاب، بينما يمكن الافتراض على العكس من ذلك، وفقط لأغراض السجال، أن إبرهة جاء لتطهير البيت الحرام من الأوثان مثلاً، أو حتى هدمه لإعادة بنائه كبيت طاهر ومقدّس، وهذا أمر سبق للعرب أن

عرفوه، حين هُدمت الكعبة مرات كثيرة فأعادوا بناءها. وطبقاً للتفسير السائد، سيكون على المسلم أن يبتهج لانتصار الوثنيين على الموحّدين. وهذا أمر يتناقض مع جوهر الإيمان الذي يدعو إليه النصّ القرآني. وهذا ما يمكن ملاحظته من التعليم الديني الذي يركّز على معجزة سحق جيش إبرهة المسيحي، وانتصار الوثنيين، لأن الله هو من قام بهذا العمل دفاعاً عن بيته. وهذا التفسير بصورته التي وصلتنا، يعلّم المسلمين معتقداً معادياً في الجوهر للإسلام، أساسه الإيمان بمعجزة إلهية تنسف فكرة التوحيد. بكلام آخر، إذا كان إبرهة مسيحياً، فلماذا يفرح المسلمون لسحق جيشه الذي جاء لتحرير (كعبة وثنية) من الرجس؟ ألم يفعل النبيّ محمد ذلك؟ بيد أن هذا التفسير ـ إذا ما وضع في إطاره التاريخيّ الصحيح ـ فسوف يبدو لنا، وكأنه آخر محاولة عباسيّة لتحطيم مسيحيّة الشام من خلال تصويرها (لعدوان مسيحي) مزعوم على بيت عبادة المسلمين، والغرض من ذلك حشد (كل المسلمين) من حول العباسييّن في مواجهة بني أميّة في الشام، وتحويل المعركة معهم إلى معركة دينية لا بين المسلمين والمسيحيين وحسب؛ بل بين المسيحيّة وبلاد الشام. أيّ خلق إشكالية دينية داخل المسيحيّة نفسها، فالله سحق المسيحيين بالطير الأبابيل.

وهذا هو مغزى صراع الشاعر جرير العباسيّ، مع الشاعر الأخطل المسيحي السوري (الشامي)، وهو صراع تمّ تضخيمه وإشاعته وبحيث بدا كما لو أنه (معركة كبرى) لا مجرد تنافس شعريّ. وسوف أعود إلى هذه النقطة بالشرح في المكان الملائم من هذا النصّ.

ثانياً :

إن تخيّل وجود فيل (أو 8 أفيال) في حملة عسكرية تقطع المسافة الصحراوية الهائلة التي تفصل جنوب الجزيرة العربية عن شمالها وصولاً إلى مكة، هو أمر يتعارض مع أي منطق، لأن السير في صحراء قاسية وشديدة الحرارة وخالية من المياه؛ بل وتعاظم الحاجة إلى كميات هائلة من الطعام والماء للجنود والحيوانات طوال الطريق، تجعل من مسألة استخدام الفيل وسيلة معيقة لتحرك الجيش بأكثر مما هي فعالة له أو ذات فائدة. كما لا توجد أيّ دلائل تاريخية أو جغرافية، تشير أو تلمح إلى أن الفيل استخدم في الحملات العسكرية التي استهدفت الجزيرة العربية في أيّ وقت من تاريخها.

ثالثاً :

إن الكعبة في صورتها العمرانية القديمة - حتى عصر عمر بن الخطاب - كانت بيتاً صغيراً. وبحسب تعبير الإخباريين القدماء (رُضماً من الحجارة فوق قامة الرجل[1]). فما الحاجة إلى فيل (أو أفيال) لهدمها؟ ومعلوم ان قبائل العرب هدمت الكعبة مراراً باستخدام المعاول، وأعادت بناءها بسهولة. فهل من المنطقي تصوّر أن

---

(1) : ابن اسحق، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي : السيرة النبوية (سيرة ابن إسحاق) (ط. العلمية) المحقق: أحمد فريد المزيدي - دار الكتب العلمية - 2004 [ص: 193] قال ابن إسحاق : فلما بلغ رسول الله ﷺ خمسا وثلاثين سنة اجتمعت قريش لبنيان الكعبة ، وكانوا يهمون بذلك ليسقفوها ويهابون هدمها وإنما كانت رُضما فوق القامة ، فأرادوا رفعها وتسقيفها ، وذلك أن نفرا سرقوا كنزاً .

الأحباش كانوا بحاجة لفيل أو أفيال لأجل هدمها، مادام العرب أنفسهم ولمرات متتالية كانوا يهدّمونها بالفؤوس؟ وهي لا تتعدى ـ كعمارة ـ قامة الرجل؟

رابعاً :

إن آية (أصحاب الفيل) لا تشير إلى الجيش الحبشي، ومن الصعب تصوّر أن القرآن يصف جيشاً بمثل هذا الوصف، والأدّق أنه ينصرف إلى جماعة دينية مثل أصحاب الأيكة في سورة الحجر ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾ أو أصحاب الرّس ـ سورة الفرقان ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾﴾. ومثل هؤلاء أصحاب الأخدود في سورة البروج ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾﴾ [سورة البروج: آية 4] الخ).

وهذا يعني شكلياً، وبالنسبة لقارئ يجهل التاريخ القديم، أن الآية تتحدث عن جماعة وثنية تقدّس الفيل (أصحاب الفيل)، وكانت لها طقوسها وشعائرها الخاصة، وأن هذا ما تدّلل عليه آية (ألم يجعل كيدهم في تضليل) أي أن طقوسهم وشعائرهم قادتهم إلى الضلالة. وهكذا، وطبقاً لهذا النوع العجول من الاستنتاجات وهو شائع على أيِّ حال، فمنطوق السورة يشير إلى جماعة دينية تعرضت للفناء، ولا تشير بأي صورة من الصور إلى حملة عسكرية أو دينية (مسيحية) أو أن لها أي صلة بالكعبة. وكنتُ في مساهمة سابقة [1] قد بينت بالدلائل، أن القبائل اليهودية المرّتدة عن اليهودية

---

(1) : البحث عن مملكة حمير اليهودية ضمن مجلدات إسرائيل المتخيلة ـ مصدر مذكور

عام 33 ق.م هي التي حاولت تهديم معبد أورشليم بوساطة الفيل كما يذكر ذلك سفر المكابيين؟ بكلام آخر: استعار المؤرخ المسلم المتأخر من سفر توراتي قصة هدم أورشليم خلال الغزو الروماني لليمن، وقام بإسقاطها على قصة كعبة الحجاز. إن العودة إلى مساهمتي هذه قد تكون مفيدة في جلاء الغموض في هذا الجانب من القصة، ولولا خشيتي من التكرار لأوردت كل التفاصيل.

ولكن، هل قصد إبرهة الحبشي كعبة الحجاز حقاً لهدمها، أم أنه قصد كعبة أخرى، وكان هدفه هو ذاته، أي التخلص من منافسين دينيين؟ بكلام آخر، هل واصل إبرهة عملاً سبق للملك اليمني اليهودي ذي نؤاس أن قام به، وهو إخضاع مسيحيّ نجران وتهديم كعبتهم أي كنيستهم المسمّاة (كعبة نجران) ولكن، من أجل استبدالها بكنيسة صنعاء المركزية (القليس) لأن كعبة نجران هي كعبة فريق / مذهب داخل المسيحية اليمنية، هو الأقرب للفرس ومملكة الحيرة (العراقية) النسطورية؛ بينما الكنيسة الجديدة في صنعاء هي كنيسة كاثوليكية موالية لبيزنطة؟ لو أننا افترضنا أن ملكاً يمنياً مسيحياً قاد حملة حربية ضد كعبة نجران، وأنه سعى إلى هدمها لأنها كنيسة هراطقة، تتناقض تعاليمها مع الكنيسة الأم في بيزنطة، فسوف يكون الأمر منطقياً، فها هنا مسيحي يمني يهاجم فرقة مسيحية معادية. كانت مشكلة هؤلاء، بالنسبة لروما ثم بيزنطة ووكيلتهما الإقليمية الحبشة، أنها كانت مركزاً مهماً للجماعات المتهمّة بالهرطقة، وكانوا الأشد رفضاً للكنيسة الأم، وكانت كنيستهم الكبرى

التي تعرف ب (كعبة نجران) واسمها الصحيح (دير نجران [1]) تلعب دوراً أساسياً في اجتذاب القبائل العربية المسيحية في العراق. وللحفاظ على النصرانية العربية الأولى، أي المسيحية الشرقية الحقيقية (دين عيسى بن مريم) في مواجهة المسيحية الرومانية، فقد

(1) : أبو الفرج الأصبهاني، الديارات : دير نجران وهو باليمن، وتسميه العرب كعبة نجران، وهو لآل عبد المدان بن الديان من بني الحارث بن كعب، ومنه جاء القوم الذين أرادوا مباهلة النبي. قال: كان لآل عبد المدان، سادة بني الحارث أهل ثلاثة بيوت من اليمن نصارى، يتبارون في البيع وزيِّها وحسن بنائها: آل المنذر بالحيرة، وغسان بالشام، وبنو الحارث بن كعب بنجران، فتكون دياراتهم في المواضع الكثيرة الشجر والرياض والغدران، الشامخة البناء، ويجعلون آلاتها من الذهب والفضة وستورها من الديباج، ويجعلون في حيطانها الفساسف، وفي سقوفها الذهب، وكان بنو الحارث على ذلك، إلى أن جاء الإسلام. وفي كعبتهم هذه قال الأعشى أعشى قيس بن ثعلبة:

وكعبةُ نجران حَتْمٌ علي ... كِ حتّى تُناخي بأبوابها
نزورُ يزيدَ وعبدَ المسيح ... وقيساً وهم خيرُ أربابها

الحموي، ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي شهاب الدين أبو عبد الله. معجم البلدان، الناشر: دار صادر ـ 1993 المجلد الرابع "ص 373 ـ 375": "فلما ولي عمر (رض) أجلاهم (ويقصد المسيحيين في نجران واليمن) واشترى منهم أموالهم. قال أبو حسان الزيادي انتقل أهل نجران إلى قرية تدعى نهر إبان من أرض الهجر المنقطع من كورة بهتباذ من طهاتيج الكوفة". وسكنوا في قرية ودعوها نجران أو نجرانة أو نجرانية قرب الكوفة. وابتنوا كنيسة دعوها الأكيراح. وشخصوا جماعة إلى الخليفة عمر فتظلّموا يريدون العودة إلى ديارهم فرجع الجواب وقد مات عمر. فانصرف النجرانيون إلى قريتهم ثم شخصوا إلى الخليفة عثمان "رض" فكتب في أمرهم إلى الوليد بن عتبة فألفوه وقد أخرجه أهل الكوفة، فانصرف النجرانيون مرة ثانية إلى قريتهم وكثر أهلها وغلبوا عليها".

اهتمّت كعبة نجران وكهنتها، بأن تصبح هي المركز الدينيّ الذي يجسدّ المسيحية العربية الشرقية غير الخاضعة لروما ثم بيزنطة، لأنها أقرب لمسيحيّة أهل العراق النساطرة الأرثوذكس. إن أهمية رواية ابن حبيب، برغم الترهات والأخطاء التي امتلأ به نصّه، تكمن هنا، فهو الوحيد بين الإخباريين المسلمين الذين أشاروا بدقة إلى المسرح الحقيقي للغزو .

يقول ابن حبيب (76/1) :

(وأقبل معهم رجلان من بني سليم وكانا خليعين ـ فاجرين ساخطين على الدين ـ فلحقا بنجران، فأقبلا معهم يقال لأحدهما محمد وللآخر قيس ابنا الخزاعي بن حزابة بن مرة بن هلال، فدعا الأشرم، قيس بن الخزاعي فقال: امدحني واذكر مسيري).

سوف أعيد صياغة هذه الفقرة من النصّ بلغتنا المعاصرة : خلال الحملة على نجران لتهديم كعبتها، التحق زعيمان قبليان (كانا خليعين أي منبوذين من قبيلتهم بني سليم). لكن لماذا هما خليعان/ منبوذان؟ لأنهما بكل تأكيد كانا من معارضي كنيسة نجران، وينظران إليها على أنها كنيسة هراطقة. والتحاقهما بالحملة يؤكد أنهما من مسيحيي الكنيسة الحبشية / البيزنطية الأم. وهذا ما يفسّر لنا قول ابن حبيب أن إبرهة طلب منهما أن يمتدحا حملته ، أي أن يعلنا على الجمهور العام تأييدهما للحملة (امدحني واذكر مسيري).

يضيف ابن حبيب [1] :

(وخرج الأشرم حتى نزل منزلاً له من نجران ، وصادفه يوم عيد لا يؤكل فيه إلا الخصي، فأمر بالخصي فطبخت وقدمت إلى الناس، فتحامتها العرب إلا خثعم فإنها أكلتها ، وقالت للأشرم أيها الملك، إن من معك من مضر أبوا أن يأكلوا من هذه الخصي شيئا ، وهم يعيّروننا بها لأكلنا إياها ، فغضب الأشرم وأرسل فأخذ له ناسا من مضر فأخذ فيهم قيس بن خزاعي وأخوه، وقد كان أمرهم أن يسجدوا للصليب فلم يسجد له من معه من مضر).

نفهم من هذا النصّ أن الحملة تصادفت مع عيد مسيحي شرقي يأكل فيه مسيحيو نجران ـ ضمن وليمة طقوسيّة ـ الخصي (بيض الغنم المشوي ـ خصيتا الخروف).

ولذا طلب إبرهة أن تقدّم للقبائل وليمة طقوسية من (خصي الغنم). لكن القبائل الوثنية وبعض الفرق المسيحية رفضت تناول هذا القربان، باستثناء قبيلة خثعم. ولأن القبائل عابت على خثعم تناولها هذا القربان، فقد خاطبت إبرهة بشكوى مريرة. وهكذا فقد غضب إبرهة وطلب من قبائل مضر (كنانة أمّ قريش) أن تسجد للصليب. ولأجل تنفيذ هذا القرار جاء بالزعيمين (الخليعين) اللذين التحقا به وطلب منهما أن يعلنا عن خضوعهما للصليب.

كل هذه التفاصيل تؤكد لنا بشكل قاطع، أن مسرح الحدث لم يكن الحجاز (مكة) بل نجران (وكعبتها)، وأن جزءاً

---

(1) : المصدر نفسه

عضوياً من هذا الصراع كان يدور حول خضوع الفرق المسيحية الشرقية/ النسطورية للصليب، لأن هذه الفرق كانت ترفض فكرة صلب المسيح ولا تؤمن بالصلب ولا الصليب. وهذا ما يجب أن يحيلنا إلى نصوص القرآن عن فكرة صلب المسيح التي يرفضها المسلمون. وهكذا، يمضي ابن حبيب في سرد روايته، ولكن لينتقل فجأة من نجران إلى الطائف. وهذا غير مفهوم أو مقبول جغرافياً بسبب المسافة الهائلة بين المكانين.

يضيف ابن حبيب ما يلي [1] :

(ثم سار حتى نزل بالطائف وقيل له إن ههنا بيتا للعرب تعظّمه، فلما نزل بهم خرج إليه مسعود بن معتّب الثقفي وكان مُنكراً [2] ، وأهدى له خمراً وزبيباً وأدماً، ثم قال: أيها الملك إن هذا البيت ليس بالبيت الذي تريده ، إنما البيت الأعظم الذي تريد هو الذي صنع أهله ما صنعوا أمامك، وإنما نحن في مملكتك فامض).

ما يثير دهشتنا في هذا النصّ، إنه يُعيد تثبيت العامل الدينيّ وليس أي عامل آخر كسبب للغزو الحبشيّ، ولكن في الآن ذاته ليحصره في منطقة نجران وليس في مكة، حيث أمر الملك المسيحي بأن تقام وليمة دينية من الخصي المشوية أو المطبوخة، وهو ما أنفت منه قبائل جنوب غرب الجزيرة وحلفائها، وبعضها التفّ من حولها

(1) : المصدر نفسه.

(2) : لا تبدو كلمة (مُنكراً) مفهومة. فماذا ينكر؟ الصحيح (متنكّراً أي مقنَّعاً، بمعنى يضع النقاب على وجهه) وهذه من شعائر وطقوس أهل الطائف. وكنتُ شرحت هذا الجانب من الطقوس في مساهمة منفصلة عن سوق عكاظ (سوف أنشرها قريباً) لكنني سأعطي هنا مع ذلك بعض تفاصيلها.

مثل مضر وكنانة. ليس طبخ الخصي وحده ما أنف منه العدنانيون أبناء كنانة؛ بل أن يُطلب منهم السجود للصليب. كما يدهشنا في هذا النصّ، أنه انتقل فجأة من نجران إلى الطائف لأجل أن يهدم (كعبتها). لكن زعيماً من ثقيف هو مسعود بن مُعتّب الثقفي، خرج إليه بنقابه (كلمة مُنكراً برأيي هي تصحيف لكلمة متنكرّ أي متنقّب/ يضع النقاب على وجهه). وهذا الزعيم هو الذي اقترح عليه أن يهدم (كعبة الحجاز) وليس (كعبة الطائف). فماذا يعني ذلك؟ يمكن في هذا السياق تسجيل بعض الأخطاء التي ارتكبها سارد النصّ ابن حبيب :

1: إذا كانت كنانة [1] الوثنية كما يُزعم (أي قبيلة مضر الأم)هي التي أهانت المقدّسات المسيحية وبعض أفرادها تغوّطوا في الكنيسة وبالطبع تسبّبت بالحرب، فمن غير المنطقي أن تكون في عداد الجيش الذي يفترض أنه يتجه لتهديم بيتها الديني (الكعبة)؟ هذا تناقض غير قابل للحل في الرواية الإسلامية.

في هذه الحالة هي قبائل يمنية وليست حجازية، لأنها كانت في عداد جيش إبرهة. أي أنهم جماعات يمنية معادية للمسيحية بدلالة أنها رفضت السجود للصليب. بكلام آخر: هذه قبائل ظلت على يهوديتها، لكنها خضعت لحكم ملك مسيحي وكانت ضمن جيشه. وهذا وحده ما يفسّر لنا سبب رفضها الوليمة الطقوسية والسجود للصليب.

(1) : حتى اليوم هناك ساحل طويل في جنوب اليمن سكنته كنانة قديما يعرف بساحل كنانة.

2: ولئن افترضنا أن هذا أمرٌ محتملٌ لسببٍ ما، فسوف يتعيّن علينا أن نجد أي مغزى أو مُسوِّغ لوليمة (الخصي/ المشوية/ المطبوخة). فهل هذه وليمة مسيحيّة أم وثنية؟ هل هناك وليمة طقوسيّة في أي دين من الأديان المعروفة، تتضمن وجبة من (خصي الأغنام)؟

3: وإذا كان هؤلاء ارتضوا مشاركة الملك المسيحي في الحملة العسكرية بدوافع غير دينية، وإذا ما كان الملك قد أولم لهم وليمة (مقدّسة) في مكان مسيحي تاريخي (نجران)، فما علاقة الامتناع عن تناول الطعام (الخصي المطبوخة) برفض السجود للصليب؟

إنهما أمران متناقضان، لأن طقس السجود للصليب طقس توحيديّ؛ بينما تناول (وليمة مُدنّسة) طقس وثني؟ فهل كانوا وثنيين حقاً، أم كانوا فرقة مسيحية تتعارض تعاليمها مع مسيحيّة الحبشة؟ أم أن كنانة كانت يهودية وهي رفضت السجود للصليب كما طلب منها إبرهة الحبشي المسيحي؟

4: إن ابن حبيب في نصّه يؤكد أن الزعيم القبلي خرج متنقباً/ مُنقّباً (يضع الخمار على وجهه)، لكن محقق النصّ لم يفهم الكلمة فرسمها في صورة (مُنكراً). أي ينكر شيئاً ما، وهذا غير مفهوم. والصحيح أنه قصد (مُتنكراً). وطقس التنكرّ هذا طقس يهودي قديم روت التوراة تفاصيله بدقة، كما سجلته مرويات العرب، وهو طقس ديني احتفالي (كرنفالي) يرتبط بأعياد دينية يهودية (ما يسمىّ عيد المساخر[1]). وهذا ما يؤكده سفر الملوك 1:22 : 30

(1) : عيد المساخر: في العبرية يدعى العيد اليهودي يوم طوب (יום טוב؛ حرفيا "يوم طيب") اليوم الجيد أو الصالح.

(وتنبأ جميع الأنبياء هكذا قائلين إصعدْ إلى راموت جلعاد وأفلح[1] ، فيدفعها الرب ليد الملك וכל הנבאים נבאים כן לאמר עלה רמת **גלעד והצלח** ונתן יהוה ביד המלך:

(فقال ملك إسرائيل ليهوشافاط إني اتنكّر وأدخل الحرب. وأما أنت فالبس ثيابك. فتنكّر ملك إسرائيل ودخل الحرب. ויאמר מלך ישראל אל יהושפט התחפש ובא במלחמה ואתה לבש בגדיך ויתחפש מלך ישראל ויבוא במלחמה)

هذا النصّ من التوراة يؤكد لنا أن (التنكرّ/ ارتداء القناع/ النقاب) هو طقس يهودي يخصّ الرجال (ثم انتقل تالياً إلى النساء ضمن الطقوسيّة نفسها). وهي طقوسيّة ترتبط بالتقاليد البطولية للقبائل المحاربة. والمثير للدهشة أنه يرتبط بمديرية تُدعى اليوم"أفلح" وتسمّى "أفلح الشام ـ انظر الهامش".

والآن، ثمة نص مثير نقله التوحيدي[2] عن مصادر قديمة يقول ما يلي :

(1) : أفلح: لا يوجد مكان في العالم كله يدعى أفلح سوى " أفلح " في اليمن ويُدعى " أفلح الشام " في محافظة حجة في اليمن. يبلغ عدد سكانها 54054 نسمة حسب إحصاء عام 2004 تقع المديرية في وسط محافظة حجة وتضم أكثر من أربع عزل.وتتسم بالطابع القبلي وهي ذات قرى وحصون جبلية سكانها من المزارعين، أنظر : صفحة مديرية أفلح الشام في GeoNames ID". GeoNames ID.

(2) أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (المتوفى: نحو 400هـ) ، البصائر والذخائر ـ المحقق: د/ وداد القاضي ـ دار صادر ـ بيروت ـ 1988م ص146

(وأما أديان العرب فإن النصرانية كانت في ربيعة وغسان وبعض قضاعة؛ واليهودية كانت في حمير وبني كنانة وبني الحارث بن كعب وكندة؛ والمجوسية كانت في تميم، منهم زرارة بن عدس وحاجب بن زرارة، والأقرع بن حابس؛ وكانت الزندقة في قريش).

هذا يعني أن قبائل كنانة التي رفضت أوامر إبرهة، كانت يهودية الديانة. ولذا، فقد رفضت الوليمة المقدّسة وامتنعت عن السجود للصليب. وبكل تأكيد، فقد بدت فكرة الصليب الرومانية الأصل، فكرة غريبة عن مسيحية العرب التي لا تعرف الصليب ولا تعترف بالصلب، وهو ما أكد عليه محمد والقرآن. ولذا، تصبح أسطورة الفيل مفهومة فقط، حين نعدُّها معركة خاضها إبرهة الحبشي، اليمني المسيحي التابع لكنيسة روما، والمُقدّس للصليب والمؤمن بفكرة الصلب، ضد قبائل مضر، وكنانة في نجران التي رفضت مطالباته بتغيير عقيدتها الدينية؛ ولذا سعى إلى هدم كنيستها التي تعرف ب (كعبة) نجران، وليس كعبة الحجاز. لذلك؛ إذا ما تقبلنا فرضية وقوع الحرب في هذا المكان وعلى خلفية دينية، فيجب في هذه الحالة أن نعيد بناء تصوراتنا عن مسألتين مركزيتين، هما في صلب الحدث :

أولهما:

إنَّ تغوّطّ شبان من كنانة أو قبيلة مُضر في كنيسة صنعاء وتدنيسها، هي رواية لا أساس لها. والصحيح، أن هؤلاء كانوا يرفضون الحجّ لكنيسة صنعاء، ومن المحتمل أنهم إمّا كانوا من بقايا يهود اليمن، أو من اليهود الذين تحوّلوا إلى النصرانية (دين

عيسى) العربية التي لا تعترف بالصليب الروماني، أي كانوا (أحنافاً) يعظّمون من شأن كنيستهم (كعبة نجران). وكنتُ تحدثت مطوّلا في مؤلفاتي السابقة حول المرتّدين عن اليهودية والمتحوّلين للمسيحية (انظر إسرائيل المتخيّلة). لقد استخدم ساردو النصوص التاريخية - الإخبارية في العصر العباسي هذه الذخيرة القديمة من المعلومات والوقائع وأعادوا توظيفها في سردية جديدة، تتضمن نوعاً من (التحقير) للمسيحية.

وبرأيي، أن الأصل في واقعة التغوّط في الكنيسة يعود في جذوره إلى صراع مذهبي بين فرقتين مسيحيتين في اليمن، إحداهما ذات ولاء ديني وسياسي للحبشة، وهذه يمثلها إبرهة الحبْشي ـ أي من جبل حبْشي في تعز - وتنتمي للكنيسة الرسمية في روما/ بيزنطة الكاثوليكية، وأخرى يمنية أرثوذكسية ذات ميول محلية وتنتمي لدين عيسى بن مريم، أي النصرانية الأولى الشرقية، وهذه فرقة لا تعترف بالصلب ولا بالصليب، وترى ـ كما سيرى الإسلام لاحقاً ـ أن المسيح لم يُصلب. وفي هذه الحالة يمكن الافتراض أن هذه الفرقة كانت ترفض عبادة الصليب التي أضحت أساسية، وركناً صُلباً من أركان مسيحية الحبشة وروما. وهذا هو مغزى رفض قبيلة مضر السجود للصليب. لقد سعى إبرهة إلى التودّد إليهم بأن يغيّروا من عقائدهم ويتقبلوا فكرة الصلب والصليب؛ ولذا أقام لهم وليمة طقوسية. لكن هؤلاء رفضوا حضور الوليمة على خلفية محاولات إبرهة الضغط عليهم لتغيير عقيدتهم. وهذا هو المغزى من مروية امتناعهم عن أكل الخصي المطبوخة. لقد رأوا فيها وليمة خالية من الطهارة ومخالفة لشروط الذبيحة المقدّسة.

ثانيهما :

إن الموضع الذي جرى فيه الحدث هو نجران، وبالتالي، يجب أن تكون الحرب التي شنها إبرهة قد وقعت هنا وليس في أيّ مكان آخر، وفقط على خلفية دينية حيث اشتدّ الصراع في هذا العصر بين الفرق والمذاهب المسيحية المتخاصمة. وكما اضطهد ملك يهودي، مسيحييّ نجران من قبل، أي الملك ذو نؤاس؛ فمن المنطقي الافتراض أن ملكاً آخر، ولكنه هذه المرة على دين المسيح هو إبرهة، قام بالعمل نفسه ضد الجماعة نفسها، وكانت حملته تستهدف تدمير كنيسة دير نجران النسطورية (الأقرب لفارس) التي يسميها العرب القدماء كعبة نجران، بوصفها كنيسة موالية لأعداء كنيسة الحبشة/ بيزنطة (الكاثوليكية). في هذا الإطار وحده، يجب أن نرى في قصة الغزو، قصة حقيقية اتجهت لتهديم كعبة نجران وليس كعبة الحجاز، لأنها كعبة مسيحية معادية لبيزنطة، أي أنها كنيسة أكثر أرثوذكسية وأقل كاثوليكية، ومنْ قام بهذه المحاولة شخص مسيحيّ مؤمن، ولكنه موال للكنيسة البيزنطية ضد كنيسة النساطرة في نجران (الذين كانوا على صلة بكنيسة الرها في الشام). أما قصة الفيل، فهذه لا أصل لها، لأنها مستعارة من حادث قديم يخص يهود اليمن. أعيد التذكير ـ هنا ـ بأن هذا الحدث القديم تكرر في التاريخ، وأن حروب الفرنجة (ما يعرف بالحروب الصليبية نحو 1100 م) شهدت تهديم وحرق كنائس بيزنطة بدعاوى أنها كنائس هرطقة مسيحية. لقد أحرق مسيحيّو أوروبا مع ما يسمّى الحروب الصليبية، كنائس الشرق المسيحية وحتى أنهم حطّموا تماثيل مريم العذراء والمسيح.

سنبدأ بمناقشة المرويات الملفقة، الأموية والعباسية ونتحقّق من صحّة وقوع الحدث :

إذا ما سلّمنا لأغراض النقاش العلمي بصحّة واقعة زيارة عبد المطلب لمعسكر إبرهة، ففي هذه الحالة يجب أن نفترض أن سيّد مكة كان حيّاً وفي صحة جيدة تمكّنه من السفر لمسافة طويلة للقاء الغزاة الأحباش، وذلك نحو العام 543م. ويمكن الافتراض كذلك، أنه ربما كان في الستين من عمره على الأقل.

وهذا أمر مقبول نسبياً، ولكنه سوف يتناقض مع بعض الوقائع التاريخية الصحيحة والموثقة والصادمة. فهل كان عبد المطلب هو سيّد مكّة بالفعل في عهد إبرهة الحبشي؟ إذا كان هذا صحيحاً، فمن غير الصحيح تخيّل أنه التقى إبرهة الحبشي في عام الفيل 570م، للأسباب الآتية:

أولاً :

إن إبرهة الحبشي لم يعش حتى العام 570م أي العام الذي يُزعم أنه عام الفيل، لأنه مات قبل وقوع هذا الحدث بنحو خمس سنوات (العام 565م). وفي العام نفسه توفي الإمبراطور الروماني جوستنيان (527 ـ 565 م) فاضطربت إمبراطوريته واستقلت عنها أجزاء كثيرة (غرب أوروبا) بينما شنت قبائل عربية هجمات منظّمة على القسطنطينيه. وفي هذا الوقت كان معد كرب بن سمه يفع (ما يعرف في المرويات الإخبارية بسيف بن ذي يزن بن سمع يافع أي معد كرب اليافعي من قبيلة يافع) الذي فقد سلطانه على أجزاء من جنوب اليمن، بعد استيلاء الملك اليهودي ذي نواس الحميري على العرش، يستعد لتجربة محاولة أخيرة لإقناع الفرس بمساعدته من

خلال استغلال الاضطراب في بيزنطة وتراخي قبضتها في الحبشة. وبالفعل، باشر اتصالاته مع مملكة الحيرة أبناء عمومته من مسيحييّ العراق، لترتيب لقاء مع الملك الفارسي أنو شروان. إن التاريخ الموثق بالنقوش والسجلات، يؤكد لنا، أن إبرهة قتل/ مات في هذا الوقت، وبعد نحو ثلاثين عاماً من تنصيب نفسه ملكاً على اليمن، أصبح ابنه البكر إكسوم/ يكسوم (القسوم) ملكاً على اليمن، وهو الذي أسّس الاتحاد المسيحي الذي ضمّ اريتريا مع عدن والحبشة (ما يعرف باسم دولة أكسوم). هذا يعني أن حادث الفيل برمّته لم يقع، إذْ كيف يمكن لعاقل أن يتصور وقوع حدث مات بطله قبل وقوعه بخمس سنوات؟ ما يقوله التاريخ المكتوب أن إبرهة قتل في اليمن بعد صراع مع خصوم قبليين معارضين لحكمه، وأن ابنيه يكسوم/ أكسوم ثم مسروق [1] من بعده، حكما اليمن حتى تحريرها على يد سيف بن ذي يزن (سيف ذو الأذن) بدعم من فارس عام 579م، وأنه لم يخرج قط من اليمن. كما أن عهده كان عهد حروب داخلية لتثبيت سلطته في مخاليف (ممالك) اليمن المتمرّدة ، وأنه لهذا الغرض ولاستمالة القبائل لتأييد ملكه، أمضى وقتاً طويلاً في محاولات يائسة وفاشلة لإصلاح سد مأرب. كما أن ابنه يكسوم/ أكسوم هو الذي أسسّ للتحالف اليمني الجنوبي مع الحبشة، وهو من أنشأ ما يعرف بمملكة (أكسوم/ يكسوم) وهي

(1) :ابن اسحق/ ابن هشام : السيرة: [ص: 62] قال ابن إسحاق: فلما هلك إبرهة، ملك الحبشة ابنه يكسوم بن إبرهة، وبه كان يكنى، فلما هلك يكسوم بن إبرهة ملك اليمن في الحبشة أخوه مسروق بن إبرهة ـ هذا حسب الرواية الرسمية التي ننقدها -

تحولت ـ فيما بعد ـ إلى تحالف مسيحي يمني/ حبشي/ أريتري. وهذا ما تقوله لنا النقوش اليمنية التي تؤكد ما يأتي :

إن إبرهة أصبح ملكاً بفضل دعم قبائل حميرية (بما أنه من أصل حميري من ذي المعاهر) وبفضل الدعم الذي ناله من الأذواء والأقيال (الأمراء والملوك الصغار في المخاليف الحميرية والسبأية) الذين قدّموا له دعمهم بسخاء باعتباره مسيحياً يمنياً. في هذا الوقت، كان الأمير سيف بن ذي يزن، الأمير اليهودي المرتدّ عن اليهودية (وصهر ذي نؤاس اليهودي) يواصل حكمه في مناطق صغيرة من جنوب اليمن، بعدما تمّ تجريده من معظم المناطق الأخرى في مملكة كندة التي كان يحكمها ، وتعرف في النقوش السبأية باسم (كدة[1])، وكان هذا يجد في إبرهة عدواً وخصماً دينياً، ولذا اضطر إبرهة لاستمالة قبائل الشمال، فشرع في محاولات يائسة لإصلاح سدّ مأرب لاسترضائهم، وحشد المناصرين لخلع ذي يزن نهائياً. وأثناء العمل في مشروع إعادة بناء السد، زارته ـ بحسب النقوش ـ وفود كثيرة منها وفد من الحبشة وروما وفارس ومملكة الحيرة. حتى الغساسنة في الشام ـ خصومه في العقيدة المسيحية ـ أرسلوا وفداً بزعامة الملك الحارث بن جبلة وشقيقه أبكر بن جبله الغساني. وكانت هذه محاولة بيزنطية لمصالحة مسيحيّ الشام المونوفيزيين اليعاقبة المؤمنين بأن المسيح إله، أي الذين يؤمنون بأنه من طبيعة إلهية وهم متمسكون بالطبيعة الواحدة للمسيح الرب بوصفه إلهاً؛ مع مسيحيي نجران الأكثر نسطورية والأقرب إلى

(1) : مملكة كدة في النقوش السبأية

مسيحييّ العراق الذين يؤمنون أن المسيح إله وأب، أي أنه من طبيعتين إلهية وبشرية. في هذا الوقت وبعد أشهر من العمل الشاق لإعادة بناء سد مأرب/ ترميم السد ـ ، أبدى الحميريون والجنود الأحباش تذمرهم من العمل الشاق؛ ولذا أعلن إبرهة صرف الجميع وإيقاف العمل في مشروع إصلاح السّد في شهر " معن " عام 543م. أما معد كرب بن سمه يفع (السميفع/ سمه يافع، أي إسماعيل اليافعي) فاستمر في حكم المناطق التي ظلت تحت سيطرته، حالماً بمساعدة الفرس في تحرير الأراضي التي سلبها منه صهره اليهودي ذو نؤاس، وأصبحت الآن من أملاك إبرهة. وحسب نصوص هامّة سجّلها إبرهة في ثلاثة نقوش عثر على بعضها عالم الآثار الألماني يام (جامه) يعود تاريخ أحدها للعام 549 م ، والآخر إلى العام 550م (تحت الرمز RY 506) والثالث للعام 558م (تحت الرمز Ja 544 ـ 547) فقد شن إبرهة الحبشي سلسلة غارات على نجران وصعدة، وشملت أطراف جنوب غرب الجزيرة العربية. وهذا ما يؤكده نص ابن حبيب السابق[1] (فهو يشير صراحة إلى أن إبرهة كان في نجران

(1) : ابن حبيب : المنمق (وأقبل معهم رجلان من بني سليم وكانا خليعين فلحقا بنجران فأقبلا معهم يقال لأحدهما محمد وللآخر قيس ابنا خزاعي بن حزابة بن مرة ابن هلال فدعا الأشرم قيس بن خزاعي فقال: امدحني واذكر مسيري وخرج الأشرم حتى نزل منزلا له من نجران وصادفه يوم عيد لا يأكل فيه إلا الخصي، فأمر بالخصي فطبخت وقدمت إلى الناس فتحامتها العرب إلا خثعم فإنها أكلتها وقالت للأشرم أيها الملك إن من معك من مضر أبوا أن يأكلوا من هذه الخصي شيئا وهم يعيروننا بها لأكلنا إياها ، فغضب الأشرم وأرسل فأخذ له ناسا من مضر فأخذ فيهم قيس بن خزاعي وأخوه وقد كان أمرهم أن يسجدوا للصليب فلم يسجد له من معه من مضر)

وليس في أطراف مكة). ولعل النقش المعروف عند علماء الآثار باسم نقش[1] بئر المريغان RY506 (مؤرخ عام 552م) يقدم تصوّراً دقيقاً عن طبيعة حملاته هذه، وبشكل أخصّ حملته الرابعة والأخيرة لتأديب قبائل بني عامر، وهم من أقوى قبائل خولان اليمنية وأقاموا تاريخيا ضمن صعدة. يقول نقش إبرهة الحَبْشي (نصّ نقش بئر المريغان) ما يأتي:

(بقوّة الرحمن[2] ومسيحه، الملك أبرهة زيبمن[3] ، ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنات وقبائلهم ـ في ـ الجبال والسواحل، سطّر هذا النقش عندما غزا [قبيلة] معد [في] غزوة الربيع في شهر "ذو الثابة " /أبريل، عندما ثارت كل قبائل بنى عامر، وعيّن الملك القائد "أب جبر" مع قبيلة علي والقائد "بشر بن حصن" مع قبيلة سعد وقبيلة مراد، وحضروا أمام الجيش ـ ضد بنى عامر [وقد وجّهت] كندة وعلي في وادي "ذو مرخ" ومراد وسعد في واد على طريق تربن، وذبحوا وأسروا وغنموا بوفرة وحارب الملك في حلبن).

---

(1) : بئر المريغان قرب نجران

(2) : الدكتور عبد المنعم عبد الحليم سيد : هل يشير نقش أبرهة الحبشي عند بئر مريغان إلي حملة الفيل ؟ مجلة جامعة الملك عبد العزيز– جدة ـ المملكة العربية السعودية " الآداب والعلوم الإنسانية " المجلد الثاني ص 71 وما بعدها 1990م

(3) : في الترجمات الشائعة يرسم الاسم بالمدّ " زيبمان " وهذه قراءة خاطئة : الصحيح "زيبم/ زب/ م) أما النون اللاصقة فهي النون الكلاعية (مثل : صنعا/ صنعن، عرب/ عربن، قحط/ قحطن، عدن/ عدنن).

يؤكد هذا النقش، أن إبرهة كان منغمساً ـ حتى مصرعه ـ في قتال شرس ضد قبائل يمنية متمرّدة في نجران، ولم تكن هناك قط، أي أسباب أو مُسوِّغات أو دوافع سياسية أو دينية، لمهاجمة مكة والطائف؛ بل أن تفكيراً من هذا النوع، كان سيبدو خيالياً بالنسبة لملك صغير كان يصارع لتثبيت ملكه داخل اليمن. كما يؤكد أن إبرهة في العام 543م كان يواجه قبائل خولان اليمنية المتمردة في نجران، وليس قبائل قريش في الحجاز وحلفائها، ولم يتجه قط للتفكير بغزو مكة ، ولم يكن ذلك في مقدوره أصلاً.

ثانياً :

إن المزاعم عن لقاء بين إبرهة وعبد المطلب، هي من اختلاقات الإخباريين المتأخرين في العصرين الأموي والعباسي، وكانت هناك بواعث وأسباب كثيرة عند الخلفاء في العصرين، لإضفاء قداسة من نوع خاص على شخصية عبد المطلب، كلٌّ من زاوية احتياجاته. كما أن المرويات الشهيرة التي تزعم أنه سافر إلى صنعاء بعد تحريرها من الغزاة عام 579م على رأس وفود قريش وقبائل العرب لتهنئة سيف بن ذي يزن الذي دخل صنعاء منتصراً بدعم من الفرس، لا تؤيدها الوقائع التاريخية، ومصدر التناقض في الروايتين أن عبد المطلب يكون قد أصبح ـ في عصر زوال الاحتلال الحبشي ـ مُسنّاً تجاوز عمره المئة عام، وهذا ما لا يسمح لنا بالافتراض أنه يمكن أن يسافر لمسافة طويلة من مكة إلى صنعاء. ولكن فقهاء العصر العباسي وجدوا في تلفيق مثل هذا اللقاء و (اختراعه) عنصراً هاماً في خلق أجواء تودّد لليمنيين المناصرين لعلي بن أبي طالب، وذلك عبر إضفاء نوع من الهيبة على تاريخ العلاقات بين مكة ـ واليمن،

وهذا ما تجسد في اختلاق قصة لقاء عبد المطلب مع إبرهة، ثم مع سيف بن ذي يزن، بينما استغل العباسيون هذا التلفيق الذي ورثوه من الأمويين في تكريس هذا الجانب المُهاب من تاريخ العلاقات مع اليمنيين لكسب ودّهم وتعاطفهم، خصوصاً وأن هؤلاء وهم في أغلبهم من الفرسان والمقاتلين، كانوا متعاطفين مع علي بن أبي طالب، وكلاً من الأمويين والعباسيين، كانوا قد دخلوا مع علي وأنصاره من بعده في صراع مرير على الخلافة. والآن دعونا ننظر في وجه آخر من المشكلة.

الفصل الثالث

آليات اختلاق التاريخ الرسمي للإسلام

﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤ ﴾
[1 ـ 4 سورة الإيلاف]

كانت هذه الآية حاضرة بقوة، حين انهمك فقهاء ومفسرو العصرين الأموي/ العباسيّ في عمل ممُنْهج، لتلفيق قصة هدم الكعبة في حملة إبرهة الحبشي المزعومة. لقد أعاد هؤلاء، توحيد سورتي الإيلاف والفيل والتعامل معهما كسورة واحدة، لتصبح إمكانية عودة النص المبتور الذي طالما تعاملوا معه على أنه نصّ قائم بذاته، وينطق برسالة مختلفة ومغايرة، لا مجرد عودة ممكنة تقنياً وحسب؛ بل وممكنة بوساطة تأويل جديد وضروري لفهم مغزى التقويم الزمني المُلتبس : عام الفيل.

في الواقع، نشأ في تاريخ الإسلام تقويمٌ زمنيّ مُلتبس وغير قابل للفهم، فهو ليس تقويماً ميلادياً أو هجرياً، كما لا صلة له بأيٍّ من التقاويم المعمول بها: الغريغوري، الحميري، إلخ. إنه تقويم قائم بذاته ولذاته ، اسمه تقويم عام الفيل، لكنه لا يؤرخ إلا لمولد محمد

فقط، ولا يؤرخ لأي وقائع أو أحداث أخرى، وكأنه تقويم مُصمّم فقط لوضع بداية منطقية لميلاد محمد النبيّ وحده. وهذا أمر غريب. بكلام موازٍ، كانت إحدى أهم وظائف تفسير هذه السورة (اختلاق) تقويم زمني جديد بديل، ومُنازع للتقاويم السائدة (الروماني/البابلي، البيزنطي، الحميري). في هذا العصر لم تكن المسيحية تملك أي تقويم خاص بها، والتقويم الميلادي [1] المعمول به اليوم ظهر عام 1843م، ولا وجود له قبل هذا التاريخ؟ وهذا التقويم ظهر فقط لاستبدال التاريخ الهجري الذي فرضه العباسيون وساد لوقت طويل.

ولذا قام التفسير الجديد للقرآن من خلال سرد قصة الفيل على أساس إنشاء تقويم زمني خاص، يؤرخ للعرب والمسلمين من نقطة بداية مقدّسة ترتبط بمولد النبي، وكان هذا ابتكاراً عباسيّاً خالصاً عزّزه رواة الأخبار والأحاديث والإخباريون والفقهاء، بتلفيق أسانيد وأحاديث نبوية تؤكد كلها، أن العرب كانوا يؤرخون بعام الفيل. ذلك يعني من بين ما يعنيه، وطبقاً للتاريخ الإسلامي المزيّف

---

(1) : جرى تصحيح ما يعرف بالتقويم اليولياني عام 1582 كان الدافع للإصلاح هو تقديم موعد الاحتفال بعيد الفصح بحيث يتوافق مع مقررات مجمع نيقية الأول عام 325م. ولأن الاحتفال بعيد الفصح مرتبط بالاعتدال الربيعي، فقد عدَّت الكنيسة الكاثوليكية أن هذا الانحراف الثابت في تاريخ عيد الفصح غير مرغوب فيه. أنظر : The international standard for the representation of dates and times, ISO 8601, uses the Gregorian calendar. Section 3.2.1.
See Wikisource English translation of the (Latin) 1582 papal bull Inter gravissimas.

والكاذب، أن دمشق التي انتزعت مركز الخلافة من مكة، واستطراداً من الكوفة بعد خلع الخليفة الرابع علي بن أبي طالب، حسب الرواية السائدة التي أشكّك في صحتها وتتطلب مني أن أفرد لها كتاباً خاصاً، صارت تؤرخ للعرب والمسلمين بعام الفيل سوية مع التقويم الحجازي (الهجرة). لقد كانت الخلافة الدمشقية بحاجة لتقويم زمني تنفصلُ بفضله عن التقويم الحجازي. وبكل تأكيد، فلم يكن في مقدور الأمويين فرض هذا التقويم، إلا داخل حيز محدود من التاريخ الرسمي للإسلام، هو الرواية الدينية المُسندة بالأحاديث. ولذا اكتفى الفقهاء والمفسّرون في هذا الإطار، بالتأكيد على قدسيّة الحدث مادام مرتبطاً بولادة محمد. ولأجل ذلك كان لابد لأجل استكمال السردية الزائفة، من تقديم مقاربة جديدة لمسألة هدم الكعبة في حملة الحجاج. كانت حملة الحجاج بن يوسف الثقفي (41 هـ - 661م) كما سردها رواة العصر العباسيّ (وليس بين هؤلاء الرواة أي مؤرخ دمشقي/شامي/ أموي) مكرّسة لقمع تمرد ابن الزبير الذي احتمى بالكعبة. ولذا قرر الحجاج ضربها بالمنجنيق وتهديمها، وهو ما نجم عنه تلقائياً تعطيل الحج لسنتين كاملتين. كانت هذه، هي الرواية العباسيّة الرسمية السائدة والمُهيمنة كما وصلتنا، وبطبيعة الحال، ليس لدينا أي رواية بديلة من العصر الأموي عن ذلك. وبطبيعة الحال، يحق للمؤرخ النزيه أنّ يشكّك في قصة ضرب الكعبة وتهديمها على يد الحجاج، لأن لا أحد يملك رواية من عصر الأمويين عن هذا الحدث، وهم قبل غيرهم أكثر من يعنيه أمر توضيح هذا الالتباس الدينيّ.

فهل حقاً قام الحجاج بأمرٍ من الخلفاء الأمويين بهدم الكعبة؟ منْ قال ذلك؟ العباسيون هم منْ سجل الحدث؟ وأين رواية الأمويين؟ ولذا بزغت في تاريخ الإسلام مشكلة وجدانية عويصة، لأن هدم الكعبة كان قضية بالغة الحساسيّة ومُحرجة دينياً، يصعب تسويغها حتى بالنسبة للأمويين، فما دامت مكة (مقدّسة) وفيها ولد نبيّ الإسلام؛ فإن ضربها بالمنجنيق وتهديمها سيبدو عملاً شائناً وباطلاً. ومع ذلك ساروا قدماً على طريق إضفاء قداسة من نوع خاص على ارتباط الغزو الحبشي بولادة محمد، وتصويره كمعجزة موازية لمعجزة الطير الأبابيل. بكلام آخر، قاموا بتلفيق (غزو) سابق ونسبته إلى الحبشة، والزعم أنه غزو كان هدفه (تهديم الكعبة) لكن (الله حمى بيته) ومنع هدمها. ولمواجهة هذا الحادث الهلعي الجديد، وامتصاص غضب المسلمين، كان لابد من إنشاء سردية ذات طابع تاريخي، تضع تهديم الكعبة في إطار مختلف، بوصفه حادثاً تكرّر مراراً عبر التاريخ، أي حادثاً يمكن تفهّم بواعثه دون أن يهتزّ الوجدان الدينيّ.

وهكذا، شرعوا في تقديم أحاديث منسوبة إلى النبيّ بلسان عائشة، تصورّ تهديم الكعبة كحادث قديم، جرى مرات كثيرة لأسباب دينية ومعمارية لا أكثر، وأن أعداء العرب لطالما هاجموا الكعبة وسعوا إلى تدميرها. كان الغطاء الديني/التاريخي المزيّف الذي قدّمه الفقهاء والمفسرّون، مُصمّماً لامتصاص الصدمة الوجدانية الهائلة التي تعرض لها المسلمون جرّاء تهديم الكعبة، حيث تُركت طوال سنتين متواصلتين حجراً فوق حجر. ويبدو أن

القصة تمّ تركيبها من عناصر تاريخية ومثيولوجية متنوعة، فشخصية **إبرهة** شخصية حقيقية، لكن (أصحاب الفيل) ليسوا جماعة حقيقية؛ بل جماعة مثيولوجية معادية بطقوسها وشعائرها للكعبة. هذا المزيج الغريب من الجماعتين، اليمنية المسيحية بقيادة إبرهة وأصحاب الفيل، كان قابلاً بطبيعته لإنتاج صورة واحدة مشتركة، وبحيث يصبح إبرهة المسيحي نفسه من (أصحاب الفيل) الوثنيين. وهذه صورة مثيرة بالفعل، فكيف يمكن تخيّل شخص مسيحي هو في الآن ذاته وثنيّ من (أصحاب الفيل)؟ كان اختيار شخصية مسيحية يمنيّة ـ في القصة الإسلامية ـ تقوم بتنفيذ الغزو المزعوم، مناسباً تماماً للعباسيين الذين كانوا يشعرون بالضيق من تحرشات الإمبراطورية البيزنطية المسيحية التي ظلت تهدد ثغورهم في الشمال، وربما بالإهانة جرّاء الرِّشا والهدايا التي كانوا يقدمونها لتهدئة خواطرهم، كما كانوا يشعرون بقوة التنافس مع نفوذ المسيحية الشامية في الجنوب (فلسطين). لقد كان الخلط المقصود بين إبرهة وأصحاب الفيل، مصمّماً لإنتاج صورة مشوّهة للمسيحي، مغايرة ومتناقضة مع الصورة التي احتفظ بها المسلمون للنجاشي، الملك الحبشي المُتسامح والطيّب الذي آوى المسلمين الفارين من مكة وقدّم لهم الحماية قبل الهجرة. ها قد نشأت صورتان متناقضتان للملك المسيحيّ نفسه، في المرة الأولى مع الإسلام هو مُتسامح وطيب ويحمي المسلمين ، وفي الحالة الأخرى قبل الإسلام هو شرير ويقوم بغزو الكعبة. لقد تلازمت الصور التي أنتجها العصر العباسيّ عن المسيحية، مع روح التنافس التي طبعت بطابعها سلوك الفقهاء ومفسري القرآن، فراحوا يضفون قداسة من

نوع جديد على المنشأة المعمارية البديلة عن الكعبة، ويشرعون في تلفيق الأحاديث المنسوبة للنبي. والمؤرخ المقدسيّ[1] يشير بذكاء إلى هذا الجانب، إذ يلاحظ أن الخليفة عبد الملك بن مروان، حين شرع في بناء مسجد قبة الصخرة ابتداء من هذا العام وبعد هدم الكعبة، رغب بقوة في جعله أكثر أبهة ويضاهي أبهة كنيسة القيامة.

وقد لاحظ هذا الأمر سائح معاصر زار القدس منتصف القرن ما قبل الماضي في كتابه (رحلة يوسف العيد [2]) حين كتب قائلاً، إن كنيسة القيامة لها قبة تشبه قبة الصخرة. كانت كنيسة القيامة مُجمّعاً دينياً مؤلفاً من 3 كنائس لجميع الطوائف المسيحية (وقبر المسيح للجميع كلٌّ له جهة من جهاته المحاطة بحاجز رخامي عظيم على غاية عظيمة من الجمال، وفي داخل حجرة القبر يرى الذهب والألماس والحلي التي لا تقدر بثمن[3]).

وهكذا، تكون فكرة القبة الإسلامية الذهبية التي تشعّ وسط هذا المجمّع الدينيّ المسيحي، نوعاً من مضاهاة للقباب المسيحية وتنافساً معها على النفوذ الروحي. بهذا المعنى فقط، يمكن فهم الأبعاد الحقيقية لقرار بناء مسجد قبة الصخرة، فهو جاء بفعل دافعين مركزيين :

---

(1) : المقدسي، شمس الدين المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق د. محمد مخزوم، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1987، ص144.

(2) : حول رحلة يوسف العيد ، العرب كما رأيتهم: رحلة يوسف العيد 1949 ـ 1951، انظر : العارف، عارف: تاريخ الحرم القدسي، وزارة الثقافة الهيئة العامّة السورية للكتاب ـ دمشق 200.

(3) : المصدر نفسه.

الأول:

إن انتقال مركز الخلافة إلى دمشق حسب التاريخ الرسمي الذي أشكّك فيه، تطلّب ما يشبه انتقالاً رمزياً للمركز الروحي، ولذا جاء سرد حادث تهديم الكعبة ليلبي هذه الحاجة، أي التخلص من المركز الروحي القديم للمسلمين، ببناء مركز جديد أكثر أبهة وهيبة، ويكون في الآن ذاته منافساً لأبهة الكنيسة. ولم يكن صحيحاً قط، كل ما قيل في المؤلفات التاريخية الشائعة، أن الدمار الذي لحق الكعبة كان نتيجة المعارك وحسب. لقد كان الهدم عملاً مقصوداً بذاته، الغرض منه تعطيل الحجّ لبضع سنوات، ريثما يفرغ الأمويون من بناء مركزهم الروحي الجديد.

الثاني:

ولم يكن ذلك ممكناً من دون التنافس مع المدارس المسيحية غير الموالية لبيزنطة في جنوب الشام، وهذه كانت على هيئة فرق كثيرة منتشرة منذ أيام الغساسنة الذين اصطدموا بمسيحية روما وظلوا أقل كاثوليكية، وأكثر أرثوذكسية (ما يعرفون اليوم بالروم الأرثوذكس). ولذا حرص عبد الملك بن مروان على أن يكون مسجد قبة الصخرة مماثلاً في أبهته لكنيسة القيامة التي بناها البيزنطيون نحو عام 325 م، وأن يتحوّل هذا المسجد (المسيحي/ الإسلامي) في معماريته، مع الوقت إلى مركز للحجّ. لقد كان الأمويون يحاولون بيأس دمج المسيحية البيزنطية مع الإسلام، ولم يكن هذا يروق للعباسيين الذي كانوا ـ على العكس من ذلك، يسعون إلى دمج اليهودية مع الإسلام .

ولهذا السبب ظهر تراث فقهي عباسي أشبه بشروح التلمود اليهودي. وبالفعل، فقد أطلق فقهاء هذا العصر دعواتهم للحجّ بعد أن تعطل الحج إلى مكة وظهر بدءاً من هذا الوقت، التقليد الشعبي الفلسطيني المستمر والمتواصل حتى اليوم والذي تلخصه العبارة الشعبية (قدّسنا وما حجّينا) أي زرنا القدس ولم نحجّ إلى مكة. وهكذا، فقد شرع الفقهاء والإخباريون ورواة الحديث في هذا العصر، بأكبر حملة تضليل للتغطية على هدم الكعبة، وذلك من خلال الزعم أن الحجاج لم يكن يستهدف الهدم ؛ وإنما حصار ابن الزبير وأتباعه، وأنّ الأضرار التي لحقت بها ناجمة عن القتال بين الطرفين، ولهذا السبب سارع الحجاج إلى إعادة بناء الكعبة المهدّمة بنفسه، زاعماً هذه المرة أنه يريد أن يزيل كل التعديلات التي قام بها ابن الزبير على معماريتها القديمة. في هذا الإطار، سوف تبدو قصة الفيل حاجة عباسيّة ضرورية وملحّة لتصوير حادث تهديم الكعبة على أيدي الأمويين، وذلك عبر تصوير مسألة العدوان على بيت عبادة المسلمين وكأنه خطر لم يصدر إلا مرة واحدة في التاريخ، وفقط من جانب منافسين دينيين (مسيحيين)، ولكن عبر نقل الحادث إلى عصر أسطوري، أي إلى زمن يصعب إيجاد شهود أحياء قادرين على تذكره. وبذلك، بدت في المخيال العباسيّ، صورة إبرهة وهو يزحف بالفيل نحو مكة، ملائمة تماماً لتصوير العدو المسيحي (أو المنافس الديني). ومع ذلك، فقد أثارت الرواية الرسمية السائدة عن قيام الحجاج (الأموي) بإجراء تعديلات على معمارية الكعبة، الشكوك والهواجس بأن الأمويين إنما كانوا يهدفون من تدمير الكعبة، ثم إعادة بنائها، إزالة أي أثر سابق للمعمارية التي

اقترحها ابن الزبير إلى أمر آخر. وهذا يعني أن تهديم الكعبة على أيدي الأمويين قد يكون أبعد بكثير من مجرد التخلص من إضافاته المعمارية. وبالفعل، جاء التهديم متزامناً مع قرار الخليفة الأموي بناء مسجد قبة الصخرة. ويمكن لنا قراءة البعد الرمزي في العمل التلفيقي النموذجي الذي قام به الفقهاء عبر العودة إلى النص المبتور من (سورة قريش) وفقط، حين نفحص مغزى توظيف آية (فليعبدوا ربّ هذا البيت). لقد وظفوا هذه الآية للإيحاء أن المقصود من (البيت) كعبة الحجاز التي سبق لها أن تعرضت لخطر الهدم. ولم يكن هذا صحيحاً أو دقيقاً، فالسورة لا تأتي على ذكر مكة أو الكعبة، كما أن الحبشة لم تشكل قط خطراً على الجزيرة العربية؛ بل على العكس من ذلك كانت تهديداً وجودياً بالنسبة لليمن. ولا يوجد أي نقش أو توثيق تاريخي عن تهديد حبشي للجزيرة العربية، بينما نجد عشرات النقوش السبأية عن غزوات حبشية لليمن. أكثر من ذلك، بدا أن تدمير صورة الحبشة في تفسيرات القرآن خلال العصر العباسيّ، وإعادة تخيّيلها كعدو مسيحي في أذهان المسلمين، متناقضاً مع الصورة التقليدية العالقة في ذاكرتهم عن تسامح النجاشي الحبشي وكرمه حين قام بحماية المسلمين الفارين من مكة ؟

إن سردية عام الفيل هذه، منظوراً إليها من زاوية المرويات الإسلامية عن حماية الكنيسة المسيحية الحبشية للمسلمين الفارين من اضطهاد قريش، وهي في الأصل مرويات مشكوك في صحّتها، ستبدو كمحاولة أخيرة لتحطيم سردية إسلامية حجازية ظلت مقبولة ومعترفاً بها، واستبدالها بصور أخرى للمسيحية، حيث حلت

فكرة (التغوّط) في الكنيسة محل الحريق، وصورة النجاشي الحبشي المسالم الذي آوى المسلمين وقدم لهم الحماية من مضطديهم، محل صورة ملك حبشي مسيحي أحمق جاء لهدم الكعبة. كل هذا كان من تلفيق العصر العباسيّ، ولا أصل له لا في القرآن ولا في سرديات التاريخ المكتوب. وكما كان الفرس في الماضي (ومعهم المدرسة النسطورية في العراق ـ مملكة الحيرة) هم الأقرب روحياً لليهودية، فقد ظل الأمويون (وقبائل الشام الغسانيّة) حتى سقوطهم، أقرب للكاثوليكية البيزنطية. كان الصراع الفارسي/ البيزنطي يتواصل داخل الإسلام بين عباسييّن وأمويين، أيّ بين مناذرة (نسطوريين أرثوذكس) وبين (غساسنة مونوفيزيين كاثوليك).

تتبقى أمامنا بضعة أسئلة من قبيل : لو كان المسلمون في عصر النبيّ ـ والخلفاء الأربعة ـ يعرفون هذا التفسير الاعتباطي لآية الفيل، أو يعلمون أي شيء عن حملة إبرهة وكيف مزقته الطيور السماوية، فلماذا لم يتوقعوا أو يحذّروا المسلمين من غضب الله وغضب طيوره السماوية في حال أي مساس بالكعبة؛ بينما كانوا يقولون لهم إن الكعبة هدمت وبُنيت مراراً بشهادة ابن عباس عن سيول مكة التي هدمت الكعبة قبل الإسلام ؟ ولو كان الحجاج نفسه يعرف بهذا التفسير أو سمع به من قبل، وأن اللّه سبق له وأن أرسل طيوراً ترميه بحجارة من سجيّل، لكان شعر بالهلع ـ كمسلم ـ وخشي على نفسه وجنوده من مصير مشابه لمصير إبرهة؟ هذا يعني بكل جلاء، أن هذا التفسير وضعه الفقهاء ابتداء من عصر الخليفة عبد الملك بن مروان، للتغطية على هدم الكعبة من خلال إنشاء

إطار تاريخي لحدث عدواني قامت به جماعة مسيحية مارقة، بينما كان فقهاء بني أميّة ينشغلون في وضع المُسوِّغات ويزعمون أن هدم الكعبة تمّ عرضياً بسبب القتال لطرد ابن الزبير. وبفضل هذا العمل التلفيقي المنهجي الذي سرعان ما استغله العباسيون، نشأت سرديتان متناقضتان عن المسيحية في التاريخ الرسمي للإسلام، إحداهما سردية حجازية/ مكيّة ترى في النجاشيّ مسيحيّاً صالحاً قدم الحماية الكريمة لمسلمين فارين، وأخرى شامية ـ أموية ترى فيه عدواً متربصاً كان يسعى لهدم الكعبة. وهذا هو جوهر التلفيق في التاريخ الرسمي للإسلام كما وصلنا. لقد كانت هناك سلسلة متُطلبات لانفصال الخلافة عن مكانها الديني القديم الذي ولدت فيه (مكة) وانتقالها إلى الشام ولتصبح أكثر قداسة وهيبة، وفي أساس هذه المتطلبات إنشاء نظام زمني بديل عن التقويم الذي جاءت به الحجاز (الهجرة النبويّة)؛ ولذا كان الحرص على تحويل قصة الفيل إلى مناسبة دينية تبدأ بها ولادة النبي، ولتصبح مقدمة لاستبدال التقاويم القديمة، أو أن تصبح رديفاً لها، حرصاً مُؤسّساً على تلبية الحاجات الملحّة لإرساء الخلافة في الشام على قواعد مقدّسة. لكنهم بالطبع، وهم يقومون بإعادة لصق الجزء المبتور بالنص الأصلي من السورة، كانوا يقومون بنقل تأويل هذه الآية إلى سورة الفيل التي لا تذكر اسم الكعبة أو مكة أو البيت. فلماذا عاد هؤلاء إلى النص المبتور؟

سنعيد هنا ترتيب الوقائع التاريخية التي شكّلت أرضية هذا التلفيق المنظّم في عمل الفقهاء ومفسري القرآن. وأريد هنا أن أنبّه القرّاء إلى أنني سأستخدم الرواية الرسمية، أي سوف أغرفُ من

خزّان التاريخ الرسمي (وأستعمل مادته) قبل نقده. وهذا ما سوف يتيح لي ـ تقنياً ـ نقد هذا التاريخ من داخله.

ارتأى اليعقوبي[1] (ت: 284ت : هـ 897 م) في تاريخه، أن عبد الله بن الزبير وقبل تمرّده بنحو عشر سنوات، قام فعلياً عام 64هجرية بهدم الكعبة : « حتى ألصقها بالأرض، وذلك أنّ الحصين بن نمير[2] لمّا أراد ابن الزبير هدمها امتنع ، وامتنع الناس من الهدم ، فعلى ـ أي حال صعد ـ عبد الله بن الزبير على البيت فهدم ، فلمّا رآه الناس يهدم هدموا ، فلمّا ألصقها بالأرض خرج ابن عباس من مكة إعظاماً للمقام بها وقد هدمت الكعبة وقال له : اضرب حوالي الكعبة الخشب لا تبق الناس بغير قبلة ، أي ضع الخشب من حول البناء لرسم حدود المكان لئلا يظل الناس دون معرفة بمكان الكعبة).

ماذا يعني هذا؟ هذا يعني أن أصل قصة قيام الحجاج بهدم الكعبة، يعود إلى مناسبة توافق خلالها عرب الحجاز خلال العصر الأموي على إعادة بناء الكعبة؛ وأن الزبير (المتمرّد في ما بعد على الأمويين) هو منْ قام بهذا العمل؟ لكن هذا يعني من جانبٍ ثانٍ وبشكل مؤكد، أن هدم الكعبة لم يكن يتطلب وجود فيل أو أفيال، وأن ابن الزبير قرر هدمها لأسباب تتصل برغبته في إجراء

(1) : اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي مصدر مذكور، كذلك، طبعة ليدن - 1883م، طبعة دار صادر بيروت - 1960م.

(2) : أرسله يزيد بن معاوية في حملة سابقة لإرغام الحجاز على تقبل فكرة أن الشام هي مركز للخلافة

تغييرات على معماريتها. وكما لاحظ مؤرخ مكة الأزرقي [1] (نحو 212 هجرية : أخبار مكة) فقد دعا ابن الزبير وجوه الناس وأشرافهم وشاورهم في هدم الكعبة، فأشار عليه ناس غير كثير بهدمها ، وأبى أكثر الناس هدمها، وكان أشدهم عليه إباءً عبد اللّه بن عباس وقال له : دعها على ما أقرّها عليه رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) فإنّي أخشى أن يأتي بعدك من يهدمها فلا تزال تهدم وتبنى، فيتهاون الناس في حرقها ولكن أرقعها». يُفهم من قول ابن عباس (دعها على ما أقرّها عليه رسول اللّه) أنه كان يعارض التعديلات التي اقترحها ابن الزبير، مُعدَّاً هذا العمل نوعاً من عبث يمكن أن يكرّره خلفاء وولاة وملوك من بعده، وقد يتذرعون بأسباب أخرى مشابهة. وفي عام 73هـ، أي بعد عشر سنوات من هدمها، أرسل عبد الملك بن مروان قوة عسكرية لمحاصرة عبد اللّه بن الزبير والتخلص منه، بعد أن أعلن رسمياً عن تمرّده على انتقال مركز الخلافة إلى الشام، فخرج إلى مكة وحاصره ثم نصب المنجنيق على جبل أبي قبيس. وهكذا، وبعد أشهر من الحصار والرمي بالحجارة النارية من المنجنيق تهدمت الكعبة. هذا بالطبع حسب الرواية الرسمية السائدة التي نشكّك فيها.

---

(1) : الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد اللّه بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي المعروف بالأزرقي (المتوفى: 250هـ) أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار_ المحقق: رشدي الصالح ملحس، الناشر: دار الأندلس للنشر ـ بيروت

لكـن، وأثـر مقتـل عبـد الله بـن الـزبير واسـتيلاء الأمـويين علـى مكـة، قرر الحجـاج بـن يوسـف الثقفـي إعـادة بنائهـا علـى مـا كانـت عليه في عهد قريش. ويبدو أن الأمويين وجدوا مُسوِّغاً كافياً لإعـادة بنـاء الكعبـة بمـا يحـافظ علـى إرثهـا المعمـاري القـديم، مُتهمين ابـن الزبير بالتلاعب في بناء الكعبة. ومن المؤكـد أنهـم اسـتغلوا الحـادث ليقوموا بتعديلات معمارية أخرى، فقاموا بإغلاق الباب الثـاني الـذي أضافه ابن الزبير استناداً لحديث عائشة.

ارتأى المقدسيّ، وياقوت الحمويّ، كلاً علـى حـدة وفي روايـتين مختلفتين، أن الأمـويين إنمـا ضـربوا بـالمنجنيق ذلـك الجـزء وحسـب ـ الذي أضافه ابن الزبير إلى الكعبة [1] ـ ولم يكونوا يعتقدون بصـحة عملـه في هـذه الزيـادة. أي أن تهـديم الكعبـة كـان مصـمّماً لمحـو (تعديلات ابن الزبير) على معمارية الكعبة لا أكثر. ولذا، اسـتغلوا الحادث ليقوموا بهدم ما كانوا يعدُّونه تعديلاً على المعمـار الأصلـي، وقد كان يطلق على هذا الجزء (الحطيم) [2] ، بينمـا رأى ابـن كـثير في هذا السـياق ـ اسـتناداً إلى روايـة الطبري [3] ـ أن عائشـة هـي الـتي أشـارت علـى ابـن الـزبير أن يقـوم بتعـديلات جوهريـة علـى معماريـة الكعبة، زاعمة أنها سمعت النبي يقول: لولا حـدثان قومـك بكفـر ـ

---

(1) : المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبعة ليدن ـ دار صادر بيروت ـ مكتبة مدبولي الطبعة الثالثة 1991م، 1/ 72 - 75 .

(2) : ياقوت الحموي: معجم البلدان، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعـة: الثانيـة، 1995م، 4/ 464 - 466.

(3) : الطبري: تاريخ الرسل والملوك، 5/ 622.

أي لولا وجود لغط تكفيري في قومك ـ، لنقضت الكعبة (بكلام آخر: أي لولا خشيتي من اتهام قومك لي بالكفر لهدمتها) ولأدخلت فيها الحجر، فإن قومك قصرت بهم النفقة (أي نقصهم المال)، ولجعلت لها باباً شرقياً وباباً غربياً يدخل الناس من أحدهما، ويخرجون من الآخر ولألصقت بابها بالأرض؛ فإن قومك رفعوا بابها ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا. فبناها ابن الزبير على ذلك كما أخبرته به خالته عائشة أم المؤمنين [1] . واستناداً لنص الطبري، فقد قام ابن الزبير عام 64 ـ هجرية بهدم الكعبة، فهدم الجدار حتى وصل إلى أساس إبراهيم وكان الناس يطوفون ويصلون من وراء ذلك، وجعل الحجر الأسود في تابوت في سرق ـ قماش ـ من حرير، وادخر ما كان في الكعبة من حلى وثياب وطيب عند الخزان.

ما يلفت الانتباه في هذه الرواية، أن ابن كثير استناداً إلى الطبري، يزعم أن ابن الزبير وضع الحجر الأسود في تابوت، وهذا الزعم إذا ما صحّت أسانيده، قد يكون مبنياً على معتقد يقول، إنّ الحجر في الأصل كان في تابوت. بكلام آخر، جاءت التعديلات المعمارية التي قام بها ابن الزبير لتعيد الكعبة إلى أصلها القديم حين كان الحجر جزءاً من الفناء الداخلي. فهل كان هناك نزاعٌ دينيٌّ حول هذا التعديل، وكان سبباً في هدم الكعبة؟ يبدو من مجريات هذا النزاع الذي وقع بين الأمويين والحجازيين، أنه كان يدور في نطاق معتقدات دينية تتعلق بأصل العلاقة بين الحجر الأسود وتابوت

(1) : ابن كثير: البداية والنهاية - ابن كثير ـ ج 8 ـ الصفحة 275.

العهد في اليهودية. أي أنها تعديلات يهودية أجراها ابن الزبير وقاومها مسيحيوّ الشام.

من الهام للغاية أن ندقّق في رواية الطبري وابن كثير من بعده عن وضع الحجر الأسود داخل تابوت لمدة عشر سنوات. إن السؤال الذي يثيره تفسير ابن كثير استناداً إلى الطبري، سوف يصبح مُلحّاً أكثر فأكثر حين نتساءل عن موقف المسلمين في هذا الوقت؟ كيف وتحت أيِّ دوافع تقبّلوا فكرة ابن الزبير استناداً إلى حديث عائشة، بأن يوضع الحجر الأسود وفقاً لتقاليد يهودية دينية داخل تابوت من القماش؟ فهل لهذا التعديل صلة ما بأيّ معتقدٍ سابقٍ يقول، إنها كانت في الأصل (معبداً يهودياً)؟

سنتحقق من ذلك، حين نناقش مرويات المفسرين والإخباريين عن غزو قام به ملك يمني يدعى (تبّع الأول) لهدم الكعبة. وهذه أسطورة قديمة استعادها المفسّرون وزعموا فيها، أن تُبَّع ملك اليمن، وقبل ألف عام من مولد النبيّ جاء لهدم الكعبة، لكنه التقى أحباراً من اليهود كانوا من سدنتها، وهم أقنعوه بالعدول عن القرار. وهكذا، جرى تلفيق سردية أخرى موازية، وهذه المرّة لتسويغ تعديلات ابن الزبير عام 64 هجرية. ولنتذكر أن هذه التعديلات غيّرت معمارية الكعبة لعشر سنوات متواصلة وتحويلها عملياً إلى (كعبة يهودية) من خلال وضع الحجر الأسود داخل تابوت. كان المسلمون خلال هذه السنوات العشر يحجّون إلى البيت الحرام، ويشاهدون الحجر الأسود داخل تابوت العهد. وهكذا صمت المسلمون لعشر سنوات عن (أصولهم اليهودية) حتى حدث التمرّد الذي قادته عائلة الزبير ضد دمشق، وهذه جهزت حملة عسكرية

مخيفة بقيادة الحجاج، قامت بمحاصرة الكعبة عام 73 هجرية، ثم شرع الحجاج في تنفيذ خطته التي قضت بمحو كل أثر لمعمارية ابن الزبير، فقام أولاً بهدم الحائط الشمالي وأخرج الحجر الأسود، وباشر ثانياً في إدخال الحجارة التي هدمها إلى جوف الكعبة، فرصّها فيه حتى ارتفع الباب. وأخيراً أغلق المنفذ الغربي. والمثير للدهشة، أن العباسيين في عهد المهدي ـ ابن المنصور ـ حين رغبوا في إجراء تعديلات مماثلة على معمارية الكعبة، استشاروا الإمام مالك وهو مفتي المدينة الأكبر في ذلك فقال، إنيّ أكره أن يتخذها الملوك لعبة، أي أن يصبح التلاعب في المعمار مادة لتلبية احتياجات الخلافة لا الدين. فما هي حاجة العباسيين لتعديل معمارية الكعبة؟ إن التاريخ الرسمي للإسلام يصمت عن ذكر أي شيء يتعلق برغبة العباسيين في هذا التعديل، ولا يشير إلى احتمال أنهم كانوا يرغبون في العودة لتعديلات ابن الزبير، أي إضفاء الرمزية اليهودية القديمة. المثير للدهشة أكثر أن الخليفة العباسي المأمون بن هارون الرشيد (750 ـ 1258م) حين قام بترميم قبة مسجد الصخرة بعد سقوط الدولة الأموية في منتصف القرن الثامن للميلاد، ترك اسمه هناك حتى اليوم بوصفه هو باني قبة الصخرة[1]، ودون أي تغيير للتاريخ الحقيقي 73 هجرية. ولم يكن ذلك مجرد خطأ فنيّ. لقد كان خطأ مقصوداً يندرج في سياق تلفيق التاريخ الرسمي للإسلام في العصر العباسي استكمالاً لتلفيق الأمويين.

---

(1) : عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، القدس: مكتبة الأندلس، 1961، ص121. الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء، بيروت: دار العلم للملايين، 1999، ج4، ص 142.

وبفضل هذا الخطأ المقصود ، ظهر العباسيون لا الأمويين، بوصفهم هم بناة قبة الصخرة ؟ وهكذا ، صار يتعيّن على المسلمين أن يقرؤوا التاريخ الرسمي للإسلام اليوم على النحو الآتي: انتهى بناء قبة الصخرة عام 76هـ/ 691م على يد الخليفة العباسي المأمون وليس الأموي عبد الملك، حسب النقش التذكاري المعمول من الفسيفساء المذهبة بالخط الكوفي الأموي.

وهنا نص النقش:

(.. بنى هذه القبة ـ أي قبة الصخرة ـ عبدالله الإمام المأمون أمير المؤمنين في سنة اثنتين وسبعين تقبل الله منه ..)

فكيف اخترق اسم "المأمون" الخليفة العباسي (198 ـ 218 هـ/ 813 ـ 833م) الزمن الواقعي وامتزج في زمن آخر هو التاريخ الرسمي لبناء القبة: 72 ـ 73هـ؟ ماذا نفهم من هذا النقش التذكاري الموجود حتى اليوم على قبة الصخرة؟ هل بنيت عام 73 م على يد عبد الملك بن مروان ـ أو ابنه ـ أم على يد المأمون العباسيّ عام 218 هجري (833 م)؟هناك فارق زمني هائل يتخطى 130 عاماً؟ فهل بنى مروان الأموي قبة الصخرة أم بناها المأمون العباسي؟ هذا يؤكد لنا أن هناك فوضى في ترتيب العصور والأديان. إن بعض الروايات المعاصرة تزعم، أن أحد المعماريين وأثناء أعمال الترميم قام بتغيير اسم عبد الملك الخليفة الأموي، ووضع مكانه اسم "المأمون"، ولكنه نسي أن يغيّر التاريخ؟ ولم يكن هذا سوى استطراد معاصر في تلفيق تاريخ الإسلام. لكن الأكثر غرابة من كل هذا، أن كثرة من المصادر التاريخية ـ لسنا بصددها هنا في هذا الجزء من الفصل ـ تزعم أن باني المسجد هو ابن الخليفة (مروان بن عبد الملك) وليس

والده. وأيّاً يكن الأمر؛ فإن هذا الخلط بين الخليفة الأموي وابنه، وبين الخليفة العباسي المأمون والأموي عبد الملك، ناجم عن فوضى في كتابة التاريخ الرسمي للإسلام، جرّاء التنافس بين الخلفاء على (المقدّس) الذي قاموا باختراعه. حتى الرغبة الدفينة للعباسيين والأمويين بالتلاعب في معمارية الكعبة، يمكن أن تندرج في سياق هذا التلاعب في الرمزيّات الدينية الكبرى. لكن الفقهاء واصلوا طمس الحقائق، وسعوا بكل الوسائل لتثبيت مرويات تسويغيّة وترّهات وأكاذيب وإعادة تقديمها على أنها هي التاريخ الرسمي. وفي وقت متأخر من الإسلام، ظهر جيل من الفقهاء، راحوا يُسوِّغون من جديد حادث الهدم. قال **ابن تيمية** [1] : المولود عام 661هـ:

(وأما ملوك المسلمين من بني أمية وبني العباس ونوابهم : فلا ريب أن أحدا منهم لم يقصد إهانة الكعبة، لا نائب يزيد، ولا نائب عبد الملك الحجاج بن يوسف ولا غيرهما؛ بل إن المسلمين كانوا معظمّين للكعبة، وإنما كان مقصودهم حصار ابن الزبير، والضرب بالمنجنيق كان له لا للكعبة. ويزيد لم يهدم الكعبة ولم يقصد إحراقها ، لا هو ولا نوابه باتفاق المسلمين ، ولكن ابن الزبير هدمها تعظيما لها، لقصد إعادتها وبنائها على الوجه الذي وصفه رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها، وكانت النار قد أصابت

(1) : تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ) : منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية - المحقق: محمد رشاد سالم - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الطبعة: الأولى، 1406 هـ - 1986م 4/ 348 .

بعض ستائرها فتفجر بعض الحجارة، ثم إن عبد الملك أمر الحجاج بإعادتها إلى البناء الذي كانت عليه زمن رسول للّه ﷺ، إلا ما زاد في طولها في السماء فأمره أن يدعه فهي على هذه الصفة إلى الآن).

لنلاحظ أن الروايات الإسلامية المتأخرة (بعد 700 هجرية) سعت إلى طمس معالم الحدث الهلعيّ الذي شهده الإسلام في العصر الأموي، وجرى محو واقعة هدم الكعبة كليّاً، واستبدالها بواقعة حدوث (حريق) تعرضت له أستارها، وهو ما يُعيد تذكيرنا بأصل قصة الفيل، عندما كانت المرويات السابقة على العصر الأموي تتحدث عن حريق لحق بالقليس (كنيسة صنعاء) وتسبّب بالغزو؟ لقد تمّ تخطي الصورة النمطية عن التغوّط في كنيسة صنعاء التي درجت الروايات الإسلامية على الإشارة إليها، لأن المخاوف من بيزنطة المسيحية تلاشت مع تلاشي بقاياها، كما أن مسيحيّة فلسطين (جنوب الشام) أضحت أكثر ضعفاً وهواناً، ولذا لم تعد صورة (التغوّط) في كنيسة صنعاء ذات قيمة أو أهمية أو وظيفة مع غياب (العدو الدينيّ). ومن غير شك؛ فإن العودة إلى صورة الحريق القديمة واستعارتها، كانت مصممّة لمحو فكرة العدوان على المقدس من ذاكرة المسلمين وترسيخ واقعة بديلة أخرى، تقول إنَّ الأمويين لم يعتدوا على البيت الحرام، وكل ما جرى هو حريق جانبي تعرضت له أستار الكعبة، وأن الحريق في الأصل ناجم عن المعارك بالمنجنيق الذي يرمي حجارة مشتعلة. لقد أدّت هذه الصور النمطية والمرويات الزائفة كذلك، وظيفتها ولم تعد ذات قيمة، لأن مقدّساً جديداً تمّ ترسيخه، قد ظهر كمكان مقدّس هو مسجد قبة الصخرة الذي صار الحجّ إليه تقليداً دينياً بالنسبة إلى سائر

المسلمين. وهكذا أيضاً ، ظهر عملياً مركز ديني بديل عن الكعبة ، جرى تسويغ قدّسيته بحديث ضعيف منسوب للنبيّ ولا أصل له ، رواه الزهري عن شيخه سعيد بن المسيب ، (ت سنة 93 هـ) يقول:

(لا تشدّ الرحال إلا إلى ثلاث: المسجد الحرام /الكعبة ، ومسجدي هذا والمسجد الأقصى). وفي رواية أخرى (مسجد إيلياء).

لقد أشارت ـ أو ألمحت ـ كثرة من الروايات الإسلامية إلى أن عبد الملك بن مروان ، عندما شرع في بناء قبة الصخرة؛ فإنه فعل ذلك بدافع البحث عن بديل للكعبة ، وكان هدفه الحقيقي بعد أن رسخت الخلافة في دمشق ، واكتمل انتقال المركز من الجزيرة إلى الشام ، أن ينشئ فضاء دينياً جديداً يصبح هو المركز الروحي الجديد لإسلام الخلافة الأموية ، وهو إسلام فريد في نوعه يجمع بين عيسى بن مريم ومحمد ، أي بين المسيحية والإسلام (بالضد من محاولة العباسيين الجمع بين اليهودية والإسلام). ولم يكن ذلك ممكناً من دون مشاركة الفقهاء الفعالة في تسويغ هذا الانتقال ، وكان ذلك يعني نبش ذاكرات المسلمين ، بحثاً عن أي حديث أو إشارة زعم أنها وردت على لسان النبي تفيد بقدسية مسجده. وبدا هذا الأمر وحده ـ أي أن يحصل الأمويون على حديث يؤكد فيه النبي على قدسية مسجده ـ كافياً لاختراع قصة جديدة عن قدسية الصخرة التي صعد منها إلى السماء. ولم يكن لمثل هذا الفضاء الدينيّ الجديد أن يؤدي عملياً ، إلا إلى صرف حُجّاج العرب عن الكعبة ، حيث تصبح دمشق لا مركز الخلافة وحسب؛ بل هي (مكة) الجديدة حيث تحلّ الصخرة المقدّسة محل الحجر الأسود.

كان اختيار صخرة بعينها، وبحيث يُزعم أنها الصخرة التي صعد منها موسى لمناجاة ربه ثم صعد منها النبي محمد إلى السماء، اختياراً مصمّماً لحل إشكالية امتلاك رمز ديني خاص ومفارق، فكما أن للكعبة صخرة مقدّسة هي الحجر الأسود الذي هبط من السماء؛ فإن للمسجد الجديد صخرة مقدّسة أخرى صعد منها الأنبياء إلى السماء. وكما أن ابن الزبير في تعديله لمعمارية الكعبة، أعاد وضع الحجر الأسود في تابوت ـ في ما يبدو محاكاة للديانة اليهودية ـ فقد استنسخ فقهاء العصر الأموي رمزية هذه الفكرة، وصاغوا خرافة إسراء موسى من صخرة المسجد إلى السماء. وبذلك، أصبح بوسع الأمويين أن يضمّوا إلى الفضاء الديني الجديد تحت قبة المسجد، لا قباب الكنائس المسيحية في إيلياء، وإنما كذلك، روح الديانة اليهودية عبر الزعم أن موسى صعد إلى السماء من هذه الصخرة. وكان هذا في جوهره، محاولة أموية لقطع الطريق على المتمرّدين العباسيين القادمين من خراسان الفارسية برايات أهل البيت (علي بن أبي طالب). وفي وقتٍ تالٍ، نشر الفقهاء خرافة أن مسجد قبة الصخرة هو المسجد الأقصى الذي ورد في القرآن، وهو نفسه بيت المقدس الذي بناه سليمان. وهكذا أيضا، وضعت الأحاديث الكاذبة على لسان النبي، وتمّ تصعيد قدسيّة الصخرة مع استمرار الصراع على المركز الديني. كان عبد الملك حانقاً على ذهاب الناس للحج قصد اللقاء بخصمه أمير الحجاز المتمرّد عبد اللّه بن الزبير، ولذا أمر بأن تُكسى قبة الصخرة كما تُكسى الكعبة، فجعل لها كسوة في الشتاء والصيف. قال مشرّف بن مرجًّى عن كسوة قبة الصخرة (فما كان أحد يقدر أن يتأملها مما عليها من الذهب، وكان لها جِلال من لبود ـ قماش ـ ، وجِلال من

أَدُم من فوقه، فإذا كان الشتاء أُلبسته ليكفَّها من الأمطار والرياح والثلوج [1]).

وهكذا أصبحت قبة الصخرة مثل الكعبة، تُكسى كل عام وتغطّى بالقماش والجلود لحمايتها من الثلوج والأمطار.

وبصدد هذا الجانب، ارتأى اليعقوبي أن دوافع البناء كانت لمنع الناس في الشام من الحج إلى مكة، بعد سيطرة ابن الزبير عليها [2] . ويروي المقدسي نقلاً عن عمّه وكان معمارياً ناجحاً اختاره الخليفة ليشارك في بناء المسجد، أن الخليفة استشاره في أمر استبدال الكعبة بقبة الصخرة كمركز ديني جديد للمسلمين. يقول المقدسي أنه ناقش مسألة بناء قبة الصخرة مع عمّه وأثار معه الأموال الطائلة التي صرفها الخليفة وأن عمّه قال له : (.. ألا ترى أن عبد الملك لما رأى عِظَم قبة القيامة ـ كنيسة القيامة ـ وهيئتها خشي أن تعظم في قلوب المسلمين فنصب على الصخرة قبة على ما ترى[3]).

ويقول ابن تغري بردي (المتوفى: 874هـ) مؤلف كتاب (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة[4]) إن الخلافة الإسلامية كانت

---

(1) : المقدسي، أبو المعالي المشرف بن المرجى بن إبراهيم: فضائل بيت المقدس ـ المحقق: أيمن نصر الدين الأزهري : دار الكتب العلمية ـ الطبعة: الأولى 1422 هـ ـ 2002 م الورقة 46.

(2) : اليعقوبي : تاريخ : ج2 ص161.

(3) : المقدسي : أحسن التقاسيم : 3/ 7

(4) : يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.

منقسمة بين خليفتين: عبد الله بن الزبير وعبد الملك بن مروان : (أما الحرمان ـ الحجاز والمدينة ـ والعراق كله، فبيد عبد الله بن الزبير، والشام ومصر وما يليهما بيد عبد الملك بن مروان، والفتن قائمة بينهما والحروب واقعة في كل سنة). ويضيف : (وسبب بناء عبد الملك ـ قبة الصخرة ـ، أن عبد الله بن الزبير لما دعا لنفسه بمكة، فكان يخطب في أيام منى وعرفة وينال من عبد الملك، ويذكر مثالب بني أمية ويذكر أن جده الحكم كان طريد رسول الله ﷺ ولعينه. فمال أكثر أهل الشام إلى ابن الزبير، فمنع عبد الملك الناس من الحج فضّجوا، فبنى لهم القبة على الصخرة والجامع الأقصى، ليصرفهم بذلك عن الحج والعمرة، فصاروا يطوفون حول الصخرة كما يطوفون حول الكعبة، وينحرون يوم العيد [1] ضحاياهم).

يدعم هذا النص الدقيق، حقيقة أن دوافع بناء مسجد قبة الصخرة كانت في الجزء الأهم منها، تتصل برغبة الأمويين في امتلاك لا المركز الديني الجديد، ولا تحويل دمشق إلى (مكة جديدة) وحسب؛ وإنما إنشاء فضاء روحي تمتزج فيه الديانات الثلاث، وهو ما يجسد روح الهيمنة على السرد التاريخي لقصة الإسلام. لكن الخليفة سليمان بن عبد الملك (54 ــ 99 هــ/674 ــ717م)، الخليفة الأموي السابع، وهو يُعدّ من خلفاء بني أمية الأقوياء وقد ولي الخلافة يوم وفاة أخيه الخليفة الوليد بن عبد الملك عام 96هــ، كان وبخلاف ما فعلت أسرته، لا يقيم كثيراً من الأهمية لمسجد إيلياء. وحسب تعبير القدماء من المسلمين فإنه لم

(1) : المصدر نفسه.

يكن (يُعظّم إيليا) المدينة التي بني فيها مسجد قبة الصخرة، ولم يكن يُعظّم قبة الصخرة نفسها، وكان يجدُ حرجاً شديداً حيال استمرار طقوس الحج إليها. ومع ذلك، فقد كانت الهيمنة على الرواية الدينية أقوى من رغبة خليفة إصلاحي مثل سليمان.

الفصل الرابع
المسيحي والوثني
إبرهة وأصحاب الفيل

تتسمُ (سرديّة الفيل) في كل تفاسير القرآن الرائجة، بأنها نموذجية على مستوى الدمج التلفيقيّ، فهي تخلطُ عن قصد بين النجاشي الحبشيّ، أي ملك الحبشة وإبرهة الحَبْشي ملك اليمن، وتصوّرهما كشخصين مسيحييّن حبشييّن (أجنبييّن)، مع أن أحدهما ملك مسيحي أثيوبي والآخر قائد مسيحي يمني. وهذان سوف يختلطان بصورة جماعة وثنية يسميها النص القرآني (أصحاب الفيل). إن اسم النجاشي (لقبه) مأخوذ من الجذر (نجاشة/ نجاسة) أي الوسخ، وهذا لقب الرهبان في المسيحية الأولى الصوفية التي نظرت إلى نذر الجسد كأعلى مراتب التضحية (وفي أوروبا استمرت تقاليد النجاسة هذه مع ملوك إنجلترا وفرنسا [1] حين كان

(1) : يقول ساندور ماراي الذي ولد في بداية القرن 20 لعائلة بورجوازية هنغارية (كاتب وصحفي مجري، توفي في نيسان 1989 وأصدر كتاباً يؤرخ للحياة في أوروبا خلال هذا العصر) إن الاعتقاد الذي كان شائعاً في عائلته الغنية هو أن الاغتسال الكثير يضر بالصحة. ويضيف في كتابه "اعترافات بورجوازي" إن رائحة أوروبا كانت لا تطاق بالفعل؛ فأكثر الأغنياء كانوا يغتسلون بالماء ==

الملك يغتسل كل ستة أشهر ويمضي كل أيامه يستخدم العطور/ البخور بديلا عن الماء). والكتاب المقدّس المسيحي الأكثر شهرة في مسيحية أثيوبيا يُدعى (كبرا نجشت[1]) أي النجاشي/ النجس الكبير. وهذه التقاليد لها صلة عميقة بتقاليد المندائية السبأيسة/ الصبئية (أو ما يعرف خطأ بالصابئة ـ من الجذر صبوئيم العبري بمعنى النجوم) والذين لا يغتسلون إلا في الأنهار الجارية / الحيّة في مواسم دينية. إن نقطة الضعف القاتلة في تفسير القرآن للسورة تكمن في هذا المزيج غير التاريخي من الشخصيات. إن ما يدعى النجاشي/ النجاسيّ، يقصد به الملك الأثيوبي (الحبشي) كالب الذي حكم ابتداء من 525م في مملكة أكسوم (اتحاد أثيوبيا

خلال الأعياد فقط، وإن الحمامات وأماكن الاغتسال في قصور وبيوت الأغنياء كانت مجرد ديكور، بل وإنهم أحيانا كانوا يغتسلون مرةً واحدةً كل عام. يضيف، "كان البورجوازيون الأوروبيون في نهاية القرن الـ 19 يغتسلون فقط حين يمرضون، أو حين يكونون على وشك الزواج". وأن شوارع أوروبا في القرون الوسطى كانت عبارة عن مرتع للفضلات، وكانت تعبرها الحمير والبغال والأبقار والماعز والخنازير، وبعد ذلك يأتي الجزارون فيذبحون المواشي في الشارع العام فتختلط الدماء وأمعاء الحيوانات بفضلات البشر، فيصبح كل ذلك منبعاً لكل الأمراض الممكنة. إنّ الفكرة الشائعة في القرن 18 كانت أن الإنسان يستحم مرةً واحدةً في حياته، وكان المارة في شوارع المدن الأوروبية يضطرون للقفز فوق الفضلات البشرية حتى لا يدوسونها بأقدامهم.

(1) : مجدي عبد الرازق (بلقيس الحبشية وملكة سبأ) كبرا نجشت: جلال الملوك، ترجمة من اللغة الجعزية إلى اللغة العربية جامعة القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، لقاهرة، 5007م

وأرتريا وجنوب اليمن) ، وهذا ما لا تقوله التفاسير أو تصمت عنه، ربما بسبب الجهل أو قلة المصادر التاريخية.

ومن المؤكد أن إبرهة الأشرم أو الحَبْشي، لم يكن كما صوّرته المرويات الإسلامية مسيحيّاً أثيوبياً (حبشياً)، وليس ثمة أي دليل علمي يؤكد هذه المزاعم. على العكس من ذلك، ثمة ما يؤكد أنه حميري من ذي المعاهر، وهم ملوك حمير القدماء. لقد فهم الإخباريون والفقهاء ومفسّرو القرآن لقب (الحَبْشي) خطأ، وظنوا أنه ينصرف إلى (الحبشة) الدولة والنسبة إليها الحَبْشي، بينما نرى أنه يمني من سكان جبل حَبشْي في تعز والنسبة إليه الحبَشْي. وجبل حبَشْي هذا، من أعظم جبال اليمن وأكثرها شهرة، وكان موطناً قديماً من مواطن المسيحية اليمنية وقد دُعي في وقت من الأوقات باسم (جبل ذُخر) وهو جبل مُسنّم يقع في الناحية الغربية لجبل صبر ويفصل بينهما وادي الضباب. ويُعدُّ اليوم جزءاً من مديرية قضاء الحجرية إحدى أهم مديريات محافظة تعز. وقد لاحظ أبو الفرج الأصفهاني في (الأغاني [1]) خلال نقاش له مع اللغوي الشهير أبو عبيدة [2] ، إن اسم إبرهة اسم يمني فقال : (عبد كلال اسم يمان وأبو جمدْ كنية يمانية والعجم لا تكتني، وفي اليمن جماعة قد تسموا بإبرهة وهو اسم حبشي فينبغي أن تنسبهم

(1) : الأصفهاني، أبو الفرج الأصفهاني الأغاني ـ دار الفكر ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ـ تحقيق : سمير جابر ـ عدد الأجزاء : 24

(2) : أبو عبيدة : معمر بن المثنى (110 - 209 هـ / 728 - 824 م) أديب وعالم باللغة ، من أهل البصرة.

إلى الحبشة، وأي شيء يكون، إذا سمي عربي باسم فارسي وليس كل من كُنّي أبا بكر هو الصديق، ولا من سُمّي عمرا هو الفاروق، وإنما الأسماء علامات ودلالات لا توجب نسبا ولا تدفعه. قال فوجم أبو عبيدة وأفحم فما أجاب).

وبالطبع، فقد كان شائعاً في عصر الأصفهاني أن أصل الاسم إبرهة من الحبشة، بما أن قصة الفيل كانت قد هيمنت على ذاكرات المسلمين في هذا العصر. في الواقع كان إبرهة يمنياً مسيحيّاً موالياً للكنيسة الرومانية/ البيزنطية (التي سوف تعرف باسم ابنه كنيسة أكسوم). ولأنه ينتمي إلى (كنيسة بيزنطة) فمن البديهي أن يكون على وفاق مع قادة الحملة الإثيوبية لاحتلال اليمن، لكنه وبدوافع وطنية، قاتل بضراوة من أجل أن يزيح الضابط الأثيوبي إرياط الذي قاد الغزو ليحّل محله. لقد كان عليه أن يصارع دون هوادة ولوقت طويل ، نحو 13 عاماً، من أجل أن يثبتّ حكم المسيحيين اليمنيين لا الأحباش، قبل أن يتمكن من فرض نفسه كزعيم على كل قبائل اليمن. ولولا مساندة الحميريين، وكانوا في عداد القوة المقاتلة التي ساندته، لما تمكن من قتل إرياط. إن اسم إبرهة لا يمكن أن يكون حبشياً، ولا توجد في اللغة الجعزية (الأثيوبية) أي صيغة تؤدي إلى اسمه.

والأدّق إن الاسم من جذر عربي ـ يمني، ويمكننا أن نجد الاسم واللقب في عدد لا يحصى من أسماء وألقاب اليمنيين في الجاهلية والإسلام. مثلاً، ورد اسم إبرهة كاسم لعدد من الملوك المتعاقبين في كتاب (التيجان في ملوك حمير 419/1) لوهب بن

منبه[1] قال وهب في رواية يختلط فيها التاريخ بالأسطورة ما يأتي :

(وإن الملك على حمير باليمن لخنيعة ذو شناتر قبل ذي نواس بدهر طويل، فقتله ذو نواس. وابنه أبرهة بن الرائش ـ وكان يدعى ذا المنار ـ وكان من أجمل أهل زمانه ـ فيما يذكر ـ فعشقته امرأة من الجن ـ يقال لها العيوف ـ فتزوّجها، فولدت له العبد بن أبرهة، فسار أبرهة غازياً نحو المغرب ومعه ابنه العبد فسيره على مقدمته واستخلف على اليمن ابنه أفريقيس ابن أبرهة. فسار أبرهة حتى أوغل في أرض السودان برّاً وبحراً وأمعن فيها. ثم بدا له المقام فأقام وسرح ابنه العبد بن أبرهة في غربي الأرض).

طبقاً لهذه الأسطورة، يكون الملك إبرهة الأول نتاج زواج البشر بالجن، وهذا يعني أنه بطل قديم يحمل الاسم نفسه، وأن " أمازيغ " المغرب هم من أصول يمنية وأخذوا اسم إفريقيا من اسم ابن إبرهة الحميري هذا؟ أما ابن حبيب في (المحبَّر[2]) فيرى أن (إبرهة) بن الرائش هو ذوالمنار لأنه أول من بنى المنار، وهي العلامات المضيئة التي تنصب عند الشواطئ لترشد السفن، ولذلك سميّ (ذو المنار). وهذا دليل آخر على أنه اسم يمنيّ حمله كثرة من الملوك

(1) : ابن وهب، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: 213هـ) يرويه عن أسد بن موسى عن أبي إدريس ابن سنان عن جده لأمه وهب بن منبه رضي الله عنهم ـ تحقيق: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية ـ الناشر: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء ـ الجمهورية العربية اليمنية ـ الطبعة: الأولى، 1347 هـ.

(2) : ابن حبيب ، المحبر (364/1).

الأسطوريين. وهذا ما يقوله الزبيدي في (تاج العروس [1]) إذ يرى أن إبرهة بن الحرث الرائش، هو الذي يقال له ذو المنار وهو (تبّع) من ملوك اليمن (و) أبرهة (بن الصبّاح) أيضا من ملوك اليمن وهو أبو يكسوم ملك الحبشة (صاحب الفيل المذكور في القرآن). في الواقع، أخطأ ابن حبيب في تصوره أن إبرهة بن الصبّاح من ملوك اليمن، والصحيح أنه من مسلمي العصر الأموي، وكان أحد أبنائه ويدعى كرب قدم دمشق وافداً على معاوية وعلى عبد الملك بن مروان [2] .

وهذا ما يؤكد أصوله المسيحية ويفسّر علاقته بمسيحيّ الشام، لكن أسرته أصبحت أسرة مصرية بعد أن انتقلت للعيش هناك، وينقل لنا مؤلف (إكمال الكمال) المولود عام 689 هجرية أن أحد أحفاد كرب هذا، توفي عام 202 هجرية، هو (إسحاق بن أبرهة بن الصباح بن الوليد بن أبى شمر بن أبرهة بن الصباح الأصبحى، مصري، وأمه حمادة بنت سليمان بن يريم بن معدى كرب بن إبرهة بن الصباح، حدث عنه سعيد بن عفير في الأخبار، توفى سنة اثنتين ومائتين) [3] .

---

(1) : محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس - مصدر مذكور.

(2) : ابن عساكر: مختصر تاريخ دمشق، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الأفريقي (المتوفى: 711هـ)المحقق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق - سوريا - الطبعة: الأولى، 1402 هـ - 1984م.

(3) : العلامة الإمام علاء الدين أبو عبدالله مُغْلطاي أبو عبد الرحمن عادل بن محمد - أبو محمد أسامة بن إبراهيم - : تهذيب الاكتمال: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر - الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2001 م - عدد الأجزاء: 12 (241/1).

وفي معركة صفين بين معاوية وعلي، برز دور إبرهة بن الصباح هذا بقوة. يقول مؤلف (وقعة صفين [1]) المتوفى سنة 212 هـ ما يلي :

(فحدثني عمرو بن شمر عن جابر عن عامر، عن صعصعة بن صوحان والحارث بن أدهم، أن إبرهة بن الصباح بن إبرهة الحميرى قام فقال : ويلكم يا معشر أهل اليمن، والله إنى لأظن أن قد أذن بفنائكم، وَيْحَكُم خلّوا بين هذين الرجلين فليقتتلا، فأيهما قتل صاحبه ملنا معه جميعا. وكان [إبرهة] من رؤساء معاوية. فبلغ ذلك عليا فقال: صدق إبرهة بن الصبّاح، والله ما سمعت بخطبة منذ وردت الشام أنا بها أشد سروراً مني بهذه. وبلغ معاوية كلام إبرهة فتأخر آخر الصفوف وقال لمن حوله : إنى لأظن إبرهة مصابا في عقله. فأقبل أهل الشام يقولون: والله إن أبرهة لأفضلنا دينا ورأيا وبأسا، ولكن معاوية كره مبارزة علي).

ما يلفت انتباهنا في هذا النّص، تأكيد المؤلف على أن إبرهة (حميري) الأصل، وليس حبشياً، وهذا يعني أن الاسم ظل مستخدماً بشكل متواتر عند اليمنيين، منذ الزمن الأسطوري الذي ولد فيه إبرهة الأول من أم جنيّة حتى عصر الإسلام وانشقاقاته. أما اللقب (حبشي ــ الحبشي) فنجده شائعا في المرويات الإسلامية. مثلاً : الأسود الحبشي الذي تصوّره المرويات المتأخرة كراعٍ يهودي. وابن

(1) : نصر بن مزاحم المنقري: وقعة صفين، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت الطبعة الأولى1410هـ / 1990 م.

الأثـير في (أسـد الغابـة [1]) يتحـدث عـن شـخص اسمـه (الحبْشــي) قال :

(أسلمْ الحبشـي الأسـود وكـان راعيـاً ليهـودي يرعـى غنمـاً لـه : حـدثني إسـحاق بـن يسـار أن راعيـاً أسـود أتـى رسـول الله ﷺ وهـو محاصر لبعض حصون خيبر، ومعه غنم كان فيها أجيراً لرجل من يعود ـ اسم قبيلة ـ، فقال: يا رسول الله، أعرض علي الإسلام، فعرضه عليه فأسلم).

هذا يعني ـ حسب الرواية الإسلامية ـ أن الراعي الزنجي، هو رجل من جبل حبشْي في تعز، وقد أسلم، سُمِّي " أسلم" الحبْشي، أو أنه عُرف بهذا الاسم لأنه أعلن إسلامه على يد النبيّ محمد؟ ومن غير المنطقيّ تخيّل راعٍ مسيحي من الحبشة يقطع المسافة الهائلة خلال المعارك في خيبر، وهي قلعة في وادٍ من وديان شمال الجزيرة العربية، فقط لأجل أن يعلن إسلامه؛ بينما يمكن الافتراض أن المروية تتحدث عن مسرح محليّ.

وهناك شخص آخر يُدعى عاصم الحبْشي، وهو خادم/ عبد، أي غلام لرجل تاجر يُدعى زرعة الشقري وسمّاه النبي زرعة على اسم سيّده [2]. كما نجد في ألقاب المتأخرين اسم ريحان بن عبد

---

(1) : ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد، (المتوفى: 630هـ) أسد الغابة في معرفة الصحابة، المحقق: علي محمد معوض ـ عادل أحمد عبد الموجود ـ دار الكتب العلمية ـ 1415هـ ـ 1994م.

(2) : أسد الغابة، المصدر نفسه.

الله أبو روح الحبْشي الحصني [1] . وبالطبع يصعب تخيّل أي مسلم، يسميّ نفسه إبرهة تيمناً بشخص سخط الله عليه ورماه بحجارة سماوية، إلا أن يكون الاسم يمنياً (حميرياً) قديماً، والأمر نفسه ينطبق على اللقب، فهو انتساب لموضع بعينه (جبل حبْشي). لقد تلاعب كتّاب التاريخ الرسمي للإسلام بالوقائع التاريخية واختلقوا شخصيات وحروباً لا وجود لها، لكنهم وهم يواصلون إنشاء سردياتهم التاريخية من خلال تفسير القرآن، لفقوا صوراً نمطية لا تُمحى للشخصيات والأبطال. ولعل قصة الفيل ستبدو نموذجية أكثر فأكثر، حين نمعنُ النظر في الطريقة التي صورت فيها إبرهة الحبشي كضابط أثيوبي، وهي صورة يكاد يستحيل زحزحتها من ذاكرات العرب والمسلمين اليوم. وسوف ندقق ـ هنا ـ في المرويات الإسلامية الشائعة لنكشف عن نوع التناقضات التي وقع فيها الرواة، وكيف أنهم كانوا يجهلون اسم البطل الحقيقي للحادث اللا تاريخي، فهم يسمونه تارة إبرهة الحبشي، وتارة أخرى إبرهة الأشرم، وفي حالات كثيرة إبرهة بن الصباح؟

---

(1) : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي (المتوفى: 681هـ). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ـ المحقق: إحسان عباس ـ الناشر: دار صادر ـ بيروت.

1 : إبرهة الأشرم

استلهم معظم الإخباريين ومفسّري القرآن سردية الفيل من نصّ الطبري (224 هـ ـ 310 هـ ـ 839 ـ 923م) الذي استلهمها بدوره من ابن إسحق (ولد في المدينة سنة 85 هـ/703م : السيرة النبويّة). الفارق الزمني بين الرجلين يصل إلى 600 عام تقريباً، وهذا يعني أن الرواية الأولى للتفسير، ظهرت في زمن بعيد جداً نحو 6 قرون عن الرواية الثانية التي جاء بها الطبري، وهذا زمن طويل، يصعب تصوّر أن الرواية الثانية ظلت بمنأى عن الاضطراب أو أنها تمكنت من التقيّد في المصادر والمراجع الأصليّة. وحين شرع الفقهاء في العصر التالي في إنشاء سردياتهم وهم يعيدون سرد النصّ الأصلي، فقد كرّروا حرفياً ما كتبه من سبقهم دون أي تدقيق. ويبدو من تحليل سائر النصوص التي تناولت القصة، أن لقب (الأشرم) فُهم على أنه عاهة لحقت به جرّاء القتال مع إرياط .

وهذا ما يقوله الطبري :

(فأقام أرياط باليمن سنين في سلطانه ذلك، ثم نازعه في أمر الحبشة باليمن أبرهة الحبشي وكان في جنده، حتى تفرقت الحبشة عليهما فانحاز إلى كل واحد منهما طائفة منهم، ثم سار أحدهما إلى الآخر فلما تقارب الناس ودنا بعضهم من بعض، أرسل أبرهة إلى أرياط، إنك لن تصنع بأن تلقي الحبشة بعضها ببعض حتى تفنيها شيئا، فابرز لي وأبرز لك، فأينا ما أصاب صاحبه انصرف إليه جنده. فأرسل إليه أرياط أن قد أنصفتني فاخرج. فخرج إليه أبرهة وكان رجلاً قصيراً لحيما حادراً، وكان ذا دين في النصرانية وخرج

إليه أرياط، وكان رجلاً عظيماً طويلاً وسيماً وفي يده حربة، وخلف أبرهة ربوة تمنع ظهره وفيها غلام له يقال له عتودة، فلما دنا أحدهما من صاحبه، رفع أرياط الحربة فضرب بها على رأس أبرهة يريد يافوخه، فوقعت الحربة على جبهة أبرهة فشرمت حاجبه وعينه وأنفه وشفته فبذلك سمي أبرهة الأشرم [1])

كما تزعم رواية ابن الأثير، المتوفى عام 630 هـ، في مؤلفه (البداية والنهاية [2]) أي بعد رواية الطبري بنحو 300 عام، أن إبرهة الحبشي هو نفسه إبرهة الأشرم. وبكل تأكيد، فقد كان ابن الأثير ينقل حرفياً من نصّ الطبري وأحياناً دون تدقيق. ولتسويغ سبب هذا الانقلاب المفاجئ في اللقب من (الحبشي) إلى (الأشرم) يوظف ابن الأثير كل المرويات السابقة على عصره ومنها رواية الطبري التي يكرّرها حرفياً، فيرى أن السبب له علاقة بصراعه مع أرياط الذي ضربه فشرم أنفه.

يقول ابن الأثير :

(فرفع أرياط الحربة فضرب أبرهة يريد يافوخه، فوقعت الحربة على جبهة أبرهة فشرمت حاجبه وعينه وأنفه وشفته، فبذلك سمي أبرهة الأشرم).

---

(1) : الطبري : محمد بن جرير الطبري أبو جعفر: تاريخ الأمم والملوك ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ، 1407.

(2) : ابن كثير الدمشقي المتوفى سنة 774 هـ./ البداية والنهاية، حققه ودقق أصوله وعلق حواشيه علي شيري الجزء الثالث دار إحياء التراث العربي ـ الطبعة الأولى 1408 هـ. 1988 م (210/2).

لقد أوردتُ نص ابن الأثير المنقول حرفياً عن الطبري - وأعلم أنه تكرار للنص السابق - فقط لإعطاء فكرة للقارئ عن الطريقة التي اشتغل فيها الإخباريون . إنهم يكرّرون دون أي فحص أو تدقيق بما ينقلون. أما الدميري المتوفى بعد ابن الأثير بنحو قرنين - في مصر عام 1405م – 808 هجرية – فيسميّه إبرهة الأشرم، ويزعم أن حادث الفيل وقع نحو العام 882 من ذي القرنين؟ وهذا تقويم زمني أسطوري لا وجود له.

يقول في مؤلفه (حياة الحيوان الكبرى [1])

(لما كان أول المحرم سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة من تاريخ ذي القرنين، وكان النبي ﷺ يومئذ حملا في بطن أمه، حضر أبرهة الأشرم ملك الحبشة يريد هدم الكعبة، وكان قد بنى كنيسة بصنعاء، وأراد أن يصرف إليها الحاج، فخرج رجل من بني كنانة، فقعد فيها ليلا فأغضبه ذلك، وحلف ليهدمن الكعبة).

إن التاريخ الذي يعطيه الدميري تاريخ أسطوري لا نعرف عنه أي شئ، إلا إذا افترضنا أنه تقويم عبري (الفارق بين الميلادي والعبري يصل إلى أكثر من 3500 سنة، مثلاً سنة 2000 في التقويم الجريجوري تُعادل عام 5760 في التقويم العبري). أما إذا افترضنا أنه تاريخ حميري/ يمني ففي هذه الحالة سوف يكون على النحو الآتي: 882 - 109= 773 م. وفي كل الحالات لا يبدو هذا التاريخ معقولاً. في

(1) : الدميري، محمد بن موسى بن عيسى بن علي ، أبو البقاء، كمال الدين الشافعي (المتوفى: 808هـ) حياة الحيوان الكبرى - دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الثانية، 1424 هـ.

الواقع ليس ثمة صلة بين لقب الأشرم وبين تعرض إبرهة ـ وهذا الرسم الصحيح للاسم في العربية ـ للطعن الذي سوف يسبّب له عاهة دائمة، ويبدو أن الإخباريين وكتّاب السير والمفسرين، كانوا يجهلون معنى اللقب، وهم وجدوا في تأويل ابن اسحق تأويلاً مقبولاً. لكن الحقيقة التاريخية لا تؤيد هذا التأويل السطحي، لأن لقب الأشرم ينصرف إلى قبيلة شهيرة من قبائل اليمن تعرف ببني الأشرم، ولا تزال حتى اليوم بقاياها تعيش في محافظة إب على الحدود مع تعز وجبل حبْشي، كما تعيش في عزلة جبلية تعرف باسم عزلة بني الأشرم في محافظة ذمار، ضمن مديرية ضوران أنس. ولذلك، فالاسم الصحيح هو إبرهة الأشرم أي من بني الأشرم سكان جبل حبْشي.

ها هنا شخصيتان مخُتلفتان: الحبْشي والأشرم، وهما ليسا الشخص نفسه.

2: إبرهة بن الصباح

وللتدليل على أن التاريخ الرسمي للإسلام كان عرضة للتلاعب والتلفيق طوال عصور، أن القزويني، مثلاً (ت/ 415 هجرية) أي بعد عصر الطبري بنحو 100 عام، يُقدّم رواية أشد غرابة، فإبرهة بن الصباح برأيه كان ملكاً على اليمن، حين جاء إبرهة الحبشي لغزوها. وهكذا، يصبح لدينا ملك يُدعى إبرهة، وملك آخر يدعى إبرهة، لكن الثاني رجل مسلم والأول مسيحيّ؟ وهكذا أيضاً يصبح رجلٌ مسلمٌ في عصر الصراع بين علي ومعاوية، ملكاً من ملوك اليمن؟

يقول القزويني (آثار البلاد وأخبار العباد [1]):

(ولهم ملكٌ مطاع يقال له أبرهة بن الصباح. ولما مات ذو يزن، وهو آخر الأدواء من ملوك اليمن، استولى الحبشة على اليمن، وكان عليها أبرهة من قبل النجاشي، فلما دنا موسم الحج رأى الناس يجهزّون للحج، فسأل عن ذلك، فقالوا: هؤلاء يحّجون بيت الله بمكة. قال: فما هو؟ قالوا: بيت من حجارة. قال: لأبنْين لكم بيتاً خيراً منه) .

وهذا تزييف فظيع للتاريخ، حيث يصبح غزو الحبشة الذي حدث عام 525م، حادثاً تاريخياً يقع بعد وفاة سيف بن ذي يزن؛ بينما نعلم من وقائع التاريخ المتحقّق أن سيف وبمساعدة الفرس ، تمكن من تحرير اليمن وطرد الأحباش عام 579م . وفي هذه الرواية هناك فارق زمني يصل إلى أكثر من 50 عاماً. وإذا ما صدّقنا هذه الرواية التي يرويها القزويني، فسوف يكون حادث الفيل قد وقع بعد ولادة محمد بنحو خمسين عاماً ؟ أمّا إبرهة بن الصباح الذي يزعم القزويني أنه كان ملكاً على اليمن قبل الغزو الحبشي، فقد قتل أثناء حروب الخوارج في منطقة الأبطح [2] ، وهذا ما أشار إليه إحسان عباس في (شعر الخوارج [3]). وكنا رأينا في ما سبق من صفحات، أن إبرهة بن الصباح التقى معاوية قبل معركة صفين،

---

(1) : القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (المتوفى: 682هـ) ـ آثار البلاد وأخبار العباد ـ دار صادر ـ بيروت.

(2) : بين مكة ومنى.

(3) : إحسان عباس : شعر الخوارج ـ دار الثقافة 1974 ـ بيروت ـ لبنان.

فكيف أصبح في رواية القزويني ملكاً من ملوك اليمن قبل غزو الحبشة؟ هذا الأمر يدعم بقوة نظرية هذا الكتاب: هناك روايتان لتاريخ الإسلام، أموية وعباسية، وهما تأسستا فوق بعضهما، أيّ أن الرواية العباسيّة جاءت لتؤسّس فوق رواية، ولنقل، طبقة من الروايات الأموية المسيحية، وبحيث اندمجتا في رواية واحدة مع الوقت.

هذا هو التاريخ الرسمي للإسلام الذي يجري تعليمه وتلقينه في المساجد والجامعات. إنه (عمارة تلفيق) يضيف إليها كل فقيه ومؤرخ وقصاص، طابقاً جديداً بكامل حريته، ثم يأتي مسلمون من مختلف العصور والعهود، فيقرؤون ويصدّقون دون أي اشتباك مع أي نصّ.

3: إبرهة وتُبّع

وللمرء أن يتخيّل، كيف تمّ تلقي (سردية الفيل) منذ ما يزيد عن 1200عام من الآن، وكيف جرى تعليم مضمونها ووقائعها لأجيال وأجيال من المسلمين. وفي قلب هذا التعليم المتواصل، جرى تخييلٌ من نوعٍ غير مألوفٍ لشخصية ُتدعى (أبو رغال) زُعم أنه كان دليل إبرهة إلى مكة. لقد وضعت هذه الشخصية في قالب حديدي من الإنشاء المنظّم لصورة الخائن، حيث صار الاسم بذاته ولذاته دالاً على كل خيانة. ومع أن السردية لا تذكر أي شئ عن نسب هذه الشخصية، وما إذا كانت عدنانية ـ حجازية أم لا؛ فإن الرمزية الصاخبة للخيانة ظلت تصدح عبر هذا التاريخ. في الواقع، لم يكن هناك شخصٌ تاريخيٌّ بهذا الاسم، والشخصية التي رُسمت ملامحها

بهذه الصورة، هي شخصية افتراضية استخدمت في إطار التشهير ببعض القبائل، وبشكل أخص بقبائل ثقيف. وهذه الصورة النمطية لشخصية أبي رغال، تنتسب إلى حقبة الكراهية الطويلة لثقيف من جانب قبائل الحجاز، بعد أن هدم الحجاج بن يوسف الثقفي الكعبة. لقد ردّ الرواة المسلمون من أصول حجازية على هدم الكعبة من جانب شخص ينتمي لثقيف، بابتكار شخصية خائن من ثقيف يدعى (أبو رغال). وهكذا : مقابل الحجاج الثقفي الذي دمّر الكعبة، ابتكر العباسيّون شخصية (أبو رغال) الثقفي العميل/ الخائن. لقد خلقوا شخصية خائن مقابل شخصية البطل. وهذا ما سوف نبيّنه حين نفكّك شخصية تبّع الأسطورية الموازية. والخلاصة التي يمكن الخروج بها من هذا الاستعراض الأوليّ، هي أنّ الفوضى التي اتسمت بها كتابة التاريخ الرسمي للإسلام، وهي كتابة متواصلة ونهض بها رجال دين وفقهاء ورواة حديث، ثم طوّرها كتّاب تاريخ وباحثون وأساتذة جامعات على امتداد عصور وعصور، ووظفها ملوك وزعماء دون توقف، هي فوضى مركّبة يصعب تفكيكها لأنها تبدو مثل أحجية غير قابلة للحل. ويبدو أن نظام التعليم الديني السائد، مؤسّس في الأصل على نوع من الإهمال المقصود للجانب التاريخي، والميل لاستبداله بوقائع مثيولوجية. وهذا ما نلاحظه حين نعيد تفكيك السردية القديمة عن غزو أسطوري لمكة قام به ملك يمني آخر يسمّى (تبّع). إن قارئ التاريخ العربي ـ الإسلامي، يُدهش حقاً حين يقرأ التاريخ ممزوجاً بالأساطير، ودون أن يتمكن من فكّ الارتباط بين الأسطوري والتاريخي؛ إذ تختلط الشخصيات حتى لتبدو الشخصية الأسطورية وكأنها شخصية

تاريخية والعكس صحيح. ولعل استخدام رواة الحديث ومفسريّ القرآن لأسطورة غزو تُبّع لمكة، يكشف عن واحدة من طرائق الخداع التي لجأ إليها المؤرخون، فهم يصوّرون شخصية تقوم بمحاولة غزو، لكنه سرعان ما ينتهي بالحجّ وإشهار الملك اليمني عن إسلامه قبل ظهور الإسلام بألف عام؟ وهذه الصورة تنتسب في الجوهر لفكرة تأويلية لسور القرآن، رأت أن الإسلام دين قديم سابق على كل الأديان، فإبراهيم النبيّ كان مسلماً:

﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [البقرة: 131] وسليمان حسب القرآن نبيّ مسلم ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة النمل: 44]. وهكذا، فقد أصبح تُبّع ملكاً مُسلماً يقوم بكساء الكعبة. وعندما انهمك فقهاء العصر الأموي في إنشاء سردية ملفقة ومزيفة عن غزو مكة، تتناسب وحاجات الخلافة لإعادة تشكيل رمزية الكعبة في وعي المسلمين، فقد وجدوا أنفسهم في مأزق حقيقي؛ إذ لم يكن منطوق آية الفيل بذاتها كافياً لإنشاء سردية من هذا النوع، فهي لا تذكر اسم مكة أو الكعبة أو إبرهة، ولذلك، قاموا باستعارة بعض المرويات القديمة الشائعة في الثقافة الشعبية في اليمن والجزيرة العربية عن غزو فاشل، قام به ملك يمني أطلقوا عليه اسم (تبّع) وهم وجدوا في النصّ القرآنيّ ما يساعدهم في هذا العمل، إذ جاءت سورة الدخان على ذكر جماعة تُدعى (قوم تُبّع) وهكذا أيضاً، فقد خلطوا ـ عن

قصد أو جهل ـ بين إبرهة الحبشي وإبرهة بن الصباح وتبّع اليمن، وبعضهم خلط بين هؤلاء وبين إبرهة الرائش[1] وهو ملك أسطوري من ملوك اليمن. تدور أسطورة (الملك اليمني تبّع) الذي كسا الكعبة، وأصبح مُسلماً مثل سليمان النبيّ في القرآن في نطاق الفكرة ذاتها، حيث يزحف ملك يمني من صنعاء نحو مكة لهدم الكعبة، لكن حَبْرين يهوديّن خرجا للقائه ونجحا في إقناعه بالعدول عن الفكرة من أساسها، وبدلاً من هدمها سيقوم تبّع بزيارتها والتبرّك بها ثم يأمر بإكسائها، فيقال إن أول من كسا الكعبة تبّع اليمن. هذه هي الفحوى التقريبية لسردية غزوة تبّع. إن التاريخ اليمني الموّثق بالنقوش لا يعرف أي شئ عن هذا الحادث، وسرديّة ابن اسحق في (السيرة) لا تذكر أي مصدر حقيقي استمّد منه قصة هذا الغزو، باستثناء الأسانيد التقليدية ــ الأحاديث والروايات الشفهية ـ الضعيفة والمفككّة.

يقول :

(عن ابن إسحق[2] قال : ثم إن تُبّعاً أقبل من مسيره الذي كان، سار يجول الأرض فيه حتى نزل على المدينة، فنزل بوادي قباء،

---

(1) : الرائش : قال ابن هشام (السيرة/ مصدر مذكور) : هو ابن الصعب بن ذي مداثر أو مرثد ابن الملطاط. وقال ابن الكلبي أن اسم أبيه الحرث بن قيس بن صيفي بن سبأ بن يعرب بن قحطان ولقب بالرائش لغنيمة غنمها فأدخلها اليمن. وقال ابن الوردي ان أبرهة بن الرائش من ملوك العرب البائدة ملك في طسم وقال القرماني أنه ملك 183 سنة ثم ملك بعده ابنه افريقش وقال ابن خلدون أنه ملك 180 سنة.

(2) : محمد بن اسحاق: السيرة النبوية/ مصدر مذكور.

فحفر فيها بئراً، فهي اليوم تدعى بئر الملك، وبالمدينة إذْ ذاك يهودُ، والأوس والخزرج، فنصبوا له فقاتلوه، فجعلوا يقاتلونه بالنهار، فإذا أمسى أرسلوا إليه بالضيافة وإلى أصحابه، فلما فعلوا ذلك به ليالي أرسل إليهم يريد صلحهم، فخرج إليه رجل من الأوس يقال له: أحيحة بن الجلاح وخرج إليه من يهود بنيامين القرظي)

في هذا المقطع من النصّ، يصل الملك اليمني إلى المدينة (يثرب/ الطائف). لكنه يتوقف لحفر بئر؟ بينما كان اليهود يقاومونه وينصبون له الكمائن. ومن بين الجماعات اليهودية التي قاتلته في يثرب يهود بن يامين/ بن يامن القرظيّ. لكن ماذا يفعل هذا البنياميني في يثرب؟ ولماذا يقاتل ملكاً يمنياً جاء لغزو بيت عبادة وثنيٍّ في مكة؟ هل من المنطقي تخيّل أن يهود ثقيف كانوا يدافعون عن الوثنية وهم من سبط بن يامن؟ إن تصديق هذا النوع من المرويات من جانب المسلمين المعاصرين، يؤكد لنا بشكل قاطع أنهم ضحية خداع تاريخيّ.

دعونا نفكّك هذه الرواية الزائفة. يضيف ابن إسحق (المصدر نفسه) ما يأتي:

(فقال له أحيحة: أيها الملك نحن قومك، وقال بنيامن: أيها الملك هذه بلدة لا تقدر أن تدخلها لو جهدت بجميع جهدك، فقال: ولم؟ قال: لأنها منزل نبيّ من الأنبياء، يبعثه اللّه عز وجل من قريش، وجاء تبّعاً مخبرٌ خبرَه عن اليمن أنه بعث اللّه عليها ناراً تحرق كل ما مرت به، فخرج سريعاً، وخرج معه بنفر من يهود فيهم بنيامين وغيره. ثم خرج يسير حتى إذا كان بالدف من جمدان، من مكة على ليلتين، أتاه ناس من هذيل بن مدركة، فقالوا: أيها الملك

ألا ندلك على بيت مملوء ذهباً وياقوتاً وزبرجداً تصيبه وتعطينا منه؟ فقال: بلى، فقالوا: هو بيت بمكة، فراح تبّع وهو مُجمع لهدم البيت، فبعث الله عز وجل عليه ريحاً فقفعت يديه ورجليه، وشجت جسده، فأرسل إلى من كان معه من يهود، فقالوا أحدثت نفسك بشيء؟).

والآن لاحظوا التلفيق المريع، فقد عاد الملك أدراجه إلى اليمن، حين جاءه رسول من هناك يخبره بحدوث حريق هائل التهم كل شيء، لكنه فجأة يأخذ معه يهود بن يامين/ بن يمن (وقبل قليل رأينا أنهم كانوا يقاتلون الملك اليمني؟). ثم فجأة ، وهو في طريقه إلى اليمن يقرر الذهاب صوب مكة، لأن جماعة من هذيل قالت له : ألا ندلك على بيت فيه الذهب؟ فهل جاء تُبّع اليمني لغزو الكعبة لأنها (بيت عبادة وثنيٍّ) أم لأنه (بيت مليء بالذهب)؟ وبسؤال آخر: هل هرب إلى اليمن ليعرف سبب الحريق، أم أنه أهمل هذا الحدث وقرّر غزو مكة؟ هذا أمر غير مفهوم في الرواية السائدة.

تضيف رواية ابن إسحق الزائفة والمُلفقة ما يأتي (المصدر نفسه):

(قال: نعم جاءني نفرٌ من أهل هذا المنزل، فدلوّني على بيت مملوء ذهباً وياقوتاً وزبرجداً، ودعوني إلى تخريبه وإصابة ما فيه على أن أعطيهم منه شيئاً، فرأيت لهم بذلك، فرحتُ وأنا مُجمعٌ لهدمه، فقال النفر الذين كانوا معه من يهود: ذلك بيت الله الحرام، ومن أراده هلك، فقال: ويحكم فيما المخرج مما دخلت فيه؟ قالوا: تحدث نفسك أن تطوف به كما يصنع به أهله وتكسوه وتهدي له).

طبقاً لهذا النصّ غير العقلاني، يكون الملك اليمني قد جاء لتهديم الكعبة ، فقط لأجل أن يستولي على الذهب وأن يعطي جزءاً منه للأدِلاّء من القبائل، لكن فجأة يدخل اليهود - في الرواية - ليطلبوا من الملك اليمني أن لا يفعل ذلك، لأن هذا البيت هو (بيت الله الحرام)؟ هل هذا منطقيّ؟ وهل يمكننا تصديق أن اليهود يدافعون عن البيت الوثني بوصفه (بيت الله الحرام)، بينما نرى يهوداً آخرين يشجعون الملك على (نهب الذهب) في هذا البيت؟ لكن : هل من المنطقي التفكير، مجرد التفكير بوجود حملة يمنية جبارة تقطع كل هذه المسافة، فقط من أجل نهب ذهب (بيت عبادة) في شمال الجزيرة العربية التي لا معابد فيها أصلاً، ولا يوجد في أرضها ذهب أو معادن تضاهي ثروات اليمن القديم المعروفة؟ هذا النوع من المرويات التاريخية التي شكلت تاريخ الإسلام، لا تعدو أن تكون أكثر من هذيان قصاصين. والآن، لاحظوا كيف ينهي ابن إسحق روايته في المقطع الآتي مباشرة (المصدر نفسه) :

(ثم سار حتى دخل مكة، فطاف بالبيت، وسعى بين الصفا والمروة، فأري في المنام أن يكسو البيت فكساه الخصف[1] - نوع من القماش الفاخر -، وكان أول من كساه، ثم أري أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه المعافريّ[2] ، ثم أري أن يكسوه أحسن من ذلك، فكساه الوصائل، وصائل اليمن).

---

(1) : نوع من القماش يصنع من الليف والخوص أي أوراق النخيل ولحاء الشجر اشتهر به اليمنيون القدماء.

(2) : نوع من القماش اشتهر به إقليم المعافر في محافظة تعز اليوم باليمن.

في هذا النصّ المنسوب لابن إسحق (السيرة النبويّة) هناك جملة أخطاء مثيرة للسخرية، فالملك/ تبّع اليمني، يسمع من يهود ينتسبون لسبط بن يامين/ بنيامين كانوا في مكة الحجاز، قصة عن أحداث جرت في اليمن، منها خبرٌ عن حريق. وهذا ما يقوله حرفياً (وجاء تبّعاً مخبرٌ خبّره عن اليمن أنه بعث اللّه عليها ناراً تحرق كل ما مرت به). فهل من المنطقي تخيّل ملك يمني في مكة يستمع إلى (مخبر) حجازي يقصّ عليه أسطورة النار التي التهمت اليمن؟ وحين استمع منه إلى قصة النار هرب، وذهب إلى مكان آخر على الطريق بين مكة والمدينة يُدعى جبل جمدان (فخرج سريعاً، وخرج معه بنفر من يهود فيهم بنيامين وغيره. ثم خرج يسير حتى إذا كان بالدف من جمدان). وكنا رأينا من قصة ابن إسحق أن حَبْراً من أحبار اليهود يُدعى بنيامين القرظي (من بني قريظة) كان في حضرة الملك، ثم استقبل شخصاً مجهولاً قصّ عليه قصة النار في اليمن، ولذا فرّ ومعه الحبر اليهودي بنيامين القرظي ـ الذي حذّره من هدم الكعبة ـ ؟ هل هذا سياق منطقي؟ هل هذه رواية تاريخية أم أسطورة؟ لماذا يفرّ كاهن يهودي مع ملك يمني من مكة إلى اليمن، وفقط لأنه سمع قصة حريق هائل في اليمن ؟

لكن جمدان [1] هذه ليست في الحجاز أصلاً، ولا توجد في

(1) : رقم الحديث: 4840 (حديث مرفوع) حَدَّثَنَا أُمَيَّةُ بْنُ بِسْطَامَ الْعَيْشِيُّ ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ يَعْنِي ابْنَ زُرَيْعٍ ، حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ الْقَاسِمِ عَنْ الْعَلاءِ ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ ، فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ ، فَقَالَ : " سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ " ، قَالُوا : وَمَا الْمُفَرِّدُونَ ==

مكة ولا في المدينة مقاطعة أو جبل يعرف بهذا الاسم؛ بل هي مكان معلوم في اليمن[1] . ولو أننا وضعنا قصة (تُبّع اليمني) ضمن التاريخ اليمني، وهو سعى إلى هدم بيت المقه/ المكة في صراوح وليس مكة الحجاز، فسوف يكون مفهوماً لنا أنه كان في جبل جُمدان في محافظة عمران على تخوم مأرب ، لأن هذا المكان لا يزال هناك باسمه هذا : محافظة عمران، مديرية بني صريم، عزلة بني غثيمة ، قرية جمدان. وهذا يؤكد أن التزوير قام على أساس استعارة روايات من التاريخ اليمني وتاريخ المقه/ المكة في صرواح. في هذا النطاق من الفكرة، يُزعم في الروايات الإسلامية المتأخرة، أن جُمدان على الطريق بين المدينة (الطائف) ومكة وأنها جبل. لكن لا دليل على ذلك. في الحقيقة هناك مكان يُدعى (الخليص) أطلق عليه في وقت متأخر من الإسلام اسم (جُمدان) فقط لتأكيد الرواية الخيالية. بيد أن من المهم أن نعلم، أن الملك اليمني فرّ من هول الصدمة إلى اليمن وأخذ طريق مكة / الطائف (عبر جبل جُمدان) ومن دون أن يكون مفهوماً لنا ، هل قصة حريق اليمن كافية لحمل ملك جاء للغزو على الفرار؟

يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : "الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ ". تساءل ياقوت الحموي في معجم البلدان (161/2) (ولا أدري ما الجامع بين سبق المفردون ورواية جُمْدَان، ومعلوم أن الذاكرين الله كثيرًا سابقون وإن لم يروا جُمْدَان، ولم أر أحدًا ممن فسر الحديث ذكر في ذلك شيئًا).

(1) : محافظة عمران ، مديرية بني صريم ، عزلة بني غثيمة ، قرية جمدان.

لقد استعار مفسّرو القرآن والفقهاء والإخباريون هذه الأسطورة من التراث الشعبي اليمني، وقاموا بإعادة تكييفها مع البيئة الحجازية وبحيث تبدو مروية عدنانية ـ شمالية. وجرى في نطاق هذه الاستعارة التركيز مرة أخرى على الفكرة ذاتها التي وردت في أسطورة إبرهة، أي ارتباط هدم الكعبة بمولد النبي. كما جرى ربط موازٍ بين وقوع معجزة هزيمة الملك اليمني، وبين قيامه بإكساء الكعبة. لكن وبدلاً من الطير الأبابيل، حلّت الريح لتعصف بجيشه. لقد تنبأ الأحبار اليهود بمولد النبي أحمد ـ حسب رواية ابن اسحق ـ وكانوا أول من سارع لحماية الكعبة وإقناع الملك اليمني بأن يتحول دينيّاً. المثير للدهشة، أن السردية الجديدة تتبنى على مزيج من الأفكار المتناقضة، فالملك اليمني (تبّع) الذي جاء لهدم الكعبة الوثنية، ثم تخلى عن هذا الهدف بعد هزيمته، أصبح بفضل الأحبار اليهود مُسلِماً [1] ؟ وهذه أسطورة نموذجية دخلت في التاريخ الرسمي للإسلام، بفضل أحاديث ابن عباس. يقول ابن اسحق: (حدثنا عكرمة قال : سمعت ابن عباس يقول : لا يشبهن عليكم أمر تبع فإنه كان مسلمًا). فمن هو عكرمة هذا الذي سمع حديث ابن عباس؟ وكيف عرف ابن عباس أن (تُبع اليمني) كان مُسلماً قبل ظهور الإسلام؟ كنا رأينا أن ابن عباس عاصر النبي (كان عمره 9 ـ 11 عاماً) وتُوفي بالطائف سنة 68 للهجرة.

أما عكرمة الذي نقل أحاديثه وزعم أنه سمعها منه، فهو أبو عبد اللّه مولى ابن عباس أصله بربري، توفى عام 104 هجري، أيّ

(1) : ابن إسحق/ مصدر مذكور.

أن الفارق الزمني الذي يفصلهما يصل إلى 40 عاماً، وهذا ما جعل ابن عمر [1] وسعيد بن المسيب [2] ومحمد بن سيرين [3] وعلي بن عبد الله بن عباس [4] ، ويحيى بن سعيد [5] والقاسم بن محمد [6] وعطاء الخراساني [7] ، وكلهم كانوا معاصرين له يصفونه بـ (الكذّاب). بعد موت عكرمة جاء ابن إسحق لينقل عنه. والغريب أنّ القرطبي في تفسيره، ينقل عن ابن إسحق كامل روايته هذه عن غزو تبّع لمكة، ويكرّر أسطورة إيمانه بالإسلام ، ويزعم أن تبّع ترك رسالة قبل موته موجهة لمحمد ، يعلن فيها الإيمان بالقرآن قبل ألف عام من مولده .

يقول نقلاً عن ابن إسحق :

(وروى ابن إسحاق [8] [السيرة، ص: 136] وغيره أنه كان في الكتاب الذي كتبه: (أما بعد، فإني آمنت بك وبكتابك الذي أنزل عليك ، وأنا على دينك وسنتك ، وآمنت بربك ورب كل شيء،

---

(1) : عبد الله بن عمر بن الخطاب (10 ق.هـ - 73 هـ) محدث وفقيه وصحابي من صغار الصحابة.

(2) : سعيد بن الْمُسَيِّب (15 هـ - 94 هـ) تابعي يعرف بلقب ـ «عالم أهل المدينة».

(3) : أبو بكر محمد بن سيرين البصري110 هجرية

(4) : توفي سنة 118هـ عن ثمان وسبعين سنة.

(5) : توفي في عام 144 هـ.

(6) : أبو محمد القاسم بن محمد بن أبي بكر التيمي (35 هـ - 107 هـ) تابعي مدني، وأحد رواة الحديث النبوي، وأحد فقهاء المدينة السبعة من التابعين.

(7) : توفي في عام 135 هـ.

(8) : محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، تفسير القرطبي - دار الفكر : ج 16 : ص: 136 .

وآمنت بكل ما جاء من ربك من شرائع الإسلام، فإن أدركتك فبها ونعمت، وإنْ لم أدركك فاشفع لي ولا تنسني يوم القيامة ، فإنيّ من أمتك الأولين وبايعتك قبل مجيئك، وأنا على ملتك وملة أبيك إبراهيم ـ عليه السلام ـ ثم ختم الكتاب ونقش عليه : لله الأمر من قبل ومن بعد وكتب على عنوانه : إلى محمد بن عبد الله نبي الله ورسوله ، خاتم النبيين ورسول رب العالمين ﷺ. من تبع الأول. وكان من اليوم الذي مات فيه تبع إلى اليوم الذي بعث فيه النبي ﷺ ألف سنة لا يزيد ولا ينقص).

فهل لعاقل أن يصدّق هذه الترهات، وبحيث أن ملكاً من ملوك اليمن قبل 1000 عام من محمد، ترك رسالة إيمان برسالته ونبّوته ؟ وأين نجد هذه الوثيقة ؟ إذا قبلنا بهذه الرواية فسوف يتوجب علينا أن نبحث في تاريخ اليمن عن سند تاريخي يعود إلى نحو 500 ق.م (ألف عام قبل مولد النبيّ) سجل فيه ملك يمنيّ إيمانه بمحمد؟ لقد كررّ الفقهاء والإخباريون ومفسرّو القرآن كل هذه الخزعبلات دون حرج.

وهذا ما لاحظه السيّوطيّ[1] وهو يعيد إنتاج رواية ابن عباس عن الحادث نفسه فيقول :

(وأخرج الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: " لا تسبوا تُبّعاً فإنه قد أسلم " . وأخرج أحمد والطبراني وابن أبي حاتم وابن مردويه عن سهل بن سعد الساعدي

(1) : عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، الدر المنثور ـ دار الفكر ـ بيروت ، 1993.

رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ "لا تسبوا تُبّعاً فإنه كان قد أسلم ". وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لا يشتبهن عليكم أمر تُبّع فإنه كان مسلماً. وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لا تقولوا لتُبّع إلا خيراً فإنه قد حجّ البيت وآمن بما جاء به عيسى بن مريم. وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن كعب رضي الله عنه قال : لا تقولوا لتُبّع إلا خيراً فإنه قد حجّ البيت وآمن بما جاء به عيسى بن مريم).

في هذه الرواية الخيالية التي لفقها السيّوطيّ المتأخر (العصر المملوكي) فقد أصبح حديث ابن عباس عن إسلام الملك اليمني حديثاً منسوباً للنبيّ، وأن ابن عباس نقل الحديث عنه يوم سمعه وكان عمره 11 عاماً؟ بيد أن صورة هذا الملك اليمني هي ذاتها صورة الكاهن / المكرب في التاريخ اليمني، لكنه في الرواية الإسلامية يصبح هو نفسه نبيّاً، لأنه تنبأ بظهور محمد قبل ألف عام من مولده؟ ويبدو أن آية (أهم خير أم قوم تُبّع ـ سورة الدخان) قد أدّت غرضها في الاستدلال إلى اسم تبّع.

يقول الطبري [1] :

(عن مجاهد، في قول الله عزّ وجلّ: أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ ، قال: الحميريّ. وعن قتادة : أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ، ذُكر لنا أن تُبّعاً

(1): الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب ، أبو جعفر ، جامع البيان في تأويل القرآن [224 ـ 310 هـ] المحقق : أحمد محمد شاكر ـ الناشر : مؤسسة الرسالة ـ الطبعة : الأولى ، 1420 هـ ـ 2000 م. موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف www.qurancomplex.com

كان رجلاً من حمير، سار بالجيوش حتى حيّر ـ أي عسكر أقام معسكراً ـ الحيرة، ثم أتى سمرقند فهدمها. وذُكر لنا أنه كان إذا كَتَب، كَتَب باسم الذي تسمَّى وملك برّاً وبحراً. وكانت عائشة تقول: لا تسبوا تُبَّعا، فإنه كان رجلا صالحاً).

طبقاً لهذا التفسير، يصبح غزو تبّع الأول لمكة نحو العام 500 قبل الميلاد. وهذا ما لا أساس له في التاريخ، لأن مكة لم تكن تعُرف في هذا العصر ولا وجود لها أصلاً ؛ كما أنها لم تُذكر في أي مصدر تاريخي أو جغرافي يوناني أو روماني او فارسي أو حبشي. بكلام مختصر لم يكن هناك أي وجود لمكة الحجاز في هذا الوقت من التاريخ. وليس لدى أي متعصّب أو مؤمن بهذا التاريخ الملفق، أي رواية موثقة بسجلٍ تاريخيّ ـ وليس روايات ـ تؤيد وجود اسم مكة في هذا العصر.

وطبقاً لهذه الرواية أيضاً، يكون تُبّع قد هاجم الحيرة (الكوفة اليوم في العراق) ثم سمرقند في آسيا الوسطى وهدمها ولم يهدم مكة (أي الكعبة) ؟ وبالطبع، لا يعرف التاريخ المكتوب حادثة من هذا النوع، ولكنه يعرف بكل تأكيد غزوات وهجمات قبائل عربية على ثغور الإمبراطورية البابلية القديمة والآشورية، وهي أعمال كانت مألوفة في العالم القديم وسجلتها النقوش البابلية بدقة. ولذلك؛ إذا ما قرأنا أسطورة الغزو اليمني للحيرة وسمرقند في إطار رواية عن (هجمات) قامت بها قبائل متمرّدة، فسوف يكون أمراً مقبولاً تخيّل إمكانية حدوث أعمال تخريب في هذه المناطق، جرى تضخيمها في المخيال الشعبي. ومعلوم أن بطليموس 101 ق.م في

خريطته الشهيرة للجزيرة العربية [1] لا يشير إلى مكة قط ، ولم يشر إليها كذلك المؤرخ الروماني [2] بليني Gaius Plinius Secundus في كتابه التاريخ الطبيعي (Pliny, Natural History) فهو لا يعرف اسم قرية أو مدينة مقدّسة تدعى مكة، مع أنه قدم سجلاً شاملاً بأسماء كل القرى في الجزيرة العربية. وحتى القرن 3 الميلادي، لم يكن هناك تقريباً أي مصدر جغرافي أو تاريخي، عربي أو أثيوبي واستطراداً مصدر سرياني أو قبطي، يشير إلى مكة بوصفها قرية أو مدينة مقدسة. المدهش أن بطليموس في خريطته يسجل اسم جبل سلمى، ويثرب، والطائف ولكنه لا يسجل اسم مكة؟ هذا يعني أن غزوة تبّع أسطورة جرت في مسرح جغرافي آخر، وقد استعارها عرب الشمال لإنشاء سرديتهم العجائبية التي أصبحت تاريخاً دينياً رسمياً. وكما فعلوا مع سرديّة الفيل المُلفقة، فقد قاموا ـ في السردية الجديدة ـ بإضافة الفكرة ذاتها عن مولد النبي، بحيث تصبح ولادته نبوءة يهودية من زمن أسطوري حدث فيه الغزو نفسه لمكة. والغريب أكثر، أن هذه السردية تلغي أي فكرة أخرى تقول إنَّ محمد ولد عام الفيل؟ فها هنا غزوة تبّع، وقد وقعت قبل ألف عام من مولد النبي الذي تنبأ به الأحبار اليهود، وبالطبع، فمن غير المنطقي تخيّل أن مكة كانت موجودة جغرافياً في هذا الوقت من التاريخ. ما يلفت الانتباه في هذا التاريخ الذي يجري تعليمه

---

(1) : J. L. Berggren, Alexander Jones; Ptolemy's Geography By Ptolemy, Princeton University Press, 2001 ISBN 0-691-09259-1

(2) : Naturalis Historia, 1669 edition, Natural History of Gaius Plinius

في المدارس الدينية والجامعات والمساجد، أنه يجعل من الكعبة مكاناً مقدّساً لكل الديانات اليهودية والمسيحية والإسلامية وحتى الوثنية، وهو تاريخ معجزات متواصلة، علامتها البارزة تلازم هزيمة أي غزو مع نبوءة بولادة النبيّ؟

4: منْ هو تبّع ؟

ولأن السردية التي أضفت على مكة قداسة أزلية متواترة ومستمرة دون توقف، تخلو من أي إشارة دقيقة لاسم تُبّع الملك اليمني الذي قام بغزوها قبل ألف عام من مولد محمّد؛ بينما تؤكد أنه التقى حبرين من أحبار اليهود وأنهما أخبراه بمولده؛ فإن الإخباريين واصلوا ـ دون توقف أيضاً ـ عملية تلفيق ممُنْهجَة للحادث الأسطوري، وزعموا خلالها أنه (تبّع الأول) ولكن دون أن يشرحوا بدقة معنى كلمة (تُبّع)، وبعضهم اكتفى بالتأويل السطحي القائل إنَّ الملوك المتتابعين تسمّوا بـ (تبُّع) لأنهم تتابعوا في تسلسل سنوات حكمهم، وهذا غير صحيح وغير تاريخي. والأدّق أن الملوك (التبابعة) في اليمن، كانوا حكاماً ثانويين، أي كهنة في مقاطعات صغيرة (مخاليف) ظهرت ضمن ما يعرف اليوم بالجنوب اليمني، وهم في الأصل من الأقيال الحميريين الذين ورثوا ممالك سبأ في شمال اليمن، وانفصلوا عنها وأقاموا (مخاليفهم ـ ممالكهم الصغيرة) في الجنوب، وعاشوا بشكل شبه مستقل عن بعضهم بعضاً بعد تفكك الممالك الكبرى، مثل مملكة معين الجوف، ومملكة سبأ. وأشهر هؤلاء على الإطلاق هو الملك/ الكاهن الحميري أب كرب أسعد، المعروف في التراث اليمني ب (تبّع أسعد

الكامل). إن لقب (تُبّع) بخلاف كل ما يُزعم في المؤلفات التاريخية التقليدية، هو لقب متأخر أضفاه الإخباريون المسلمون المتأخرون على الأقيال/ الملوك الذين قادوا حروب إعادة تأسيس مملكة حمير طوال 300 عام متواصلة ـ وقد شرحت ذلك بالتفصيل في كتابي: يهوذا والسامراة [1] ـ استناداً إلى النقوش والمعطيات التاريخية، وبيّنتُ أن هؤلاء الملوك هم في الواقع " كهنة محليون" أي أقيال يشكّلون طبقة الإقطاع الديني، وأنهم كانوا يزعمون في نقوشهم أنهم ملوك سبأ وحمير؛ بينما هم في الواقع ملوك محليّون. عاش هذا الملك الصغير عام 378م في مقاطعة تمتد إلى الجنوب الغربي من صنعاء، ضمن منطقة تهامة على الساحل بين تعز وعدن. وتشير النقوش إلى أنه توسّع في وقت من الأوقات في مناطق جبلية مجاورة، وذلك واضح من لقبه (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت وأعربهم طودم وتهمت: أي ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمن وأعرابها وجبال تهامة). يقول نص النقش ما يلي: (أب أكرب أسعد وابنه حسان يهأمن ـ يا من ـ ملكا سبأ وذي ريدان وحضرموت واليمن وأعرابهم في الجبال وتهامة وابنه حسان ملك كرب يهأمن ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت واليمن). وهذا النقش يعود تاريخه إلى العام 516 حسب التقويم الحميري [2]، وقد عثر عليه فيلبي [3] Harry St. John

(1) : إسرائيل المُتخيّلة / الكتاب 3.

(2) : التقويم الحميري يبدأ قبل الميلاد ب 115 عاماً.

(3) : يقع وادي مأسل على بعد 50 كم إلى الجنوب الشرقي من بلدة الدوادمي، وهو يبعد عن مدينة الرياض 383 كم في منطقة صحراوية رعوية تعد موطنًا للقبائل منذ أزمنة موغلة في القدم. انظر : الرياض التطور التاريخي ، موسوعة ==

(Bridger Phillby) (1885 ـ 1960) في لوحين حجريين عند واجهة وادي مأسل الجمح، وقد كتبا باللغة السبأية .

يشير النص إلى أن أب كرب (أبو كرب/ با كرب) هو لقب الملك أسعد، وأنه كان يحكم سوية مع ابنه حسان الكامل، مقاطعة سبأ وذي ريدان وحضرموت ومنطقة تهامة اليمن (الحديدة وما جاورها) نحو العام 378م حتى وفاته عام 430م (قرابة خمسين عاماً). ولعل حملاته ضد القبائل المتمرّدة على سلطته والتي أوصلته إلى منطقة مأسل الجمح، تؤكد لنا بشكل قاطع قوة ومكانة هذا الملك المحليّ في التاريخ اليمني، لكنها لا تؤكد ـ في المقابل ـ أن مكة كانت هدفاً من بين أهدافه.

إن الفارق الزمني بين النقش وهو سجل تاريخيّ لا جدال حوله، والمرويات الإسلامية القصصية فارق هائل، فهو لم يعش قبل ألف عام من مولد محمد؛ بل كان على مقربة قرن واحد (100 عام فقط) من مولده. وهكذا حوّل الإخباريون القرن إلى عشرة قرون (100 عام إلى 1000 عام). وهذا ما ينسف كل أساس قامت عليه سرديّات الغزو اليمني لمكة، أو أن تكون لها مكانة مقدسة قديمة. وهذا يعني أن عصر الملوك التبابعة هو نفسه عصر ملوك حمير (المتأخرين) الذين ظهروا في أواخر حكم المملكة. وهذا العصر يبدأ نحو 120ق.م حتى وفاة الملك أسعد 430م. وهو عصر طويل انتقلت خلاله اليمن من طور الدولة المركزية إلى طور دويلات

المملكة العربية السعودية. 2015.

المدن، وشهد التحولات التاريخية في وظيفة الملك، فهو لم يعد كاهناً بعد فصل الملكية عن الكهانة. وهذا هو الأصل في فكرة أن تبّع كان نبياً، أي كاهناً. لقد استذكر رواة الأخبار هذا الجانب المندثر من تراث اليمن الديني، وتخيّلوا الملك في صورة (نبيّ). ومادمنا أمام سردية تاريخية رسمية ولسنا أمام أسطورة؛ فإن إثارة الأسئلة الآتية يصبح أمراً ضرورياً ومقبولاً:

لماذا لم يثر أيٌّ من المسلمين منذ العصر الأموي حتى اليوم، مسألة وجود أحبار يهود في الكعبة؟ ولماذا كانوا في بيت عبادة وثني (الكعبة الوثنية)؟ ماذا كانوا يفعلون؟ ولماذا دافعوا عنه؟ هل يعقل أن اليهود دافعوا عن الكعبة الوثنية ومنعوا ملكاً حميرياً من هدمها؟ إذا كان هذا صحيحاً، فهذا يعني أنهم كانوا (وثنيين لا يهوداً)؟ وإذا كانوا قد نجحوا في إقناع الملك اليمني بأن يتحوّل دينياً ويصبح مسلماً، فهذا يعني أنهم مسلمون وليسوا أحباراً من اليهود؟ هذا أمر مُحيّر ويؤكد تناقضات الرواية الإسلامية، فهل هم يهود أم مسلمون أم وثنيون يدافعون عن بيت وثني؟ ولماذا لم يبادروا هم أنفسهم للتحوّل إلى الإسلام، وكيف يمكن الجمع بين الوثنية واليهودية والإسلام؟وهل هناك علاقة بين هذه الأسطورة وقيام ابن الزبير بوضع الحجر الأسود في تابوت حين أعاد بناء الكعبة؟ هل كان المُعتقد الدينيّ في عصر ابن الزبير عن علاقة الكعبة باليهودية ـ بحسب مرويات التاريخ الرسمي للإسلام ـ هو الدافع الخفيّ لإعادة بنائها وإخراج الحجر الأسود من موضعه ثم حفظه داخل تابوت؟

في هـذا الوقـت شـن أسـعد الكامـل حروبـه ضـد القبائـل الـتي رفضـت سـلطته، وتوّسـع مسـرح معاركـه حتـى شمـل منطقـة مأسـل الجمـح ـ بلـدة مأسـل جنـوب شـرقي مدينـة الـدوادمي في المملكـة العربية السعودية اليوم ـ.

ويخبرنـا نقـش بخـط المسـند تركـه لنـا في حصـن بنـاه هنـاك، لحمايـة القوافـل التجاريـة بـين الـيمن والجزيـرة العربيـة، أن الملـك اليمني طارد بعض القبائل حتى بلغ هذا الجزء مـن الجزيـرة العربيـة، وهو ما يمكن أن يزعزع كل معارفنا عن ما يسمى (إيلاف قريش). فـإذا كانـت الـيمن في العـام 378م تقـود قوافـل التجـارة الدوليـة بـين الـيمن ونجـد وشـرق الجزيـرة العربيـة، وتـؤمن لهـا كـل أشـكال الحماية بما في ذلك بناء الحصون على الطـرق الرئيسـة، فهـذا يعـني أن قـريش الحجازيـة لم يكـن لهـا أي دور حقيقـي في هـذه التجـارة، وأن التضـخيم والمُبالغـة في هـذا الـدور كـان جـزءاً مـن التلفيـق التاريخي، وماذا لدى مكة أصلاً لتتاجر بـه في هـذا العصـر؟ أكثـر من ذلك، إذا كانت اليمن تسيطر عام 378 م على الجزيـرة العربيـة؛ فهل من المعقول تخيّل أن قـريش كانـت في هـذا العصـر تقـود تجـارة العالم القديم من مكة؟

هذا ما سنعالجه تالياً.

والآن، سنقوم بتفكيك السرديّة الإسلامية السائدة عن قدسيّة مكة القديمة:

في أسطورة تبّع والحـجّ إلى مكـة، يصـادف الملـك مجموعـة مـن رجـال القبائـل، وأحـد هـؤلاء مـن قبيلـة أوس. وكنـا رأينـا أن النقـش

يتحدث عن طقوس الحجّ في سنة تدعى (سنة أوس ـ أوسله : أوس/ إيل، آل/ أوس/ الأوس). ويبدو أن سارد الأسطورة قام بتخييل فريد من نوعه، فحوّل اسم السنة إلى اسم للقبيلة وهو يسرد قصة الحجّ. وهذا يدفعنا إلى الاعتقاد أن القبيلة ربما أخذت اسمها من اسم السنة اليمنية المقدّسة، أي سنة الحجّ القديم. وهذا أمر مألوف في ثقافات العالم القديم، حيث تتسمى الجماعات بأسماء آلهتها، وهذا ما يقوله نص الأسطورة (فخرج إليه رجل من الأوس يقال له: أحيحة بن الجلاح وخرج إليه من يهود بنيامين القرظي). لقد قام سارد الأسطورة بأنْسَنَةٍ من نوعٍ خاصٍ، فحوّل الزمن إلى رجلٍ اسمهُ أوس. وهذا ما فعله سارد أسطورة الفيل حين حوّل اسم إله قديم من آلهة الجوع هو أبو رغال[1] (الرغال) إلى رجل خائن. ولنلاحظ أن اليهود الذين استقبلوا الملك في حرم المقه ـ المكه، كانوا من سبط بن يامين (بنيامين). واسم هؤلاء يؤكد أنهم من بني يامن القبيلة اليمنية اليهودية التي لا تزال تعيش في مواضعها التاريخية في اليمن ـ ساحل حضرموت ـ وضمن عزلة تعرف بعزلة يامن في مديرية كسمة التابعة لمحافظة ريمه. وأرغب هنا بلفت انتباه القرّاء إلى أن الملك اليمني كان يحكم مع ابنه وولي عهده في هذا الوقت واسم ابنه هو "يهأمن ـ يامن ". هذا يعني أن المسلمين المتأخرين استلهموا من اسم ولي العهد اليمني اسم بن يامن اليهودي؟ وبالطبع، يصبحُ من غير المنطقيّ الافتراضُ أنَّ بني يامن (بنيامين) كانوا في مكة الحجاز. في هذا السياق، لا بد من الإشارة إلى أن قبيلة همدان (التي تضم

(1) : شقيقات قريش/ مصدر مذكور في السيرة الذاتية.

حاشد وبكيل– صاحبة المعبد) كانت تؤمن أن والدها السماوي هو أوس. وهذا يعني أن اسم السنة اليمنية ـ والقبيلة أوس ـ يعودان في الأصل إلى الأب الأعلى أوس ـ أوسلة (أوس الله) ولذا انتسبت له قبيلة همدان.

وهكذا جاء نسبها في شجرات أنساب قبائل اليمن: (همدان بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ)[1]. ثم أصبح القمر (التقويم القمري) رمزاً روحياً لها في صورة الإله تألب، (أي ود) الجديد إله قبيلة همدان وابن إلهها الأكبر المقه ـ المكه، تماماً كما أصبح عبد المطلب محبوب مكة، وأخذ رمزيته بوصفه إله القمر، وكانت عبادته في حضرموت والجوف ترتبط بعبادة الإله سين (إله القمر عند الحضارمة). ولكن مع انهيار مملكة معين الجوف، وتلاشي عبادة (ود) ظهر ابن جديد وأخذ الرمزية ذاتها كإله للقمر هو تألب. لقد حلّ ابن جديد محل الابن القديم (ود) هو تألب ابن المقه، محل الإلهين (ود/ وسين) في مملكة حضرموت. والتماثيل التي عثر عليها علماء الآثار، تظهر تالب في صورة شاب صغير (ولد) في صدره هلال. إن الحضور المكثّف لكلمتي الأب والابن في المعابد والتماثيل في اليمن، يدفعنا إلى إعادة النظر في التاريخ الرسمي للمسيحية،

---

(1) اسم قبيلة سبأية قديمة يعود ذكرها للقرن العاشر ق.م ذكرت في نصوص سبأية تعود لحاشد، حسب الإخباريين، فإن همدان جد لقبيلتي حاشد وبكيل ووفقا لهم هو همدان بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ/ بن خلدون ، تاريخ / ج2 ص 252/ مصدر مذكور.

فها هنا الجذور الأولى لعقيدة التثليث (التثليث الكوكبي: عبادة الكواكب الثلاثة: الشمس والقمر والزهرة ـ عشتار).

والنص الآتي من الهمداني يؤيد ما نذهب إليه.

يقول الهمداني في " الإكليل ـ الجزء الثامن [1] ـ (فأكبر بلاد همدان ـ مآثر ومحافد، أي آثار وقصور ملكية ـ بعد ناعط ـ مقاطعة ناعط ـ، وفيها أربعة عشر قصراً فمنها ما هو اليوم خراب، ومنها ما هو اليوم متشّعث، ومنها ما هو عامر مسكون، فأما قصرها العامر فقد دخلته، فهو بوجوه من الحجارة البلاطية الخارجية ومثلها من داخله. وفي مسجد مدر ـ مدينة مدر الأثرية ـ أساطين ـ حجارة صخرية عظيمة ـ مما نزع من تلك القصور وليس في المسجد الحرام مثلها ، وهي أطول منها وأكثف وأحسن نجراً ـ أي أحسن معمارية ـ كأنها مفرّغة في قالب، وقبالة قصر الملك منها بلاطة ـ فيها ـ مستقلة للمشرق ـ أي تقابل شروق الشمس ـ، وصورة للشمس والقمر يقابلانه، إذا خرج الملك لم يقع بصره إلا على أول منها، فإذا رآها كفَّر ـ غطى وجهه ـ لها ووضع راحته تحت ذقنه عن وجه يستره ثم يخرّ بذقنه عليها ـ أي يسجد لها ـ).

لدينا هنا، شهادة هامة للغاية من مؤرخ يمنيّ، شاهد بنفسه هذا المعبد في ناعط ـ عاصمة مملكة مدر/ مادر في التوراة، حيث مصوّرات وتماثيل الثالوث الكوكبي هناك: الشمس والقمر

---

(1) : الهمداني، أبو محمد الحسن: الإكليل، تحقيق القاضي محمد بن علي الأكوع ، دار الحرية للطباعة ، بغداد، 1980م.

والزهـرة. هـذا يؤكـد لنـا أن عبـادة الثـالوث الكـوكبي القـديم في اليمن هـي الأسـاس الـذي ارتكـزت عليـه المسـيحية : عبـادة الثـالوث. وهذا ما سنراه في الفصل الآتي.

الفصل الخامس

مكة والإله المقه

الجذور الدينية اليمنية لطقوس الحج

الآن، وبعد أن برهنا أن حادث الفيل ليس حادثاً تاريخياً ولم يقع في مكة أصلاً، ولا أساس له في التاريخ، فمن المنطقي أن تنتفي تلقائياً، رواية لقاء إبرهة وعبد المطلب بعد الاستيلاء على قافلة من الإبل كانت في طريق عودتها إلى مكة؛ وبالتالي، سوف تصبح كل التفاصيل المرتبطة بها باطلة، بما فيها قصة ولادة النبيّ في عام الفيل، أو ارتباط ولادته بنبوءة يهودية، وهي عموماً، عناصر أساسية تشكل لبّ الأسطورة وجوهرها. فما هي بواعث ودوافع الزّج باسم عبد المطلب جدّ النبي بهذا الحدث الهلعي؟ إذا ما عدنا لأسطورة غزوة تبّع لمكة، فسوف نعثر هناك على الدوافع الحقيقية لتلفيق كل هذه التفاصيل.

كنا لاحظنا من تحليل الأسطورة واستعراضها، أنّ تبّع قام بكساء الكعبة والطواف حولها والتبرّك بها، وهذه إشارات صريحة إلى طقوس الحجّ القديمة. ولكن، لماذا يقوم ملك يمني بالحجّ إلى مكة الحجاز وتقديس بيت العبادة فيها قبل ألف عام من مولد محمّد؟ وهل كانت اليمن تتبع ديانات الحجاز؟ أم العكس؟

يقودنا هذا الأمر إلى فتح نقاش علمي من نوع جديد حول جذور الديانات الثلاثة الكبرى، وأين ولدت في الأصل، كما يتعيّن إعادة النقاش إلى النقطة المركزية فيه، أي حول اسم مكة ومن أين جاء وماذا تعني كلمة (مكه - مكا)؟ لقد صمتت المصادر التاريخية عن هذا الجانب وتلاعبت لغوياً بالاسم للتمويه على جذوره اليمنية القديمة، وكان هذا عملاً مدروساً يتناسب مع حاجات الخلافة الأموية ثم العباسية، بعدما انتزعتا مركز الخلافة من الحجاز بالتتابع، وكانت لهما متطلبات أساسية لإعادة تثبيت هذا الانتقال وجعله شاملاً. وكما أن الأمويين الذين شاعت في عصرهم السرديات الشفاهية الكبرى الأولى، وأضفوا على بلاد الشام مسحة من القداسة عبر تلفيق أحاديث للنبي عن (قدسية أرض الشام) ارتباطاً بموجة الغزو المغولي/ الصليبي (ما يزعم أنه صليبي، والمقصود الغزو الأوروبي الإقطاعي المبكر)، فقد استكمل العباسيون هذه السرديّات التي كتبت بشكل منهجي ومنظّم، بإعادة ربط كل التاريخ الدينيّ للعرب برواية ابن عباس، حيث صار المرجع الوحيد لكل حديث ورواية اليوم، فما من حديث أو رواية إلا وعاد راويه إلى ابن عباس، وكانت هذه واحدة من أكثر أشكال التضليل والتلاعب، ذلك أن الرواية الرسمية لم تستند مباشرة إلى ما رواه صحابة كبار أكثر قرباً للنبيّ منه، وكيف أمكن له وهو الطفل الصغير، أن يسمع منه ما لم يسمعه الصحابة الكبار؟

والمثير للدهشة، أن الروايات الأموية التي واصلت لوقت طويل بناء هذا التاريخ بتكريس كل أشكال التلاعب فيه، كانت قد

زعمت من قبل أن معاوية كان (كاتب الوحي[1]). وهذا ما سوف يتردّد لوقت طويل في الإسلام، حتى يأتي أحد المؤرخين المتأخرين ليؤكده كحقيقة تاريخية. كان خليفة [2] (ت: 240 هجرية) وهو يضع مؤلفه (تاريخ خليفة الخياط) يكتب بالطريقة ذاتها التي سوف يكتب بها كتاب العصر العباسيّ الأول، ويواصل تقاليد استنساخ ما تمّ وضعه من روايات وأحاديث شفاهية ضعيفة أو كاذبة أو لا أصل لها، ولذا سيقول دون أن يرّف له جفن، إن كتّاب الوحي كانوا كثيرين ، فقد كان (زيد بن ثابت كاتب الوحي. وقد كتب له معاوية بن أبي سفيان). ويضيف : (إن النبي استكتب عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث. فكان إذا غاب ابن الأرقم وزيد بن ثابت، واحتاج أن يكتب إلى بعض أمراء الأجناد والملوك، أو يكتب لإنسان كتاباً، أمر من حضر أن يكتب. وقد كتب عمر، وعلي، وزيد، والمغيرة بن شعبة، ومعاوية، وخالد بن سعيد بن العاص[3]).

---

(1) : ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق/ مصدر مذكور، وكذلك الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت 764هـ) : الوافي بالوفيات ـ سلسلة : النشرات الإسلامية بإشراف جمعية المستشرقين الألمانية (طبع المجلد 1 عام : 1937 م ، و طبع المجلد 30 عام 2004 م ، وصدرت خلال سنة 2013م: (قال أحمد بن عبد الله بن البرقي: وإنما سمِّي الكاتب لأنه كتب الوحي للنبي).

(2) : خليفة بن خياط الليثي العصفري أبو عمر، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: د. أكرم ضياء العمري ـ دار القلم ، مؤسسة الرسالة ـ دمشق ، بيروت ـ الطبعة الثانية ، 1397.

(3) : المصدر نفسه.

وهـذا يـدللّ علـى الأثـر البـالغ الـذي أحدثـه التلاعـب بالتـاريخ، فقـد رســخت الروايــات وصــارت متداولــة، وتمّ تناقلــها دون أي نقــد أو تشـكيك وباتـت مـن الثوابـت التاريخيـة الـتي لا يجـادل فيهـا أحـد. وكمـا أصبح معاوية كاتباً مـن كتـاب الـوحي في العصـر الأمـوي، بينما نعلم أنه وأسرته كانوا من الطلقاء الذين عفا عنهم محمد يوم فتح مكة؛ فقد أصبح ابن عبـاس في العصـر العباسـي هـو حبر الأمـة الأعظم، وباتـت روايتـه للحـديث نوعـاً مـن احتكـار يصـعب كسـره. لقــد تقاسمــت الخلافتــان وظيفــة كتابــة تــاريخ الإســلام الرسمــي: الأمويـون يلفقـون قصـة الـوحي، والعباسـيون يسـتكملونه بتلفيـق الأحاديث النبوية. وكنتُ في مساهمة سابقة [1] قـد بيّنـت، كيـف أن الأمويين اخترعوا شخصية دحية الكلبي الذي كان جبريل يـأتي في صورته، وبحسب هذه المزاعم فقد كـان (تـاجراً مـن تجـار الشـام)، مـع أن الإسـلام لم يكـن قـد وصـل الشـام حـين فـرّ الـنبي إلى يثـرب؟ ودحيـة هـذا شخصـية لا وجـود لهـا، ولكـن صـورته كتـاجر شـاميّ خارق الجمال - وبحيث يبدو لا شبيها بجبريل؛ بل هـو نفسـه جبريـل - صـورة سـاحرة وجذابـة، وكـان بوسـع سـاردي الأخبـار والروايـات والنصـوص الدينيـة، أن يحـافظوا علـى جاذبيتـها لوقـت طويـل، وهـي ظلت بالفعل وعبر تاريخ الإسلام من بين أكثر الصور الزائفة رسوخاً في الـذاكرة حتـى اليـوم، فمـا مـن باحـث أو كاتـب إلا وردد هـذه التُّرهات وتحدث عن (الصحابي الجليل دحية الكلبي) .

(1) : جبريل والنبي - مصدر مذكور في السيرة الذاتية.

ثم لّفقوا قصة رسالة النبي إلى هرقل، فوضعوا الأحاديث والمرويات عن قيام أبي سفيان بنقل الرسالة للقائد البيزنطي في بصرى - الشام -، بينما نعلم من التاريخ أن العداء بينه وبين محمد لم يتوقف إلا بعد فتح مكة، فكيف نصدّق أنه كان موفده إلى ملك بيزنطة وهو شخص عدّو واصل حربه دون هوادة ضد إسلام محمّد؟ لقد لعبت هذه السرديّات دوراً مركزياً في صناعة تاريخ رسمي لا يعرفه المسلمون. إنه تاريخ جماعات وأبطال وشخصيات مُتنازعة على الخلافة، وكانت مُستعدة إلى النهاية لتلفيق وتزوير الوقائع. ولذلك، سيكون أمراً في غاية الأهمية عند تحليل أساطير غزوة مكة، ومنها أسطورة غزوة تبّع الأول، أن نلاحظ كيف أن هذه الأساطير هي التي شكلّت البُنى السردية الأولى لهذا التاريخ ولم تعد مجرد مرويات.

ولتفكيك ألغاز هذا التاريخ المضطرب، فسوف أبدأ من أبعد نقطة : أسطورة غزو تبّع لمكة .

أولاً : ما مغزى الراوية عن وجود أحبار يهود في مكة ؟

لقد أصبحت رواية ابن اسحق عن غزوة تبّع الأول، جزءاً من رواية شاملة عن (قدسية مكة) في كتب السيرة، وهذه إشكاليّة لم تعالجها النصوص السرديّة الكبرى بما يكفي من الوضوح والأسانيد، لأنها بدرجة أكبر من ذلك، ترتبط بمروية مُلْتبَسة عن الكهّان اليهود الذين أقنعوا الملك اليمني بأداء طقوس وشعائر الحجّ. ويتضّح من قراءة هذه الأسطورة بشكل أوليّ، أن تبّع جاء للحجّ في مكة بعد أن تخلّى عن فكرة هدمها. وهذا هو مصدر الالتباس؛ إذ

كيف ولماذا ولأي سبب قام الكهنة اليهود بالدفاع عن بيت وثنيّ؟ ولماذا يدعون ملكاً وثنياً لتقديس بيت وثني وهم أهل كتاب؛ بل لماذا يهدّم ملك يمني وثني بيت عبادة وثنياً، ويقطع كل هذه المسافة من اليمن إلى الحجاز؟ لكن، يتّضح كذلك من قراءة مغايرة، أنه قد لا يكون ملكاً وثنياً، ولم تكن رحلته بقصد هدم البيت الوثني؛ بل هو ملك مؤمن ـ موحد ـ جاء للحجّ في مكان يحمل الاسم نفسه. فهل هذا احتمال حقيقي؟

كنا رأينا أن تُبّع جاء إلى مكان يدعى (مكة) وأن الأحبار اليهود خرجوا للقائه. وإذا ما طبقنا هذه المروية على كعبة الحجاز، ففي هذه الحالة سنكون أمام إشكالية أخرى خطيرة، فالقبول بفكرة وجود أحبار يهود يحرسون الكعبة، يعني أنها بيت عبادة يهوديّ؟ وهذا بالطبع سيثير غضب المسلمين واستهجانهم. أمّا إذا افترضنا أن هناك (مكة) أخرى، قصدها النص القرآني وكان فيها بيت عبادة آخر يحمل الاسم نفسه، فسوف يكون أمراً مقبولاً مناقشة احتمال أن نجد فيها أحباراً من اليهود. هذه الإشكالية ليست من مُختلقاتنا، وليست مجرد فرضية نطرحها؛ بل هي إشكالية حقيقية تبزغ بقوة داخل نصوص السيرة، وتسبّبت بها مرويات الفقهاء والإخباريين ومفسري القرآن، ونحن نستخدمها كمادة دراسية لأعراض التحليل لا أكثر، بهدف تبيان نمط الإشكاليات التي طبعت بطابعها تاريخ الإسلام. هذا يعني أن لدينا فرضيتين :

إما أن تبُّع حجّ إلى الكعبة وكان هناك أحبار يهود يحرسونها، وهم منعوه من هدمها وأقنعوه بإكسائها والتبرك بها،

وهذا أمر محرج لأنه سوف يؤكد على (طابعها اليهودي القديم)، أو أن الأسطورة تتحدث عن معبد ديني آخر يدعى **(مكة)** وكان يهودياً ؟

لذلك سوف نناقش الفرضية الثانية، ونهمل الفرضية الأولى.

ثانياً : المقه ومكه

قبل كل شيء دعونا نتساءل: من أين جاء اسم مكة؟ وما هو الأصل البعيد لأسطورة بناء إسماعيل ـ وإبراهيم بالطبع ـ للكعبة؟ لقد أنشأ العرب القدماء ثم المسلمون، أسطورة بناء الكعبة في زمن بعيد، حين جاء إبراهيم وابنه إسماعيل إلى (وادٍ غير ذي زرع) ورفعا هناك، قواعد البيت الحرام. ولذلك، صوّرت سائر المرويات الإسلامية بناء الكعبة كأمر إلهي، وهذا تصور مركزي صلب من تصوّرات المسلمين حتى اليوم، فهو يضع مسألة التوحيد في أبعد نقطة من التطور الديني للبشر بربطها مع أسطورة موازية، تتحدث عن طرد إبراهيم لزوجته هاجر وابنهما الصغير (في المهد) إسماعيل. وهي أسطورة سبق للتوراة، أن تناولتها في سياق تصوير صراع الأخوين المتنافسين إسحق وإسماعيل.

هذه هي الفحوى التقريبية لأهم الأفكار المتعلقة ببناء الكعبة في الرواية السائدة. وكنتُ في مساهمة سابقة [1] ، نشرت نقشاً سبئياً يسجل اسم إبراهيم وإسماعيل وهما يرفعان القواعد عن بيت

(1) : نقش إبراهيم ، انظر كتابنا/ البحث عن مملكة حمير اليهودية (ضمن مجلد إسرائيل المتخيّلة 1).

الإلـه المقه/المكـة في صـحراء/وادي مـأرب (صـرواح)نحو العـام 850 ق.م. ولذلك، لن تقوم معالجتي لاسم (مكة) على أساس وجود تماثل فونـوطيقي أو لغـوي بينهـا وبـين اسـم آخـر شـبيه، أو وجـود مـا يماثـل أسمـاء الشخصـيات والأبطـال الـذين يرتبطـون بهـذه الأسـطورة، أو وجود تماثل في أسماء المواضع والأماكن هنا أو هنـاك؛ بل سـتكون معالجـة مكرّسـة لإنشـاء مقاربـة جديـدة في ضـوء النقـوش المسـندية لمسألة عبادة إله مكة. وفي ضوء نتائج البحث الأركيولوجي الذي فـرغ منـذ وقـت طويـل مـن كشـف الكـثير مـن كنـوز الـيمن وتراثهـا الديني، يمكن تقديم أدلّة غاية في الأهمية، تتصـل بشـكل عضـوي بجـذور العبـادات التوحيديـة الكـبرى السـابقة علـى الأديـان الثلاثـة، وهي بوجه الإجمال، أدلّة علمية متفق عليها بين سـائر علمـاء الآثـار، ستسـاعد في رؤيـة العلاقـة بـين اسـم (مكـة) واسـم الإلـه الـيمني المركزي (المقه). إن الآثار التي لا يزال بوسعنا مشاهدتها في مختلف المنـاطق في الـيمن، وبشـكل أخـص في المعابـد الكـثيرة لهـذا الإلـه، تنطق بحقيقة الارتباط ما فوق اللغوي بـين الاسمـين، فطقـوس الحـجّ والذبح وحلق الشعر وممارسة شـعائر الإحـرام والطـواف إلخ، تكـاد تكـون متطابقـة كليـاً. إن اسـم مكـة هـو النطـق العربـي الشـمالي، لاســم الإلــه المقــه في العصــر الســبأي الأول (650 ق.م) (الكــاف الشمالية بديل القاف). وإذا مـا قـرئ الاسـم بحـرف الكـاف فسـوف يظهر في صيغته الحجازية : المكه.

والمـدهش أن طقـوس وشـعائر الحـجّ في كثـرة مـن معابـد الـيمن القـديم، كانـت تتضـمن طقـس الاعـتراف كمـا عرفتـه المسـيحية تمامـاً. وهـذا مـا سـوف نعالجـه بشـكل منفصـل. لقـد ارتبطـت عبـادة

المقه بالقبيلة الكبرى (اتحاد قبائل) سمعي. وهذا ما يثير اشتباهنا بأصل أسطورة وصول إسماعيل إلى مكة وكيف أنه بنى البيت، ذلك أن نتائج البحث الأركيولوجي ـ وكل النشاط الأثري الذي جرى في الجزيرة العربية طوال عقود ـ يصمت عن ذكر أي واقعة تشير إلى وصول شخص باسم إسماعيل إلى الحجاز، أو قيامه ببناء الكعبة في مكة، بينما نجد في النقوش اليمنية ما يؤكد لنا، أن قبيلة سمعي (سمعءيل) هي التي بنت معبد المقه ـ المكه. أكثر من ذلك أن قبيلة سمعي ـ إسماعيل (سمع ءيل שמעאל في التوراة ـ النص العبري) كانت أول من سنّ سنّة الحجّ إلى المقه. ويقدّمُ لنا أحد النقوش التي عُثر عليها على صخرةٍ في منطقة أتوة الجبلية [1] ، وصفاً مدهشاً لطقوس الحجّ، يُحدّد فيه الإله الممارسات المحظورة، وهو النقش المعروف عند علماء الآثار في اليمن باسم (RES.4176).

ومن المؤكد بحسب الدراسات الأركيولوجية الجديدة في اليمن، أن أول نوع من طقوس الحج ظهر في صحراء / وادي مأرب، داخل فضاء ديني متكامل، حيث معابد الإله السبأي (المقة) ومعبد الإله الابن (أ /و/ ا/ م/ أوام، أو ما يعرف خطأ بمحرم بلقيس).

يبدأ موسم الحجّ اليمني في شهر محدد من السنة هو شهر (ذ أ ب هـ ي/ أبهى). وبطبيعة الحال، فما يجب أن يثير انتباهنا في صيغة هذا الاسم، صلته باسم (أبها) المدينة السعودية اليوم. ومن المرجّح أن

(1) : أتوة : محافظة صنعاء ، مديرية أرحب ، عزلة بنى مرة ، قرية أتوة . يقول ابن إسحاق "وكان لحمير وأهل اليمن بيت بصنعاء يُقال له رئام، كانوا يعظمونه" ويتقربون لله عنده بالذبائح، وكان يُطاف به كذلك، وهو قولٌ أكده ابن هشام في سيرته، ووهب بن منبه في كتابه "التيجان ـ مصدران مذكوران.

تكون هناك صلة أكثر من لغوية بينهما؛ إذ من المحتمل أن عبادة هذا الإله وصلت الحجاز في وقت متأخر، وهناك ترك الحجاج اسم معبودهم واسم سنة الحجّ في أكثر من مكان. وعلى الأرجح في مكانين دينييّن هما أبها ومكة. ولنا أن نتساءل: هل هي مجرد مصادفة لغوية أن اتحاد قبائل سمعي[1] (أي شعب إسماعيل) هو من تولى بناء (معبد المقه) إله السبأيين؛ بينما تولى إسماعيل بناء بيت اللّه في مكة؟ وهل دون معنى أن عبادة هذا الإله انتشرت في أماكن كثيرة من اليمن، بديلاً عن كل المعبودات السابقة على ظهوره؟ وهل هي مصادفة محض، أن أول طقس للحجّ في صورته الإسلامية الراهنة، كان قد ظهر في معابد اليمن نحو 650ق.م.

ثالثاً : حول اسم مكة

إن تحليلي للاسم (المقه) يُلاحظ المعطيات الآتية :

إن انتشار عبادة هذا الإله في هذا العصر، يدلّل على حدوث انعطافة تاريخية في تصورات اليمنيين للكون والحياة، فقد انتقلوا من عبادة الكواكب كما هو الحال في عصر مملكة معين الجوف (الثالوث الكوكبي: الشمس والقمر والزهرة) إلى عبادة إله جديد متعددّ الوظائف. وللتدليل على طبيعة هذا الانتشار، يكفي أن نقول إنّه بلغ الحبشة، فتعبّد له سكان الساحل الأفريقي وشيّدوا له معبداً هناك هو معبد (بحا– بها/ أبهى). أي أن الأثيوبيين سموّه

(1) : اتحاد قبائل سمعي : انظر ما كتبناه في مؤلفنا : البحث عن مملكة حمير/ مصدر مذكور في السيرة.

باسم موسم الحج اليمنيّ (أبها/ أبهي). لقد فرضت مكانته الرفيعة كإله مركزي، أن يقوم المكرب بوصفه الملك ـ الكاهن، بتقديم النذور والقرابين بنفسه ويشارك الحجاج الأدعية والهدايا. برأيي أن اسم المقه، له صلة عضوية بكلمة (العقل)، ولنلاحظ أن حرف القاف في مقه، يقرأ بطريقتين : مكا، ومخا. ومن هذا الحرف جاء اشتقاق اسم الملاك السماوي ميكائيل ـ ميخائيل (مخ ـ ءيل، مك ـ ءيل) أي إله العقل. ونظراً لمكانته الرفيعة هذه، وتعاظم انتشار معابده في الكثير من المناطق، فقد ترك اليمنيون القدماء اسمه في أكثر من مكان، فهناك ساحل المخا أشهر سواحل البحر الأحمر. والمخا اليوم، إحدى مديريات ومدن محافظة تعز على الساحل. كما أن الاسم يظهر في التوراة في صورة نبيّ ثانوي يدعى ميخا ــ مخا (سفر ميخا). ولذلك، يجب أن يقرأ اسم المقه في ثلاثة أشكال للنطق : المقه، المكا، المخا، وهو طبقاً لتحليلي يرمز إلى إله العقل. في الواقع لا يوجد اتفاق بين علماء الآثار والمؤرخين والدارسين على معنى الاسم. وعلى سبيل المثال، ارتأى ايوالد Ewald أن الكلمة من أصل "لمق"، وهي بمعنى "لمع"، فيكون للاسم معنى اللمعان. لكن جواد علي ارتأى ان الكلمة بمعنى "الثاقب" واللامع وأنه (في منزلة "ود" عند المعينيين، ويرمز إلى القمر[1]). لكنني بخلاف كل هذه الآراء ، أرى ان للكلمة صلة بكلمة (مكا ــ مخا) بمعنى العقل، وأن هذا الإله يجسد اللحظة التاريخية الفاصلة في تطور الأديان

---

(1) : علي، د. جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ـ دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثانية الجزء الثالث 1980م الفصل السبعون.

اليمنية السابقة على التوحيد والتي اتسمت بالتعدد. لقد كان عصره عصر ديانات وعقائد تقوم على تعدد الآلهة، لكن بظهور معابد المقه أمكن لليمنيين أن ينشئوا (بانثيون) نموذجي يضمّ مجموعة كبيرة من آلهتهم، داخل مدينة دينية مترامية الأطراف تهيمن فيها عبادة الإله المركزي. ومن هنا جاء الاعتقاد الإسلامي أن الله لا يُرى إلا في العقل. إن انتقال اليمنيين من (الثالوث الكوكبي) في صورته التقليدية إلى عبادة مركزية يصبح فيها الله/ الرّب تجسيداً للعقل / أي المخ، يبدو استجابة مباشرة لإحدى أهم حاجات نشوء الدولة المركزية في الدور السبأي الأول، وهي توحيد القبائل من حول إله العقل.

رابعاً : عبد المطلب وعقيدة " الإله الابن؟

1 : المقه وتألب

تُسمى المدينة الدينية في صرواح التابعة لمنطقة أرحب (شمال العاصمة صنعاء) مدينة مدر، وتضمّ معابد المقه ويطلق عليها أحياناً اسم صرواح ـ أرحب. إن اسم (مدر) هذا، اسم قديم ورد ذكره في النقوش اليمنية القديمة في صورة (هـ ج ر ن / م د ر م) ، (هجرة ـ مدر، هكرة مدر ـ أيّ مدينة مدر). ويسمى الشعب الذي أقام فيها بحسب النقوش : (ش ع ب ن / ذ م د ر م شعب ذا مدر ـ المدر). وفي هذه المدينة بنى اليمنيون ثلاثة معابد ضخمة هي: معبد الإله (عثتر) الذي يظهر في صورتين، ذكورية وأنثوية، فهو أب ــ وأم (عثتر الأب/عثتر الأم) . ولأن عثتر ــ عشتار إله ــ إلهة الخصب، فمن

المألوف بالنسبة لعبّاده أن يتجلّى في صورتين ليجسّد بعمق فكرة النسل البشري والخير. يقع معبد عثتر ـ عشتار في رأس جبل مدر، وهو بناء مستطيل الشكل، له مدخلان الأول في الجدار الشرقي والآخر في الجدار الغربي، وسقف المعبد يرتكز على أعمدة حجرية (ثمانية وعشرون عموداً) لم يبق منها سوى ثمانية عشر عموداً. ومع الإسلام جرى تحويله إلى مسجد فضاعت إلى الأبد النقوش النذرية التي تضمنت طقوس عبادته. وعثتر ـ عشتار يأخذ رمزه الكوكبي القديم من نجمة الصباح المشرقة (الزهرة). أمّا المعبد الثاني فهو معبد إله القمر تالب الذي يسمى (تألب ريام) نسبة للجبل المقدس ريام، كما يسمى معبده (مربض). ومن المؤسف أن معالمه ضاعت تقريباً ، مع لجوء الأهالي إلى بناء منازلهم من حجارته. وأخيراً معبد إله العقل (المقة).

2: الأب والابن

ولأنه الإله الأكبر، فقد عُبد إلى جانبه الإله الابن (تألب) الذي حلّ محل الإله الابن (ود) إله القمر عند المعينيين سكان مملكة معين الجوف. ويتجلّى هذا التحول الدينيّ عند السبأيين، أكثر ما يتجلّى في تبلور شخصية الإله الجديد (المقه) كمصدر للشفاء والرزق والحصول على مولود ذكر. وهذا ما يجب أن يحيلنا إلى السبب الحقيقي لتقديس المسلمين لمكانين : المسجد الحرام (الكعبة) ومسجد النبي (المدينة) وبحيث أن موسم الحج لن يكتمل إلا بزيارة معبد الأب ومعبد الإله الابن تألب. بكلام آخر، لا يكتمل الحج اليمني القديم إلا بزيارة معبد الإله الابن تالب ، بعد

أداء مناسك الحج في معبد الإله المقه/ المكة. بكلام آخر، ما نشأ في الحجاز، هو محاكاة لطقوس الحج اليمنيّ في مكانين/ معبدين: معبد المقه ومعبد تألب، وما يقابلهما في الحجاز: مكة والمدينة.

3: إله القبيلة

كانت حاجة شعب إسماعيل (شعب سمعي) إلى إله مركزي يحجّ الناس إليه، ويصبح إلها ما فوق القبيلة، تتلازم مع حاجات انتقال المركز السياسي؛ فما داموا انتزعوا هذا المركز من أيدي خصومهم المعينيين في منطقة الجوف؛ فإن استكمال الانفصال يتطلب وجود مركز ديني جديد. وهكذا، شرع شعب إسماعيل في بناء معبد الإله المكه ـ المقه .

وهذا هو برأينا المنطوق الحقيقي للسورة القرآنية ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ (من سورة البقرة: 127).

4: إسماعيل ومكة

إن أسطورة وصول إبراهيم وإسماعيل إلى موضع المقه ــ المكة، هي إعادة إنتاج لفكرة دينية مركزية أساسها عبادة الأب والابن. وهذه الثنائية سوف تتكرر وتستمر في سائر المعتقدات: إبراهيم وإسماعيل، داود وسليمان، إبراهيم وإسحق ، يعقوب ــ عيصو ، إلخ. وهذه الثنائية برأيي بزغت في العصر الأبوي

البطرياركي، وبعد زوال العصر الأمومي واندثار أو ضعف عبادة الإلهة الأم. لقد شهد العصر الأمومي طقوس عبادة الإلهة الأم وابنها، وبزغت في قلب معتقدات هذا العصر، ثنائية الأم والابن: هاجر وإسماعيل، أمّ موسى وموسى، مريم وعيسى. وهذه سوف تتطوّر مع الإسلام الشيعي: فاطمة والحسين. إنه عصر الإلهة الأم وابنها. بيد أن هذا العصر تلاشى، وحلّ محله عصر الإله الأب والابن: إبراهيم وإسماعيل. بالطبع يثير هذا التصور حفيظة الكثيرين ممن يؤمنون بالتاريخ الرسمي للمسيحية، وهذا أمر مشروع، لكنني أستطيع أن أبرهن في هذا الفصل وبالأدّلة، أن المسيحية الأولى كانت تقوم على عبادة الأم والابن في اليمن القديم منذ 850 ق.م، ثم تحولت مع العصر الأبوي إلى عبادة الأب والابن. ولذا، فالمسيحية الأولى من وجهة نظري (دين عيسى بن مريم) دينٌ يمنيٌّ قديم سابق على المسيحية الرسولية، وهي ما يعرف عند الإخباريين بـ (النصرانية [1])

5: من عصر الأم إلى عصر الأب

إن نقطة التحول التاريخيّ في المعتقدات الدينية، تبدأ من لحظة ظهور الإله المقه ـ المكة، فهو أزاح الثنائية الأبوية (إبراهيم ـ إسماعيل) والثنائية الأموميّة (مريم ـ عيسى) كما أزاح الثالوث الكوكبي (الشمس والقمر والزهرة) الذي استمدت منه المسيحية الرسولية عقيدة التثليث. لقد حلت ثلاثية جديدة : عشتار الإلهة الأم، وابنها القمر، والأب/ الإله العقل/ المقه. وبذلك، تخلص السبأيون

(1) : النصرانية/ انظر كتابنا (المسيح العربي) مصدر مذكور في السيرة الذاتية.

من عبادة الشمس القديمة نهائياً. لقد أصبح الإله العقل هو الأب الذي يرعى (يحفظ) ابنه تالب (طالب / السائل/ شاول بالعبرية بمعنى طالب الرحمة من كلمة سائل/ شحاذ). وهذا هو الأساس الفلسفي الذي استند إليه المعتزلة [1] في العصر العباسي، حين ناهضوا كل استدلالٍ غير عقليّ. لقد استمّد المعتزلة فلسفتهم العقلية (تقديس العقل) من أساس دينيّ قديم كان معروفاً في أوساط اليمنيين الذين شاركوا في فتوحات الإسلام.

كانت طقوس الحجّ إلى معابد الإله المقه ـ المكة، وبحسب مجموعة كثيرة من النقوش بخط المسند [2] ، تستمر أكثر من تسعة أيام، ويشارك فيها الرجال والنساء والأطفال، وهو ما يعني أن الحجّ في أصله القديم كان مهرجاناً دينياً (كرنفالاً) تشارك فيه سائر القبائل والجماعات، نظراً لطول مدة مكوث الحجاج في مكان عام، ووجود حشود من الذين يقدّمون مختلف الخدمات لتلبية احتياجاتهم من الماء والطعام، أو ما يعرف بالرفادة والسقاية في مكة الحجاز. كما تميزت بكونها تجري وفقاً لشعائر وطقوس صارمة، فهناك سلسلة تدابير ومحظورات يتعيّن تجنّب أي خرق لها. وهذه هي ذاتها، المحظورات التي عرفتها مكة الحجاز.

(1) : فرقة كلامية ظهرت في بداية القرن الثاني الهجري (80 هـ ـ 131 هـ) في البصرة (في أواخر العصر الأموي) وازدهرت في العصر العباسي . غلبت على المعتزلة النزعة العقلية فاعتمدوا على العقل في تأسيس عقائدهم

(2) : نقوش المقه : أنظر مجلد النقوش ضمن مجلدات (إسرائيل المُتخيلة)

يقع المعبد الأكبر فوق قمة جبل عظيم من جبال اليمن، يُدعى جبل ريام في منطقة أرحب إلى الشمال من العاصمة صنعاء، والمعبد منشأة تشكل الجزء الأهم من مدينة دينية شاسعة المساحة تدعى (أتوة) تشغل نحو 6000 متر مربع «6 دنمات». والنقوش اليمنية القديمة تذكر اسمها في صورة هجرن ـ أتوتم : هـ ج ر ن/ أ ت وت م ، مدينة/ معبد أتوة/ م بإضافة حرف الميم الحميرية في آخر الاسم والنون في أوله (نهجرن) وهما حرفان يؤديان وظيفة أداة التعريف (ألف لام): هجرة الأتوة. والهجرة ـ تنطق بالجيم المصرية: هكرة، وهي تعبير دينيّ يطلق عادة على المدن المسالمة التي تتسم بطابع ديني ـ مقدّس. لقد لفتت انتباه الدارسين وعلماء الآثار، الصيغة التي يرد فيها اسم الجبل ريام مقترنا باسم إله آخر يدعى تألب، بما يؤكد لنا أنه من الجبال القديمة المقدّسة في اليمن (ت ا ل ب / ر ي م م/ تألب ريام) . ولمّا كنا نتحدث عن مدينة دينية متكاملة فوق قمة جبل شاهق، فهذا يؤكد أن الإله المقه كان يتمتع بقدسيّة خاصة، جعلت منه مركزاً روحياً لعموم اليمنيين لا السبأيين (سكان مأرب) وحدهم، حيث تجري فيه الطقوس والشعائر والعبادات كل عام. بيد أن ما يجب أن يلفت انتباهنا، مغزى الارتباط بين اسمي الإلهين تألب والمقه، فهو مماثل للارتباط بين اسم عبد المطلب ومكة. يعني اسم تألب (الطالب ـ طلب) وهو يمثل الإله الابن ـ إله القمر.

والمثير للاهتمام، أن علماء الآثار عثروا على تمثال له وقد زيّن صدره بحليةٍ على شكل هلال. فلماذا ارتبط الهلال بـ (تألب) كما ارتبط وجه عبد المطلب بـ (القمر)؟


الإله تألب لحظة العثور على تمثاله . ويلاحظ أن الهلال يزين صدره



من المنظور الفونيطي، تبدو صيغة مطلب ـ طالب مماثلة لصيغة تألب. ومعلوم أن التاء والطاء في الحميرية تؤديان الوظيفة ذاتها، كما في العبرية: يتن ـ يعطي. وهذا أمر مألوف في كلام العرب. إن كلمة تالب هي ذاتها طالب، وترسم بالميم الحميرية: م/ طالب: مطلب. فهل لهذه الصورة، أي علاقة بالصورة التي رسمها الإخباريون[1] وكتاب السيرة لعبد المطلب أنه كان في جمال وجهه

(1) : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [700 -774 هـ] تفسير القرآن العظيم المحقق : سامي بن محمد سلامة، الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة : الثانية 1420هـ ـ 1999 م ـ عدد الأجزاء \ موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

يشبه القمر؟ في السيرة لأبن كثير[1] نقرأ النص الآتي: (فمنكمْ عبد المطب شيبة الحمد وصاحب عير مكة ومُطعم طير السماء والوحوش والسباع في الفلاة الذي كأن وجهه قمرٌ يتلألأ في الليلة الظلماء ؟) . ومن هذه الصورة ولدت الصورة الأخرى التي ستلازم بعض أحفاد عبد المطلب، فقد وصف العباس بن علي بن أبي طالب بـ (قمر بني هاشم). إن هذا التناظر بين الأسماء والوظائف والأماكن الدينية والكهنة على حدّ سواء كما سنرى ذلك تالياً، يجب أن يدفعنا إلى البحث العميق في الجذور الأولى للديانات الكبرى التي عرفتها اليمن. ويبدو لي، أن تأثير المعتقدات المركزية تخطىّ حدود مدينة مأرب ومعبد الإله المقه، وحيث شهدت مدينة أتوة في وقت ما ظهور معابد أخرى إلى جوار المعبد الرئيس، وهو ما يعزّز فكرة أن تأثيره كان متعدّد الأشكال، ففي قمة جبل ريام أقيمت سلسلة من المعابد أهمها المعبد المسمى (ت/ ر/ع/ ت : ترعت أيّ الإله الراعي). وهذه أقدم صيغة من اسم الإله المصري رع (التاء الأخيرة تاء يمنية لاصقة كما في سائر النقوش : رع/ رعت، مثل عرم، تعرم، أو مثل قريش ـ قرشت). فهل وصل هذا الإله إلى مصر بواسطة التجارة بين البلدين، عندما كانت مملكة معين الجوف منذ 1300ق.م هي المصدر الوحيد لتجارة البخور في العالم القديم؟ كما أن منزلة إله القمر تألب بلغت درجة رفيعة من التقديس مع صعود أدوار القبيلة التي عبدته (نعني قبيلة همدان)، حتى انتشرت عبادته في الجزء الشرقي من المرتفعات الشمالية، الممتد من شمال

(1) : ابن كثير، السيرة/ مصدر مذكور.

مدينـة صنعاء حتـى المنـاطق القريبـة مـن صـعدة. كانـت مدينـة أتـوة المقدّسة تستقبل الحجاج في كل عام بأعداد هائلة، وهـو مـا تـدّلل عليـه المسـاحة الـتي شـغلتها المعابـد والمنشـآت الدينيـة فـوق الجبـل، ويسـتدّل علمـاء الآثـار علـى مكانتهـا كمدينـة مقدسـة مـن المـذابح الصـخرية المنتشـرة هنـاك. وتشـير كثـرة مـن النقـوش إلى أن موسـم الحج، يشهد نحر أعداد خيالية من المواشي (كل يوم سبعمائة رأس من الثيران). كمـا أن خرائب المنشـآت الـتي كانـت تسـتخدم لإقامـة هـذه الطقـوس لا تـزال قـادرة علـى أن تنطـق بالحقيقـة التاريخيـة عـن موسم الحج اليمني القديم.

ويمكننـا اليـوم أن نجـد هنـاك، فـوق الجبـل الشـامخ مخلفـات الطقـوس الدينيـة، كشـاهد لا يُمحـى علـى عظمـة موسـم الحـجّ القديم، فهناك المذابح الصخرية المطلّة على الـوادي، بمـا يؤكـد أن الأعـداد الكـبيرة مـن الحجـاج، كانـت تنحـر أعـداداً هائلـة مـن المواشـي، وبشـكل أخـص الـثيران والأبقـار. ومـن الواضـح، طبقـاً للنقوش والتماثيل التي تركها الحجاج على مرّ العصـور، أن الأقيـال /الملـوك كـانوا يشـاركون كهـان المعبـد في مراقبـة أراضـي وممتلكـات الإلـه (**تألب**) في أيـام الحـج. لقـد تـرك لنـا عـالم الآثـار النمساوي إدوارد جلازر Glaser.E وصفاً دقيقاً لمعابد جبل ريام، ولمـا عدَّه مركزاً دينياً، حيث عثر فيه على ألواح حجرية عملاقة نصبت في باحته[1]، وعليها كتابات بخط المسند يعود تاريخها إلى القـرون

(1) : Eduard Glasers Reise nach Marib (Eduard Glaser's journey to Ma'rib published in Vienna 1913,

الميلادية الأولى. إن السجلات والنقوش اليمنية الموثقة، تؤكد أن العصر السبأي الأول، كان عصر الانتقال من عبادة الإله ودّ (المعيني الذي كان الإله المركزي لمنطقة الجوف وسط اليمن) إلى الإله المقه معبود السبأيين الشماليين، وأن هذا الانتقال حدث بعد انهيار مملكة الجوف (معين مصر) وهي من الممالك الكبرى التي بسطت سيطرتها على ساحل الحديدة وتعز، لكنها انهارت مع صعود دور القبائل السبأية الشمالية. وهذه القبائل أحلت معبودها الجديد الإله المقه ـ المكه محل الإله ودّ. في هذا السياق، يتعيّن إعادة قراءة الآية القرآنية (ولا تذّرن آلهتكم ولا تذرن ودّا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ـ سورة نوح). إن نص الآية واضح بما فيه الكفاية، فهو ينهي عن عبادة ودّ ، وجملة (لاتذّرن) تعني لا تتخذوا. وبكل يقين، فهذه أسماء آلهة لا وجود لها في الجزيرة العربية [1] ، ولم نشهد أي دلائل أركيولوجية أو تاريخية تفيد ان عرب الحجاز عبدوا الإله ودّ. فلماذا نهى القرآن عنه، وما علاقة سكان الجزيرة العربية به؟ من المؤكد أن عبادة الإله الابن، أي الإله ودّ لم تنتشر في الحجاز، ولا توجد أي دلائل كافية عن عبادته في أي عصر. على العكس من ذلك نجدها في معابده الكثيرة التي انتشرت في اليمن (نحو 360 معبداً في منطقة الجوف وحدها) ، وهذه الآلهة كما في

---

(1) : تفسير أبن كثير/ مصدر مذكور : ثمة حديث عن قتادة يزرده أبن كثير يؤكد أن هذه آلهة يمنية ، قوله: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴿٢٣﴾﴾ قال: كان ودّ لهذا الحيّ من كَلْب بدومة الجَندل، وكانت سُواع لهذيل برياط، وكان يغوث لبني عُطَيف من مُراد بالجُرْف من سبأ، وكان يعوق لهمدان ببلخع، وكان نسر لذي كلاع من حِمْير.

الآيـة القرآنيـة، انتشـرت خـارج الجـوف ومـأرب، وقـد تسـنى لـي مشاهدة بعضها جوار بعض خلال إحدى رحلاتي لليمن [1] .

إن مفسـري القـرآن بإجمـاعهم، لا يقـدّمون أي تفسـير مقبـول لوجـود هـذه الأسماء، ويكتفـون بـالقول إنهـا مـن زمـن نـوح (بمـا أن السورة هـي سـورة نـوح). لكـن الطـبري [2] يؤكـد أن هـذه آلهـة يمنيـة. يقول في تفسيره [ص: 640] (وقوله: لا تـذّرن آلهتكم ولا تـذرن ودًا ولا سـواعا ولا يغـوث ويعـوق ونسـرا ، قـال: وكـان يعـوق لهمـدان ببلخ[3]، وكان نسر لذي كلاع من حمير) .

والمؤسـف أن الكـثير مـن البـاحثين العـرب والأجانـب يعتمـدون رواية الطبري هذه، ويزعمون أن الإله " يعـوق" كـان مـن آلهـة همـدان في بلخ؛ بينما نعلم أن " بلخ " هذه هـي مقاطعـة أفغانيـة/ فارسـية. لقـد تسـنى لـي خـلال رحلاتـي لليمن أن أتوقـف أمـام الجبـل الـذي يعـرف باسم هذا الإله في بلاد همدان باليمن، وليس في أفغانستان؛ بل إنـني سمعـت النسـاء الحوامـل في القـرى المحيطـة بالجبـل وهـنّ يقلـن أثنـاء النهوض " يا عقي/ أي يـا إلهي يعـوق " مـع أنهـنّ مُسـلمات؟ كـل هـذا يؤكـد أن المـؤرخين المسـلمين في العصـر العباسـي كـانوا يتلاعبـون

(1) : رحلة في مطلع نيسـان/ إبريل عـام 2013 بصـحبة وزيـر الـدفاع اليمني الأسـبق عبد الملك السيّاني.

(2) :. أنظر: محمد بن جرير الطبري ، تفسير الطبري / مصدر مذكور.

(3) : هـذه مـن ترهـات الطـبري الـذي يـزعم أن قبائـل همـدان اليمنيـة كانـت في مقاطعة بلخ الأفغانية. وهذا يؤكد أنه كان ينقل عن مصدر فارسي. في الواقع لا وجود لأي علاقة بين بلخ بقبائل همدان، ومن المؤكد أنه ربط اسـم مقاطعـة همذان ـ بالذال ـ قي إيران باسم قبيلة همدان.

بالجغرافية والتاريخ. وكل هذا يؤكد لنا أيضاً، أن البحث الأركيولوجي لا يؤيد مزاعم الفقهاء وتفسيراتهم التعسفية للنص القرآني، وأن الإله ودّ، مثله الإله المقه ـ المكه، هو من آلهة اليمن، وقد بلغا ذروتهما في سنوات 850 ـ 650ق.م . في هذا الوقت، كان الملك هو نفسه الكاهن ويدعى المكرب. وفي التوراة نجد اسم الكروبيم اسم الجمع من المفرد كرب (כְּרוּבִים كروبيم/ كرب). هذا يعني أن (كرب) في التوراة (كروبيم: اسم الجمع) هو ذاته (كرب) في اللغة اليمنية القديمة. وكنتُ قد شرحت هذه المسالة بالتفصيل في أكثر من مساهمة سابقة، ومع ذلك سأعيد تكرار بعض التفاصيل الضرورية. طبقاً لنظريتي عن علاقة التوراة باليمن وهي معروفة عموماً؛ فإن الديانة الموسوية تبلورت كديانة خلال عصر الملوك المكاربة نحو 850ق.م. قبل هذا الوقت كانت الشرعة الموسوية شرعة جماعة دينية صغيرة تعيش في الجبال شبه منعزلة عن العالم. ولذلك لا نجد أي أثر أركيولوجي يؤكد وجود موسى كشخصية تاريخية، أو يشير إلى وجود حقيقي لهذه الجماعة، وأنا أميزّ بين الموسوية (دين موسى) والديانة الإسرائيلية (دين بني إسرائيل في عصر يعقوب المتحوّل إلى إله ابن) وبين اليهودية (دين مملكة يهوذا).

هاتان عقيدتان مختلفتان ظهرتا داخل جماعة دينية واحدة تدعى (بني إسرائيل) ولكنهما من منبع واحد، وهما ظهرتا بالتتابع خلال عصور وحقب مختلفة. وهذا هو مغزى الفكرة الثورية التي أعرضها هنا، أننا لا نجد أي نص في التوراة يشير إلى أن موسى هو نبيّ (اليهودية). لماذا؟ ببساطة لأن اليهودية ظهرت بعد عصر موسى، أي أنها لم تكن قد ظهرت بعد. كان عصر المكاربة هو عصر

موسى التوراتي، وهو يشكلّ البداية الأولى لتحوّل اللقب الديني القديم (**كروبيم**) وبحيث أصبح اللقب بشرياً دالاً على شخص يدعى (مكرب). قبل هذا الوقت كانت الكلمة تعني (الملاك السماوي). وتعكس أسفار التوراة وبشكل خاص الخروج والتثنية والعدد، كيف أن موسى أمر أتباعه من بني إسرائيل أن يرسموا (الكروبيم) في تابوت العهد كملاك سماوي. لكن هذا اللقب اتخذ صورته كلقب دينيّ يطلقه الملك على نفسه، وفقط خلال الدور السبأي الأول مع ظهور طبقة المكاربة وهم الملوك ـ الكهنة، ثم لم يعد مُستخدماً مع تبلور اليهودية في الجنوب كديانة ـ بعد حقبة انشقاق مملكة إسرائيل وانفصالها كمملكة في شمال اليمن ـ. لقد تخلّى آخر مكرب وهو كرب إيل وتر بن سمه علي ملك ذمار، عن لقب الكاهن وسمّى نفسه ملكاً نحو العام 650 ق.م . وبالطبع، فقد كان عصر المكاربة هو عصر (مكة اليمن) أي عصر التعبّد للإله المقه ـ المكه. وهكذا، استناداً إلى منطوق الأسطورة، يكون تبّع اليمن هذا ـ الذي تصمتُ المصادر الإسلامية عن ذكر اسمه الحقيقي ـ قد قام بزيارة إلى معبد الإله المقه، لأنه كان معادياً لديانة مملكة (معين الجوف) التي جعلت من الإله (ود) إلهاً مركزياً، وقام لهذا السبب بالحجّ وقد استقبله كهانٌ يهود حسب الرواية الإسلامية، والأدّق استقبله كهان موسويون/ إسرائيليون، عرضوا عليه، ولأجل استكمال مراسم الحج، أن يكسي معبد المقه ـ المكه.، وليس مكة الحجاز. وفي هذه الحالة تصبح الفرضية صحيحة تماماً، فها هنا ملك يمني من عصر المكاربة يحجّ لمعبد الإله المقه ـ المكه فيستقبله الكهنة/

الإسـرائيليون (اليهـود) بعـد أن انفصـلت وظيفـة الملـك عـن وظيفـة الكاهن. ويبدو لي أن الرواة والإخباريين المسلمين ـ من أصول يمنية وبعضهم كـان يهودي الديانة مثل وهب بن منبه وكعب الأحبار ـ تذكروا هذه المروية، وقاموا بدمجها بتاريخ مكة حين طلب منهم إنشاء مروية تقدّس مكة الحجاز. وفي هذه الحالة أيضاً، يصبح مفهوماً تماماً، أن الملك اليمني قدّم كسوة للإله، ثم قام بالطواف حوله وقدم الذبيحة المقدّسة. وسنلاحظ من النقوش اليمنية، أن معبد الإله المقه كبناء معماري هو ضمن محرم بلقيس. وهذا هو الأصل في مفهوم الحرم المكيّ. إن الإله الذكوري المقه ـ المكه جزء عضوي من فضاء دينيّ يشمل وجود الحرم. وكلمة حرم ترتبط حتى اليوم بالزوجة، فيقال في العامية للمرأة (حرمة) ومنها جاءت كلمة (محرم) للمرأة التي تكون مرتبطة بزوج. وهذا هو مغزى وجود الإلهة الأم الكبرى عشتار (التي ظنها العامّة من الناس خطأ بلقيس)، ضمن الفضاء الديني للإله المقه ـ المكه.

إنها زوجته الرمزية، أي حرمه الذي لا يجوز تدنيسه. بكلام آخر: إن المقصود من (حرم/ محرم) في فضاء الإله مكة، هو التأكيد على قدسيّة فضاء معبد زوجته (حرمه/ زوجته/ عقيلته) وهي أم الإله الابن. بهذا المعنى فقط، ولحسم كل جدل حول معنى تعبير (محرم بلقيس) فإن المقصود هو (حرم زوجة الإله المقه). وهو ذاته معبد الإلهة شمس (في الكتاب الأول نشرت نقشاً نادراً لسرجون الثاني يسجل فيه أنه هو من سمّى المكان باسم بلقيس[1]).

---

(1) : انظر : نظرية في إعادة ترتيب الأديان والعصور - الكتاب الأول

وسيكون مفهوماً لنا أكثر بكثير من ذلك، حين نعلم من النقوش اليمنية أن معابد الإله (يغرو) في منطقة الجوف، شهدت في مواسم الحج ما يعرف ب (طقوس الاعتراف). وحتى اليوم هناك منطقة تحمل اسم (نقوش الاعتراف[1]). والمدهش لنا أن هذا المكان يرتبط بقبيلة أمير[2] (أمير في التوراة) وهي التي قادت تجارة البخور. وبصدد هذه النقطة شديدة الحساسية والحرج بالنسبة لعموم المسيحيين، فإنني أنوّه هنا إلى أن النقوش المسندية من هذا العصر تؤكد على ممارسة طقس الاعتراف خلال موسم الحج لمعبد الإله (يغرو/ الغري). يتقبّل الإله (يغرو/ الغري) في معابده، اعترافات الحجاج بالخيانة الزوجية. وما يثير دهشتنا أن المسلمين الشيعة يقدّسون اسم (الغري[3]) ويسمون النجف (الغري)؛ بل يزعمون أن مرقد/ ضريح

---

(1) : منطقة الجوف/ برط العنان، جبل برط مديرتاالشعف، والمطمة وادي الشظيف قبيلة أمير مدينة حنان معبد يغرو نقوش الاعتراف.

(2) : أمير في التوراة، ورد اسم قبيلة أمير مع بطونها في سفر التكوين : سفر التكوين 36: 16 ، كذلك36: 17، أيضاً 36: 18، كذلك 36: 29، أيضاً 36: 41 ، كذلك 36: 42، أيضاً 36: 43. وبالعكس من الفهم اللاهوتي السطحي فليست كلمة أمير دالة على (أمير/ مرتبة حكم) فإن النص العبري الأصلي يتحدث عن أنساب أمير وبطونها، ففي عصر سفر التكوين لا وجود (لأمراء) في بني إسرائيل.

(3) : من التسميات المتداولة الشائعة التي عرفت بها منطقة النجف حتى وقتنا الحاضر، حيث وردت في المعاجم اللغوية وكتب التاريخ والأدب والأخبار في صورة (الغرؤي) ويقصد بها النجف، ففي اللغة الغري معناه الحسن من كل شيء، فالرجل إذا كان حسن الوجه فهو مليح فهو غري، والبناء الجيد حسن التصميم فهو غري. قال ياقوت الحموي أن (الغري نصب كان يذبح عليه الفنائر، والغريان طربالان، وهما بناءان كالصومعتين بظاهر الكوفة) . الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله، (ت 626 هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1917م، ج 2، ص 194 - مصدر مذكور.

الإمام علي بن أبي طالب هو (الغري)؟ المدهش أكثر أن ضريح أحد أبناء علي ويُدعى (العباس) في مدينة كربلاء، يُعرف عند المسلمين الشيعة بأنه (يتقبّل الاعتراف). ولذلك درج أهل العراق من الشيعة على عادة الذهاب إلى مرقد (العباس) للقسم أمامه (أي الاعتراف) بكل وأي ذنب. وهذا أمر مثير، فلماذا يتقبّل ابن علي (العباس) الاعتراف من البشر في مكان صحراوي، كما يفعل الإله (يغرو/ الغري)؟ لقد قام الإله الابن بوظيفة الإله الأب. هذه الطقوس تُعرف عند علماء الآثار بطقوس التكفير. ولأن منطقة الجوف الصحراوية تمتد حتى أراضي أرحب الصحراوية أيضاً، فسوف يبدو أمراً مفهوماً لنا، أكثر فأكثر، المغزى الروحي لهذا الفضاء الديني المتكامل. إن الأصل البعيد في طقوس الاعتراف في الكنيسة المسيحية، لا يمكن العثور عليه إلا هنا، وليس في أي بقعة أخرى في العالم؛ إذ لا توجد في أي مكان آخر، نقوش ولقى أثرية ومعابد قديمة (عمرها أكثر من 3000 عام) تتضمن طقوس الاعتراف، تماماً كما عرفتها المسيحية التاريخية.

على الإنسان أن يقرّ بخطاياه في مكان مجدب (خواء). أو في مكان معزول (غرفة الكاهن في المسيحية) وهذا هو المغزى من طقوس الاعتراف المسيحية في عزلة تامّة أي خواء، فراغ (جدب) حيث لا أحد سوى الكاهن الذي يتلقى من المخطئ اعترافه. يتبقى أن نلاحظ، أن الحجاج يطلبون أثناء الحج وهم يتسلقون جبل ريام، متوجهين إلى معبد المقه، أو يتضرّعون إليه أن يهبهم الذكور من الأولاد، لأنه وحده بين الآلهة من يختصّ بهذه الوظيفة. ولذلك، فمن المهم أن تقرأ آية (**ولا تذرّن آلهتكم ودا**) في سياق آخر مختلف،

يأخذ بالحسبان أنها تسجل اسم إله يمني قديم انتشرت عبادته داخل بيئة شديدة الخصوصية، وفضلاً عن ذلك، أن نأخذ بالحسبان أيضاً، أن هذه الآية لا يمكن أن تُفهم إلا في سياق معرفتنا بوظيفة **الإله ود**، فهو **الإله الابن**. أي الابن الذكر (البكر). وهذا هو الأساس العقائدي لنظام البكر السبأي كما شرحته في مؤلفاتي السابقة (إسحق/ إسماعيل، عيصو/ يعقوب) إلخ.

إننا لا نملك خارج عالم اليمن القديم بتراثه الديني الضخم، أي دلائل أركيولوجية عن الدور الوظيفي الروحي الذي لعبه الإله الابن، فهو يبزغ هنا وليس في أي مكان آخر كتجلٍ لفكرة الخصب (ولادة الابن/ ودّ). وبهذا المعنى، يبدو النهي القرآني موجهاً للعرب الجنوبيين اليمنيين، بأكثر ممّا هو موّجه لعرب الشمال الحجازيين الذين لا يعرفون هذا الإله ، وليست لديهم معابد لعبادته. بيد أن النهي القرآني يشير إلى نهاية عصر عبادة الإله الابن ابتداء من 650ق.م، مع نهاية عصر المملكة المعينية في اليمن وصعود الدور السبأي الأول وحلول إله جديد محله هو الإله تالب (طالب/ م ـ طلب). ومن غير شك، فهذا الخطاب القرآني ليس موجهاً لأهل الحجاز، لأنهم لا يعرفون عبادته، ومن غير المنطقي تخيّل أن القرآن يخاطب وثنييّ الحجاز الذين لا يعرفون هذا المعبود، ويطلب منهم أن لا يتعبّدوا له ؟ والأدّق، أن النص يخاطب جماعات يمنية من بقايا مملكة معين الجوف، كانت لا تزال تواصل عبادة هذا الإله رغم زوال معابده، سوية مع آلهة أخرى مثل سواع ـ شوع ويعوق ويغوث ونسر. لقد تسنّى لي شخصياً رؤية الجبال والقرى اليمنية التي تحمل

حتى هذه اللحظة أسماء يغوث ويعوق (ونسرا) [1] ، بينما لا نستطيع الحصول في جغرافية الجزيرة العربية (الحجاز) على اسم أي موقع يحمل أي اسم من هذه الأسماء. إن تراكيب أسماء الآلهة هنا، يشير بقوة إلى مبانيها اللغوية اليمنية، فهي تتضمن حرف الياء اللاصق (يغوث ويعوق مثل يكرب، يعرب، يعرم). وهذه صيغ لا يستخدمها أهل الحجاز. وقد تسنى لي في إحدى زياراتي لصنعاء، رؤية هذه الآلهة المنحوتة فوق قمم الجبال في جنوب شرق صنعاء على مقربة من وادي سيّان. وفي نقش "بيت الأشول" الذي عثر عليه مطهر علي الأرياني ويعود إلى الفترة نفسها ورد اسم صاحب النقش في صورة (يهودا يكف). وفي نقش آخر من منطقة ناعط، وردت عبارة الإله الذي في السماء، وعبارة آمين. كما وجدت أسماء آلهة همدان في صورة شوع، أشوع ، يشوع. ومن أغرب ما رأيت وسمعت، ان المرأة في الوادي وسكانه من المسلمين اليوم، لا تزال تستخدم عبارة (يا عقيّ) حين تنهض (أي يا إلهي : عق - عقي).

وهذا هو في رأينا إله العقيقة، الأضحية الخاصة بالمولود الذكر. إن طقس تقديم العقيقة لا يزال مستمراً حتى اليوم في جنوب العراق، حيث تقدم الأسرة التي يولد فيها مولود ذكر، أضحية تدعى (العقيقة - نذر الإله يعوق). أما نسر، فهو في شكل منحوتة صخرية شامخة في أعلى قمة الجبل، يخيّل لناظرها عن بعد

(1) : زيارتي إلى اليمن في ربيع عام 2014 شملت محافظة صنعاء، مديرية سنحان وبني بهلول ، عزلة الحمس العدني ، قرية سخاليت ، محلة يعوق.

أنه يرى وحشاً أسطورياً، ولكنه حين يقترب أكثر سوف يشاهد ملامح النسر كاملة، وحتى اليوم يُطلق سكان الوادي على هذا الجبل (نسرا) تماماً كما في صيغته القرآنية. والجبال الثلاثة حيث يعوق ويغوث ونسرا، متجاورة تماماً. أمّا يغوث، فهو إله النجدة (الخلاص، الغوث). إن آية النهي عن عبادة (ودّ) تكشف عن سرّ الرفض القرآني لأحد أهم الأركان التي قامت عليها العقيدة المسيحية، حيث الاعتراف بالمسيح ابناً للرّب يُشكّل لبّ الإيمان وجوهره، وهو رفضٌ يتضمن تحريماً قديماً تعود جذوره إلى عصر المكاربة، فهؤلاء استبدلوا الإله (ودّ) بالإله تألب ابن الإله الأعلى المقه، تماماً كما استبدل الإسلام عقيدة الإله ـ الابن المسيح بعقيدة الرب الأوحد الذي لا يلد ولم يولد. والمدهش أكثر، أن النقوش اليمنية تسجل اسم المسيح في صورة أب ــ ودّ، أي " الأب/ الابن ". وقد تسنى لي أن أقرأ عشرات اللوحات بخط المسند تتضمن هذه العبارة: أب ــ ودّ. ويمكننا في هذا السياق، أن نتأمل في اللوحة التذكارية الرائعة التي يقال أن الملك اليمني أسعد الكامل هو الذي تركها لنا (أنظر الصورة)، حيث يظهر في هيئة المسيح حاملاً الصليب في يد، وقبضة القمح في اليد الأخرى؛ بينما زُينت اللوحة بعناقيد العنب. وفي كل جزء من اللوحة نقش الملك هاتين الكلمتين بخط المسند : أب ـ ودّ. وفي الحميرية (ود تعني ابن ـ ولد) تماماً كما في العامية المصرية اليوم (الواد ـ الولد). لقد عُثر على هذه اللوحة في يريم (ظفار اليمن) وهناك صمت علمي مريب حول نتائج الفحص (كربون 14) الذي يحدد عمرها الحقيقي، كما أن علماء الآثار بمن فيهم علماء اليمن، لا يرغبون في خوض أي نقاش حول هذه

اللوحة، ويكرّرون مزاعم العامّة من الناس أنها تعود إلى أسعد الكامل. إن جزءاً من الحرج العلمي في أوساط علماء الآثار، يتعلق بحقيقة أن الاعتراف بالتاريخ الحقيقي للوحة المسيح، ينسف من الأساس كل الرواية السائدة، ويحطّم التاريخ الرسمي المسيحي. ولذلك، ثمة إصرار غير مفهوم على أن اللوحة هي للملك أسعد الكامل، وهذا غير صحيح وغير علمي.



لوحة رخامية رائعة تعود إلى ما يقرب من 850 ق.م. هناك صمت علمي حول نتائج التحليل (كربون 14). اللوحة تمثل المسيح ويلاحظ الصليب في اليد اليمنى وحزمة القمح في اليد اليسرى. في أعلى الصورة من اليمين إلى اليسار (فوق الرأس تماما) جملة بخط المسند (أب ـ ود) الأب والابن. وإلى اليمين (فوق) عناقيد عنب وتحتها رؤوس ثيران. يزعم بعض علماء الآثار من الهواة أنها للمكرب أسعد الكامل. وأنا أرى أنها تجسيد للمسيح في صورته العربية الأولى: الإله الابن (ود) الذي صار هو نفسه الرّب. عثر على المنحوتة في ظفار (يريم) اليمن وهي عاصمة المكاربة/ الكهنة.

الفصل السادس

المحظورات في طقوس الحج اليمني والحجازي

سوف أعالج في هذا الفصل، التماثل التّام وغير الشكليّ بين طقوس الحجّ إلى مكة وطقوس الحج إلى معبد (المقه)، وأكشف عن طبيعة ما يعرف بـ (نقوش الاعتراف) المسيحي كما ظهرت في النقوش المُسندية. المثير للدهشة، أن طقس الاعتراف المسيحي الذي ظهر في معبد الإله المقه منذ 850 ـ 650 ق.م، كان في الأصل جزءاً من طقوس الحج في صورته الإسلامية القديمة؟ تشير نقوش جبل ريام إلى أن موسم الحجّ اليمني، يبدأ بأمر إلهيٌّ صادرٌ عن الإله تألب، وأن جزء عضويّاً من طقوس الحج تقوم على فكرة (تقديم الاعتراف) للإله من جانب كل حاج مخطئ.

يقول النقش المعروف باسم RES.4176 ما يأتي:

(أمر تألب ريام/ يهرخم/ يهرحم : الرحيم، جلتّ إرادته في سنة أوس إل بن يهسحم / يسحم، أن على قبيلة سمعي أن لا تسهو عن الحج إلى معبد الإله المقة في مأرب بشهر أبهي في نفس الأيام المقدسة التي يحجوّن إليه).

ولأنه أمر إلهي، فقد وضعت أسس وضوابط دينية صارمة للحفاظ على هيبة هذا الموسم الدينيّ. وتتضمن قائمة المحظورات

التي وجدت في النقوش الكثير من النواهي، وبشكل أخص النهي عن ممارسة الجنس في أيام الإحرام. وفي النقش [1] (CIH.533)هناك نص صريح يعدُّ الجماع في الحج خطيئة يستوجب الاعتراف بها والتكفير عن ذنبها.

كما نصتّ القائمة على ما يأتي:

- منع الحاج من تقديم أضحيته داخل المعبد، وبشرط تقديمها فقط في مكان مفتوح على الوادي، بما يُسهّل جريان الدم من أعلى المعبد إلى بطن الوادي ليظل المعبد طاهراً.

(يحل ذبح الماشية شرط أن يكون الذبح في الوادي وليس في المعبد عند القمة، وأن يكون مغلقاً، وقد أمر الإله تألب أن تذبح كل يوم سبعمائة من الماشية وأن تكون صحيحة وسليمة) بحسب ما جاء في النقش [2] الموسوم بـRES.3945

- يمنع رعى الماشية في أيام الحج.
- لا يجوز صيد الوعول الحوامل والمرضعات في أيام الحج.
- يُمنع إخراج الماشية (وخاصة الإبل) أو ضرب الإبل أو إيذائها في أيام الإحرام .
- يُمنع أفراد قبيلة سُمعي من نصب الشباك، أو صيد الحيوانات في أيام الإحرام، كما يُحظر عليهم عمل كمائن الصيد.

---

(1) : نصّ النقش في الملحق

(2) : إبراهيم محمد الصلوي، : نقش جديد من وادي ورور ، 1996م مكجلة ريدان، ص 29 ـ 30، كذلك، الصلوي ، صنعاء، وزارة الثقافة، ريدان ع2 ، السنة 7/، 198م (ص 155 -157).

- يمتنع الحاج عن ممارسة الجنس في أيام الإحرام.
- يحظر على الأفراد التفاخر بأنسابهم في أيام الإحرام.
- تُحظر كل أنواع النزاعات بين الأفراد في أيام الحج.

هناك في الواقع مجموعة كبيرة من نقوش الاعتراف، بعضها موجه إلى الإله (ذو سماوي/ إله السماء) في معبده المعروف باسم معبد (ي غ ر و/ الغري). والمدهش أن المنطقة التي يوجد فيه معبد الإله (يغرو/ الغري) تُدعى منطقة المساجد، وهو اسم لمنطقة تقع جنوب غرب مركز الجوف بمسافة (25 كم)، وهي مجموعة مواقع أثرية متقاربة ازدهرت خلال عصر مملكة معين الجوف (مصريم). ويتميز معبد (يغرو) بأن معظم المتعبّدين يتوّجهون إليه لطلب المغفرة من بالخطايا ويقدّمون القرابين علناً. كما تذكر بعضها، الخطايا التي طلب مقترفوها من الإله أن يغفرها لهم، مثلاً، يطلب هؤلاء من إله السماء أن يغفر لهم كذبهم في القسم باسم الإله، فقد :

- طلب أحد مدّوني هذه النقوش الإله ذو سماوي/ إله السماء، أن يغفر له خطيئته والمتمثلة بحنثه ليمين، أي أنه حلف يميناً بالإله ولم يوف به، فلزم تقديم الكفارة.
- وطلب مدّون في نقش آخر من الإله ذي سماوي أن يغفر له خطيئته المتمثلة بممارسته للجنس مع امرأة داخل المعبد ، وهو غير مغتسل ، وأنه قام بأداء بعض الطقوس الدينية للإله (ذي سماوي) وثوبه غير نظيف لوقوع بعض قطرات المني عليه؛ ولذا قدّم كفارته مع وعد بأنه لن يقوم بعمل مثل ذلك مستقبلاً .

ـ وطلب مدّون آخر في أحد النقوش أن يغفر له إله السماء، خطيئته المتمثلة بأنه تخطّى البطحة (حدود المعبد) وهو عابر، وأنه ألقى تراباً في البئرين المخصصتين للإله وهما مسوّرتان بالحجر (ما يسميّه القرآن البئر المُعطلة [1]) وكان مُحتلماً، أي استمنى في ملابسه أثناء النوم ، وأنه صعد إلى موضع تقديم القرابين ولم يشعل النار عليها، كما يذكر أنه شعر بالخطيئة فاعترف للإله بخطيئته وكفر عنها، ووعد الإله ذا سماوي أن يتوب عن القيام بمثل ذلك مرة أخرى .

لنلاحظ أن (البئر المعطلة) ترتبط بسورة الحج؟ فلماذا ربط القرآن بين الخطيئة والبئر التي يرمي فيها الحاج حجراً، وبحيث يصف هذا السلوك ضمن سورة الحج، تماماً كما في النقوش السبأية؟ لو وضعنا هذه اللائحة من التعليمات الموّجهة للحجاج في معبد الإله المقه، ضمن مقاربة جديدة مع لائحة الممنوعات والتعاليم الموّجهة لحاج مكة، فسوف نكتشف تطابقاً مذهلاً، فقد نصتّ لائحة الكعبة للمحرّمات [2] على الممنوعات ذاتها. في هذا الإطار،

---

(1) : سورة الحج : ﴿وَأَصْحَـٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَـٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾﴾

(2) : لم يكن الصَّيْدِ خلال الحج مَحْظُوراً ثُمَّ جرى إبطال ذلك، وأصبح الصيد في الحرم خطيئة مماثلة لخطيئة ممارسة الجنس عند الإحرام. قال النَّبِيِّ - «مكة حرام لا يُخْتَلَى خَلاهَا وَلا يُعْضَدُ شَجَرُهَا وَلا يُنَفَّرُ صَيْدُهَا» وفي القرآن :
==

عثر علماء الآثار على تمثال برونزي صغير من معبد (يغرو/ الغري) يصوّر عملية جنسية في المعبد. على اللوحة المُلصقة في التمثال عبارة تقول : (عليم / بن / قيس منوتم / تنخي / لذ سموي / بيغرو/ بهن / مشي / عد / أنثتم / بيغرو) . وتعني (علام بن قيس يتشّفّع/ يتضرّع، أن يغفر له أثمه الإله يغرو). ويعتقد محمد عبد القادر بافقيه [1] ، ويؤيده كثيرون، أن هذا التمثال الصغير مع نصه المرفق القصير، يعطي عملية الاعتراف في جانبها المتصل بالممارسة الجنسية، بُعداً جديداً ويثير سؤالاً حول احتمال ممارسته في المعابد، والمسألة في مجملها تمّس جانباً من أنواع العلاقات التي كانت قائمة بين طرفي المجتمع. يؤكد هذا النص ـ في التمثال البرونزي ـ أن طقوس البغاء المقدّس كانت شائعة في المعابد الدينية، وهو أمر يحيلنا إلى ما يماثل هذه الممارسة الطقوسية في بابل ومكة. ولعل رواية عبد الله والد النبي حين كان صبياً، يمشي مع والده في فناء الكعبة، هي نموذج واحد له أهمية خاصة ضمن جملة نماذج، فقد طلبت منه (قادشة/ كاهنة [2]) أن يقع عليها (يضاجعها) لأنها رأت

﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ﴾ [المائدة: 95]: علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (المتوفى: 587هـ) : بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع - دار الكتب العلمية - 1986م

(1) : مختارات من النقوش اليمنية القديمة ، محمد عبد القادر بافقيه ، ألفريد بيستون ، كريستيان روبان ، محمود الغول ، المنظمة العربية للتربية والثقافة العلوم ، إدارة الثقافة ، تونس 1985

(2) : قادشة التوراة : מעשה סדום ويطلق عليها أيضًا اسم "سدومي" Sodomite نسبة إلى مدينة سدوم التي كانت هذه الخطية شائعة فيها (تث 23: 17). وكان وجود المأبونين catamite في أيام رحبعام (1 مل 14: 24). وحاول آسا أن ==

النور في عينيه، وكانت ترغب أن يكون لها طفل منه لأن هذا الطفل سوف يكون نبيّاً.

وهناك مجموعة من النقوش السبأية في معين الجوف (مصريم التوراة) التي تذكر تقديم نساء كقرابين للآلهة، سميت (قوائم عبيد معابد معين)، حيث تذكر تقديم (ثمانين قرباناً) كان مقدّموهن تجار معينيون جاءوا بهنّ من (غزة، ديدان، مصر، يثرب، ويوأن، وصيده، ومؤاب، وعمون) وهذه أسماء مدن وممالك يمنية سبق لنا الحديث عنها.

كل هذا يدعونا إلى إعادة طرح السؤال نفسه : أين وقعت حادثة الفيل؟ هل وقعت في مكة حقاً؟ أم في مكان آخر، وأن إخباريين مسلمين، لفّقوا الرواية الأصل وأعادوا وضعها ضمن تاريخ مكة. هذا سؤال مفتاحي هام للغاية :

أين وقعت حادثة الفيل؟

سأضع هذه الرواية ضمن سردية كبرى سائدة في تاريخ الإسلام الرسمي، تتصل عضوياً بوجود شخص (تاريخي) هو عبد المُطّلب، جد النبيّ محمد. تخبرنا قصة / آية الفيل، أن عبد المطلب سيّد مكة والكعبة، طلب من إبرهة الحبشيّ، فقط أن يرّد له إبله

يزيلهم من الأرض (1 مل 15: 12)، وأبادهم يهوشافاط (1 مل 22: 46)، ولكن ما حدث من ارتداد بعد ذلك فتح الباب أمام عودتهم، فكان على يوشيا أن يهدم بيوتهم (2 مل 23: 7).

(تك 38: 21 و22، تثنية 23: 17، هوشع 4: 14).

التي استولى عليها جنوده، وأنه لا يعبأ بمصير (الكعبة) لأن للبيت رباً يحميه. تقول الرواية السائدة ـ كما لخصها إخباري مسلم متأخر هو المعروف باسم العصامي[1]· ما يأتي :

(ثمَّ قصد عبد الْمطلب إِلَى خباء أَبْرَهَة[2] فَإِذا هُوَ على سَرِير الذَّهَب، فَلَمَّا وَقع نظر أَبْرَهَة على عبد الْمطلب أكبره إِن يقْعد تَحْتَهُ وَلم يرض أَن يقْعد مَعَه على السرير، فَنزل على الأَرْض وأعظمه وأجله وَسَأَلَهُ، مَا الَّذِي أَتَى بك؟ فَقَالَ إبل لي استاقها بعض جيشك، فَقَالَ أَبْرَهَة للترجمان قل لَهُ : لقد عظمت أَولا فِي عَيْني فَلَمَّا تَكَلَّمت انحطت رتبتك عِنْدِي. قَالَ عبد الْمطلب وَلم ذَاك؟ قَالَ : لِأَنَّك قد علمت أَنِّي إِنَّمَا أتيت لهدم هَذَا الْبَيْت وَهُوَ عزك وَعز آبَائِك، فَلم يكن لَك هم إِلاَّ الإبل وردهَا عَلَيْك، فَقَالَ عبد الْمطلب أَنا رب الإبل وللبيت رب يحميه فشأنك وإياه، ثمَّ أَمر ـ إبرهة ـ بردهَا عَلَيْهِ).

لكن هذه الرواية التي تكررّت طوال أكثر من ألف عام تقريباً، لا تبدو مقنعة، لأن الروايات الأقدم التي استندت إليها لا تشير إلى الوقائع الواردة في هذا النصّ، وهو ما يعني أنها ملفقة. هناك رواية أقدم سردها البغوي عام43 هجرية ، أي قبل رواية

---

(1) : المكيّ، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي (المتوفى: 1111هـ) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي - المحقق: عادل أحمد عبد الموجود ـ علي محمد معوض ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998.

(2) : ملاحظة من المؤلف: سوف أحرص على طريقة رسم اسم إبرهة كما رسمها الإخباريون في هذه الصورة (أبرهة). لكنني استخدم الرسم الذي أراه دقيقاً : إبرهة.

العصـامي بقـرون [1] (يقـول يـاقوت الحمـوي في معجـم البلـدان: إن البغوي ولد سنة 43 هـ وكذلك أشـار الزركلـي كتابه ـ الأعـلام ـ إلى أنه ولد سـنة 43هـ). وهـذا يعـني أن بـين الـروايتين مـا يقـارب ألـف عـام. وهـذا هـو مصـدر تشـكيكنا برواية العصـامي مفسّـر القـرآن. لماذا؟

أولاً : القصة الحقيقية لقول عبد المطلب " للبيت رب يحميه "

يقول البغوي في تفسيره لسورة الفيل ما يلي :

(إن السبب الذي جرّ أصحاب الفيل ـ أي الذي أدّى إلى الغـزو ـ أن فتيـة مـن قـريش خرجـوا تجـاراً إلى أرض النجاشـي ـ أيّ أن شـباباً من قبيلـة قـريش ذهبـوا إلى أرض النجاشـي في الحبشـة ـ ، فـدنوا مـن سـاحل البحر ـ وثمة بيعة للنصـارى تسـميها قـريش الهيكـل ـ فنزلـوا فأججوا ناراً ، فاشتووا ـ أي أقاموا وليمة شواء ـ فلما ارتحلوا تركـوا النـار كمـا هـي في يـوم عاصـف ، فهاجـت الـريح فاضـطرم الهيكـل نـاراً ، فـانطلق الصـريخ إلى النجاشـي ، فأسـف غضـباً للبيعـة ، فبعـث أبرهـة لهدم الكعبة. وكان بمكـة يومئذ أبو مسعود الثقفي ، وكـان مكفوف البصر يصيّف بالطائف ويشتو بمكـة ـ أي يقـيم في الشـتاء بمكة لأنها دافئة ـ وكـان رجـلاً نبيهـاً نبـيلاً تسـتقيم الأمـور برأيـه ، وكـان خليلاً لعبد المطلب ، فقـال لـه عبـد المطلب: مـاذا عنـدك؟ هـذا اليوم لا نستغني عن رأيك ، فقال أبو مسعود لعبـد المطلـب: اعهـد إلـيّ

(1) : الحسين بن مسعود البغوي : تفسير البغوي ـ تفسير القرآن ـ دار طيبة ، ص: 532 ، ص: 533] [ص: 534] [ص: 535].

مائة من الإبل، فاجعلها لله وقلدّها نعلاً - أي أريد منك مئة من الإبل وسأرسلها إلى حرم مكة - ثم أبثها - أسرّحها - في الحرم، لعل بعض هذه السود - أي الأحباش - أن يعقر - يذبح - منها فيغضب رب هذا البيت فيأخذهم، - أي لعل بعض الأحباش يذبحوها فيغضب الرّب ويبيدهم - ففعل ذلك عبد المطلب، فعهد القوم إلى تلك الإبل، فحملوا عليها وعقروا بعضها، وجعل عبد المطلب يدعو فقال أبو مسعود: إن لهذا البيت رباً يمنعه).

طبقاً لهذه الرواية القديمة أي قبل ألف عام من رواية العصامي، يكون أبو مسعود الثقفي هو صاحب مقولة (للبيت ربّ يحميه) وأن قصة المائة من الإبل هي خدعة من رجل ضرير وداهية كان نديماً لعبد المطلب. والحدث كما رواه البغويّ مفسّر القرآن، جرى في الحبشة حين تسببّ شبان مراهقون بحريق في كنيسة مسيحية عرضاً ودون قصد، وأن الملك الحبشي غضب فقررّ غزو مكة، وأن عبد المطلب تجاوب مع نصيحة صديقه الضرير الثقفي وأرسل مائة من الإبل بقصد أن ينحرها/ يذبحها، الجنود الأحباش الغزاة، وهذا كافٍ ليغضب الله ويمحق الأحباش. إن الفاصل الزمني بين الروايتين يصل إلى ألف عام تقريباً، وهما روايتان متناقضتان، لأن الرواية المتأخرة تقول أمراً مختلفاً عن الرواية الأقدم التي استندت إليها، فعبد المطلب ليس هو من قال (للبيت ربّ يحميه)؛ بل إن من قال ذلك هو شخص آخر يُدعى أبو مسعود الثقفي.

لكن من هو أبو مسعود الثقفي هذا؟ في الواقع لا يوجد شخص تاريخي يُدعى أبو مسعود الثقفي، حتى أن صاحب معجم

الطبراني [1] ينكر وجوده، ويؤكد أن هناك شخصاً آخر كان سيد الطائف يُدعى المغيرة بن مسعود الثقفي وهو زعيم قبائل ثقيف في الطائف، وهو منْ يزعم أنه كان عظيم القريتين (مكة والطائف) [2] . تضيف رواية العاصمي (المتأخر) وهو يلفق طابقاً إضافياً في عمارة التلفيق التاريخي، أنّ من قام بالغزو ليس النجاشي الحبشي؛ بل تبّع اليمني؟ وهذا أمر عجيب. فها هنا ملك يمني يقوم بغزو مكة (وليس النجاشي الذي غضب من حريق الكنيسة) .

هاكم ما يقوله مفسرّ القرآن العصامي المتأخر بألف عام عن البغوي:

إن (تُبّع اليمن نزل صحن هذا البيت، وأراد هدمه، فمنعه اللّه وابتلاه وأظلم عليه ثلاثة أيام، فلما رأى تُبّع ذلك، رجع عن نيته وكساه القبطي البيض وعظّمه ونحر له [3]).

فمنْ قام بغزو مكة؟ هل هو النجاشي الذي غضب لحريق الكنيسة في الحبشة ثم غزا مكة، أم تُبّع اليمن؟ من الواضح أن العاصمي في تفسيره للآية قام بدمج حادثين تاريخيين مختلفين زماناً

---

(1) : الطبراني، سليمان بن أحمد أبو القاسم، معجم الطبراني : المعجم الكبير، المحقق: حمدي عبد المجيد السلفي ـ مكتبة ابن تيمية.

(2) : كذلك.

(3) : المصدر نفسه، وانظر كذلك : محمد بن أحمد بن الضياء محمد القرشي العمري المكي الحنفي، بهاء الدين أبو البقاء، المعروف بابن الضياء (المتوفى: 854هـ) تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف ـ المحقق: علاء إبراهيم، أيمن نصر ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت / لبنان ـ الطبعة: الثانية، 1424هـ - 2004م

ومكاناً، وجعل عبد المطلب شخصاً تاريخياً عاش في عصرين: عصر النجاشي/الحبشي، وعصر تُبّع (وهو أسعد كرب الكامل).

إليكم ما يقوله مفسرّ القرآن الذي يحترمه المسلمون ويؤمنون بروايته :

(فنظر عبد المطلب فقال: أرى طيراً بيضاً نشأت من شاطئ البحر، فقال أبو مسعود: ارمقها ببصرك أين قرارها؟ قال: أراها تدور على رءوسنا، قال: هل تعرفها؟ قال عبد المطلب: لا والله ما أعرفها، فما هي بنجدية ولا تهامية ولا غربية ولا شامية، قال: ما قدرها؟ قال: أشباه اليعاسيب[1] ، في مناقيرها حصى كأنها حصى الخذف[2] ، قد أقبلت كالليل يكسع بعضها بعضاً، أمام كل فرقة طير يقودها، أحمر المنقار، أسود الرأس، طويل العنق.

فجاءت حتى إذا حاذت معسكر القوم، كرّت فوق رءوسهم، فلما توافت الرجال كلها، أهالت ما في مناقيرها وأرجلها على من تحتها على كل حجر مكتوب اسم صاحبه، ثم إنها انصاعت راجعة من حيث جاءت، فلما أصبحنا انحطا من ذروة الجبل، فمشيا رتوة - قليلاً -، فلم يؤنسا أحداً، ثم دنوا رتوة - بضع خطوات -، فلم

(1) : اليعسوب مفرد يعاسيب : أحد أنواع الحشرات الطائرة، والتي قد يصل عددها لحوالي 3000 نوع، ويعدّ اليعسوب من الأنواع المفترسة منها، فيُطلَق عليه اسم إبرة الشيطان أو سهم الشيطان

(2) : خَذَفَ بالشيء يَخْذِفُ خَذْفاً : رَمى ، وخَصَّ بعضهم به الحَصى .
الأَزهري في ترجمة حَذَفَ ، قال : وأَما الخَذْف ، بالخاء ، فإِنه الرَّمْيُ بالحصى الصغار بأَطْراف الأَصابع .

يسمعا حسّا ـ صوتاً ـ، فقالا: بات القوم ساهرين فأصبحوا نياماً، فلما دنوا من عسكر القوم فإذا هو خامدون).

طبقاً لهذا التفسير، فقد كانت الطيور تعرف اسم كل شخص في جيش تُبّع اليمن وليس الأحباش، وبحيث أنها تضربه بحجر (النص : أهالت ما في مناقيرها وأرجلها على من تحتها على كل حجر مكتوب اسم صاحبه). وعندما وصل عبد المطلب إلى معسكر تُبّع وجدهم نياماً ، وكانوا خامدين .

ولذا :

(عمد عبد المطلب فأخذ فأساً من فؤوسهم، فحفر حتى أعمق في الأرض فملأه من الذهب الأحمر والجوهر، وحفر لصاحبه فملأه، ثم قال له أبو مسعود: اختر لي على نفسك، فقال عبد المطلب: إني لم آل أجعل أجود المتاع إلا في حفرتي فهو لك، وجلس كل منهما على حفرته ونادى عبد المطلب في الناس، فتراجعوا وأصابوا من فضلهما حتى ضاقوا به ذرعاً، وساد عبد المطلب بذلك وبغيره قريشاً وأعطته المقادة [1]).

المدهش في هذه الرواية المثيولوجية النموذجية، أن عبد المطلب، وفور وصوله إلى المعسكر الذي ضربته طيور الأبابيل، قام بحفر الأرض واستخرج منها الذهب والجواهر. والآن: هل يمكن لمسلم عاقل، أن يؤمن بهذه الترهات التي سردها مؤرخون ومفسرو قرآن على امتداد أكثر من ألف عام؟ ما علاقة الإبل التي استولى عليها

(1) : أي أن يصبح زعيماً، سيّداً على مكة

ملك الحبش، أو إبرهة، أو تُبّع، بالغزو وبحفر الأرض لاستخراج الذهب؟ هذا الخلط الفظيع في الوقائع يُدلّل على أن تفسير القرآن على امتداد أكثر من ألف عام من تاريخ الإسلام، كان عملاً ملفقاً. لقد لفق مفسرّو القرآن تاريخ إسلام لا نعرفه. هكذا ببساطة. لأننا لا نعرف منْ الذي غزا مكة؟ هل هو تُبّع، أم النجاشي، أم إبرهة؟ ومنْ الذي قال : إن للبيت ربّاً يحميه؟ هل هو عبد المطلب أم صديقه الضرير الداهية الثقفي؟ المثير للدهشة أكثر، أن العصامي مفسرّ القرآن، يواصل روايته دون أي حرج، فيقول :

(فلم يزل عبد المطلب وأبو مسعود في أهليهما في غنىً من ذلك المال، ودفع الله عن كعبته. وكان أبرهة هذا جد النجاشي الذي كان في زمنه ﷺ).

وهكذا، تحوّل تُبّع اليمن فجأة إلى إبرهة وأصبح جداً للنجاشي ملك الحبشة ؟ هذا هو التفسير الذي قدّمه المفسرّون (لسورة الفيل) دون أي تدخل مني.

ثانياً : من هو أبو رغال؟

ظلت شخصيّة (أبو رغال) في التاريخ الرسمي للإسلام وطوال قرون، تلهب الخيال الغاضب للمسلمين من رجل مجهول خان (المكان المقدّس ـ مكة). وما من مسلم إلا ورددّ اسم أبي رغال كرمز مطلق للخيانة، لكن لا أحد ـ من المسلمين القدماء والمعاصرين على حدٍّ سواء ـ ، يمكنه تقديم رواية واحدة متماسكة عن هذه الشخصيّة. منْ هو؟ من أين جاء، ولماذا أصبح خائناً وبأي

دوافع؟ سأقوم هنا باستعراض سريع لتفسيرات أهم مفسرّي القرآن.

يقول ابن كثير[1] (أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي المتوفى: 774هـ):

(خْبَرَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ أُمَيَّةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِقَبْرِ أَبِي رِغَالٍ فَقَالَ أَتَدْرُونَ مَنْ هَذَا؟ قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ هَذَا قَبْرُ أَبِي رِغَالٍ رَجُلٍ مِنْ ثَمُودَ كَانَ فِي حَرَمِ اللَّهِ فَمَنَعَهُ حَرَمُ اللَّهِ عَذَابَ اللَّهِ. فَلَمَّا خَرَجَ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ قَوْمَهُ فَدُفِنَ هَاهُنَا وَدُفِنَ مَعَهُ غُصْنٌ مِنْ ذَهَبٍ فَنَزَلَ الْقَوْمُ فَابْتَدَرُوهُ بِأَسْيَافِهِمْ فَبَحَثُوا عَنْهُ فَاسْتَخْرَجُوا الْغُصْنَ. قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ قَالَ مَعْمَرٌ قَالَ الزُّهْرِيُّ: أَبُو رِغَالٍ أَبُو ثَقِيفٍ ـ وهَذَا مُرْسَلٌ، أي مشكوك فيه مِنْ هَذَا الْوَجْه ـ. وَقَدْ جَاءَ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ مُتَّصِلاً كَمَا ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ فِي السِّيرَةِ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أُمَيَّةَ عَنْ بُجَيْرِ بْنِ أَبِي بُجَيْر: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ، حِينَ خَرَجْنَا مَعَهُ إِلَى الطَّائِفِ فَمَرَرْنَا بِقَبْرٍ فَقَالَ: إِنَّ هَذَا قَبْرُ أَبِي رِغَالٍ. وَهُوَ أَبُو ثَقِيفٍ. وَكَانَ مِنْ ثَمُودَ وَكَانَ بِهَذَا الْحَرَمِ يَدْفَعُ عَنْهُ فَلَمَّا خَرَجَ مِنْهُ أَصَابَتْهُ النِّقْمَةُ الَّتِي أَصَابَتْ قَوْمَهُ بِهَذَا الْمَكَانِ فَدُفِنَ فِيهِ وَآيَةُ ذَلِكَ أَنَّهُ دُفِنَ مَعَهُ غُصْنٌ مِنْ ذَهَبٍ ـ إِنْ أَنْتُمْ نَبَشْتُمْ عَنْهُ أَصَبْتُمُوهُ مَعَهُ. فَابْتَدَرَهُ النَّاسُ فَاسْتَخْرَجُوا مِنْهُ الْغُصْنَ.)

استناداً إلى رواية ابن كثير هذه ؛ فإن أبا رغال عاش في عصر ثمود ، وأنه خرج من مكة إلى الطائف وهناك مات ودفن، لكنه دفن معه (غصناً من ذهب) وأن النبيّ مرّ بقبره وطلب من المسلمين أن

(1) : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري: البداية والنهاية - دار الفكر - 1407 هـ - 1986 م

ينبشوا القبر بحثاً عنه. لكن ماذا يعني أنه دفن غصناً من ذهب ؟ سأعود لتحليل هذا الجانب من المروية، ولكن حفاظاً على سياق السرد في هذا الفصل فسوف أقدم رواية أخرى.

نقرأ في (سنن أبي داود [1]) الذي عاش عام 275 هجرية ، وكان معاصراً لابن كثير، ما يلي: (في تَاجِ الْعَرُوسِ شَرْحِ الْقَامُوسِ[2] قَالَ بن الْمُكَرَّمِ :

وَرَأَيْتُ فِي هَامِشِ الصِّحَاحِ، أَبُو رِغَالٍ اسْمُهُ زَيْدُ بْنُ مُخَلِّفٍ، عَبْدٌ كَانَ لِصَالِحٍ النَّبِيِّ ﷺ بَعَثَهُ مُصَدِّقًا ـ أيّ جامعاً للضرائب الدينية ـ ، وَأَنَّهُ أَتَى قَوْمًا لَيْسَ لَهُمْ لَبَنٌ إِلاَّ شَاةٌ وَاحِدَةٌ وَلَهُمْ صَبِيٌّ قَدْ مَاتَتْ أُمُّهُ فَهُمْ يُعَاجُونَهُ بِلَبَنِ تِلْكَ الشَّاةِ، يَعْنِي يُغَذُّونَهُ فَأَبَى أَنْ يَأْخُذَ غَيْرَهَا فَقَالُوا : دَعْهَا نُحَايِي بِهَا هَذَا الصَّبِيَّ، فَأَبَى فَيُقَالُ إِنَّهُ نَزَلَتْ قَارِعَةٌ مِنَ السَّمَاءِ وَيُقَالُ بَلْ قَتَلَهُ رَبُّ الشاة، فلما فقده صالح ﷺ، قام فِي الْمَوْسِمِ يَنْشُدُ النَّاسَ فَأُخْبِرَ بِصَنِيعِهِ فَلَعَنَهُ فَقَبْرُهُ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ يَرْجُمُهُ النَّاسُ) .

---

(1) : محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (المتوفى: 1329هـ) أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي من منطقة سجستان المشهور بأبي داود (202 -275 هـ) سنن أبي داود/ عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته - - دار الكتب العلمية ـ بيروت - الطبعة: الثانية، 1415 هـ إمام أهل الحديث في زمانه، محدث البصرة، وهو صاحب كتابه المشهور بسنن أبي داود ، ولد أبو داود سنة 202 هـ في عهد المأمون.

(2) : والصحيح : تَاج العَرُوس من جوَاهِر القَامُوس أو تَاج العَرُوس.

وَفِي كتاب (إِنْسَانِ الْعُيُونِ فِي سِيرَةِ الأَمِينِ الْمَأْمُونِ [1]) نقرأ ما يأتي :

(وَمَرَّ ﷺ بِقَبْرٍ فَقَالَ : أبي رِغَالٍ وَهُوَ أَبُو ثَقِيفٍ أَيْ وَكَانَ مِنْ ثَمُودَ قَوْمُ صَالِحٍ وَقَدْ أَصَابَتْهُ النِّقْمَةُ الَّتِي أَصَابَتْ قَوْمَهُ بِهَذَا الْمَكَانِ ثُمَّ دُفِنَ فِيهِ، بَعْدَ أَنْ كَانَ بِالْحَرَمِ وَلَمْ تُصِبْهُ تِلْكَ النِّقْمَةُ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنَ الْحَرَمِ إِلَى الْمَكَانِ الْمَذْكُورِ أَصَابَتْهُ النِّقْمَةُ).

كما نقرأ فِي (الْعَرَائِسِ [2]) عَنْ مُجَاهِدٍ قوله :

(قِيلَ لَهُ هَلْ بَقِيَ مِنْ قَوْمِ لُوطٍ أَحَدٌ ؟ قَالَ : لا إلاَّ رَجُلٌ بَقِيَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَكَانَ بِالْحَرَمِ فَجَاءَهُ حَجَرٌ لِيُصِيبَهُ فِي الْحَرَمِ، فَقَامَ إِلَيْهِ مَلائِكَةُ الْحَرَمِ فَقَالُوا لِلْحَجَرِ ارْجِعْ مِنْ حَيْثُ جِئْتَ فَإِنَّ الرَّجُلَ فِي حَرَمِ اللَّهِ تَعَالَى، فَرَجَعَ فَوَقَفَ خَارِجًا مِنَ الْحَرَمِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، حَتَّى قَضَى الرَّجُلُ حَاجَتَهُ وَخَرَجَ مِنَ الْحَرَمِ إِلَى هَذَا الْمَحَلِّ أَصَابَهُ الْحَجَرُ فَقَتَلَهُ فَدُفِنَ فِيهِ وَفِي ـ لِسَانِ الْعَرَبِ [3] - أَبُو رِغَالٍ كُنْيَةٌ وَقِيلَ كَانَ رَجُلاً عَشَّارًا ـ أي جامع ضرائب ـ فِي الزَّمَنِ الأَوَّلِ جَائِرًا، فَقَبْرُهُ يُرْجَمُ إِلَى الْيَوْمِ وَقَبْرُهُ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ وَكَانَ عَبْدًا لِشُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلامُ). وهكذا، بعد قرنين أيّ 200 عام تقريباً

---

(1) : الحلبي، علي بن إبراهيم بن أحمد أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين (المتوفى: 1044هـ)/ السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون)/ دار الكتب العلمية ـ بيروت/ الطبعة: الثانية - 1427هـ

(2) : الثعلبي، النيسابورى، أحمد بن محمد بن إبراهيم /عرائس المجالس - قصص الأنبياء: طبعة مطبعة الحيدري -المتنبي 1295.

(3) : لسان العرب : ابن منظور / طبعات عدّة / بيروت ، مصدر مذكور.

من سيادة هذه الرواية وهيمنتها على عقول المسلمين، سيظهر مفسرّ آخر هو الزمخشري، ليعيد صياغة التفسيرات السابقة للسورة القرآنية (أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ـ المستقصى في أمثال العرب ـ [1] أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري. ولد في زَمَخْشَر سنة 467 هـ / 1074 م، وتوفي سنة 538 هـ / 1143 م) ما يلي : (أبو رغال رجل وجهه صالح النبي عليه السلام على صدقات فأساء السيرة فقتله ثقيف وقيل هو دليل إبرهة إلى البيت وهو الذي يرجم قبره بمكة).

فهل كان أبو رغال يعيش في عصر النبي صالح، أي في عصر ثمود أم في عصر قريش حين هاجم إبرهة الحبشي الكعبة وهو منْ دلّه على المكان؟ لا يملك الزمخشري أي جواب، ويسجل وجود روايات كثيرة منها إنّه عاش في زمن أسطوري.

أما البيهقي [2] الذي عاش نحو 450 هجرية، فيقول ما يلي:

(سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْحَاقَ يُحَدِّثُ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أُمَيَّةَ عَنْ بُجَيْرِ بْنِ أَبِي بُجَيْرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ خَرَجْنَا مَعَهُ إِلَى الطَّائِفِ فَمَرَرْنَا بِقَبْرٍ فَقَالَ رَسُولُ

---

(1) : المستقصى في أمثال العرب / الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت 538هـ) - دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت/ الطبعة: الثانية 1987 (56/1).

(2) : أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ) : دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الطبعة: الأولى ـ 1405 هـ.

اللّهِ ﷺ هَذَا قَبْرُ أَبِي رِغَالٍ وَهُوَ أَبُو ثَقِيفٍ وَكَانَ مِنْ ثَمُودَ، وَكَانَ هَذَا الْحَرَمُ يَدْفَعُ عَنْهُ. فَلَمَّا خَرَجَ أَصَابَتْهُ النِّقْمَةُ الَّتِي أَصَابَتْ قَوْمَهُ بِهَذَا الْمَكَانِ فَدُفِنَ فِيهِ وَآيَةُ ذَلِكَ أَنَّهُ دُفِنَ مَعَهُ غُصْنٌ مِنْ ذَهَبَ، إِنْ أَنْتُمْ نَبَشْتُمْ عَنْهُ أَصَبْتُمُوهُ، قَالَ: فَابْتَدَرَهُ النَّاسُ فَاسْتَخْرَجُوا مَعَهُ الْغُصْنَ)

نلاحظ في هذا النص ومن سائر النصوص الأخرى، أن لا أحد يعرف متى عاش أبو رغال؟ هل عاش في عصر ثمود الأسطوري أم في عصر إبرهة الحبشي؟ لقد أضاف الزمخشري من عنده، تفصيلاً جديداً للرواية لا أساس له في الروايات السابقة، فقد زعم أن المسلمين نبشوا قبره بناء على طلب من محمد، واستخرجوا الغصن الذهبي. لكننا لا نعلم منه ما أهمية الحصول على هذا الغصن، وما مغزى نبش قبر شخص هرب من حرم مكة ثم مات في الصحراء. هل حدث ذلك لأنه كان (خائناً) أم لأنه كان جائراً / ظالماً؟ أم لأنه يمتلك (غصناً ذهبياً) دفنه معه ؟ وما مغزى هذا الغصن الذهبيّ[1] ؟ لنلاحظ في سائر هذه المرويات أن مفسرّي القرآن قاموا بتلفيق متواصل لقصة /أسطورة لا أصل لها، وأن كل مفسرّ أضاف دون أي حرج، كل ما يتخيّله من تفاصيل. وهكذا طوال ألف عام تقريباً واصل المفسرّون بناء (عمارة التاريخ الملفق)أيّ أن مفسرّي القرآن قاموا، ودون حرج، بتلفيق تاريخ رسميّ للإسلام.

(1) : من هذه الأسطورة التي شاعت في القرون الوسطى في أوروبا استمد جيمس فريزر اسم مؤلفه العظيم في المثيولوجيا " الغصن الذهبيّ".

في سياق هذه الأسئلة المُغلقة التي لا يملك التاريخ الرسمي للإسلام، أي جواب حاسم لها، ثمة أسئلة موازية أكثر رهبة من أن يطلقها مفسّر أو فقيه أو مؤرخ، مثلاً : هل ولد النبيّ في مكة وأين وفي أي بيت؟ وهل اسم مكة هو بكة كما هو السائد من فهم آية (للبيت الذي ببكة [1]). في الواقع، لا قيمة لما تزعمه بعض التفاسير أن اسم مكة هو بكة. لقد كانت وظيفة هذا التأويل الزائف، معالجة الحرج الذي شعر به المسلمون حيال بعض إشكاليات القرآن، ومنها إشكالية مقاصد القرآن من اسم بكة. إن الإطار الديني الذي يرسمه النّص القرآني لفكرة وجود (بيت عبادة) في بكة، يتأكد لنا بصورة مفاجئة، حين ندّقق في مغزى استخدام القرآن لكلمة (للذي) وليس (الذي).

ثمة فارق شديد الوضوح في مبنى الجملة القرآنية، فهي تقول إن أول بيت عبادة ـ للذي ـ ببكة، أي أن ثمة مكاناً قديماً هو أول بيت عبادة لإله البكة (للذي ببكة). بيد أن هذا الإطار الدينيّ يتضمّن إشارات واضحة عن صلة بني إسرائيل بهذا البيت.

وهنا نص السورة القرآنية :

﴿۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ

(1) : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾ (آل عمران: 96).

هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾.

فما علاقة مسألة (كل الطعام حلّ لبني إسرائيل من قبل أن تنزل التوراة) بوجود بيت عبادة (للذي ببكة) وبالحجّ؟ هل تنطبق هذه السورة على حالة الكعبة والحج الإسلامي؟ وما علاقة (مقام إبراهيم) ببني إسرائيل والكعبة والحج؟ وما معنى " آيات بينّات مقام إبراهيم "؟ هل يعني هذا أن هناك دلائل أركيولوجية/ أثرية، أي يمكن مشاهدتها بالعين المجرّدة تؤكد مقام إبراهيم؟

سأقوم بتفكيك ألغاز هذه السورة :

أولاً :

إن مسألة الطعام الحلال لبني إسرائيل الذي كان مستمراً قبل الشريعة الموسوية مع التوراة، تشير إلى قضية تشريعية شائكة، حين حُرّم على بني إسرائيل تناول (عرق النسا). وكنتُ في مساهمة سابقة قد شرحت ذلك بالتفصيل، لكنني مضطرّ لإعادة تقديم التفسير الذي قدمّته سابقاً. تروي التوراة (سفر التكوين) نصّ هذا التشريع في صورة أسطورة عن عبور يعقوب وادياً صغيراً يُدعى يبوق، ثم صراعه مع الله الذي تجلّى له في صورة رجل. خلال هذا الصراع كُسر (حق ورك/ حوض) يعقوب. ولذا أطلقه وباركه وغيّر

اسمه إلى (إسرائيل). ينبنْي هذا التشريع الدينيّ على فكرة الصراع من أجل التعرّف على الإله. وحين تعرّف يعقوب (إسرائيل) على إلهه فقد حرّم اللّه طعاماً رديئاً كان بنو إسرائيل يتناولونه في عصر المجاعة. لقد رمز النصّ التوراتي لهذا الطعام بـ (حق الورك/ الحوض) وقصد به (عرق النسا). كان بنو إسرائيل يتناولون (عرق النسا) كطعام، مع أنه يرتبط بالعطش خلال الهجرات عبر الصحراء، لأنه (دم مجفف) يُطهى حين ينفد الماء في القوافل.

هاكم نص الآية التوراتية :

(لِذلِكَ لاَ يَأْكُلُ بَنُو إِسْرَائِيلَ عِرْقَ النَّسَا الَّذِي عَلَى حُقِّ الْفَخِذِ إِلَى هذَا الْيَوْمِ، لأَنَّهُ ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِ يَعْقُوبَ عَلَى عِرْقِ النَّسَا. سفر التكوين 32: 32)

עַל -כֵּן לֹא -יֹאכְלוּ בְנֵי -יִשְׂרָאֵל אֶת -גִּיד הַנָּשֶׁה، אֲשֶׁר עַל -כַּף הַיָּרֵךְ، עַד، הַיּוֹם הַזֶּה: כִּי נָגַע בְּכַף -יֶרֶךְ יַעֲקֹב، בְּגִיד הַנָּשֶׁה

ثانياً :

إن تحريم بني إسرائيل لطعام بعينه يرتبط بحقبة البداوة (الهجرات) له صلة بآية قرآنية (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ ـ المائدة). فما المقصود بالدم في الآية القرآنية؟ إنه (عرق النسا) لأن القبائل البدوية كانت في حالة نفاد الماء في القوافل، ولتفادي الموت عطشاً، تلجأ لشرب دماء الإبل، وذلك بطعن (ورك /حق) الناقة، وبحيث ينزف عرق النسا، ويجمع الدم، ثم يجفف بأوعية جلدية ليطهى لاحقاً ويشربوا منه. ومع الوقت تحولت هذه العادة إلى طعام. لكن مع الاستقرار وتوفر الطعام الطيب (الحلال) كان يتوجب إبطال عادة تناول الطعام الشرير (الحرام). أما تحريم

لحـم الخنزيـر فلـه علاقـة بالعصـر الـذي فـرض فيـه الرومـان بقيـادة إيغالوس 27 ـ 33 ق.م على اليهود تناول الخنزير ـ وهذا ما شرحته بإسهاب في كتابي: لغز الهيكل الثاني [1].

ثالثاً :

إن السـورة القرآنيـة تـدعو بـني إسـرائيل إلى الكـفّ عـن الـزعم بأن كل الطعام حلال لبني إسرائيل، وأن التوراة نصّت على تحريم أطعمة بعينها، وأنهم لأجل أن يحجّوا إلى البيت (للذي ببكة) ، عليهم أن يعودوا إلى الشريعة. ومن الواضح هنا أن الخطاب القرآني موجه إلى اليهود المرتدّين عن اليهودية من بني إسرائيل، ممن يجادلون بأن (كل الطعام كان حلاً ـ حلالاً). وأخيراً يتوجه الخطاب القرآني إلى هؤلاء بالتأكيد على أن زيارة (مقام إبراهيم) في هذا المكان (للذي ببكة) لن تكون ممكنة إلا بالعودة إلى الشرعة اليهودية. فما علاقة الكعبة؟

رابعاً :

في ضوء كل ذلك، أعتقد أن جملة (للذي ببكة) هي تصحيف لأصل يقول (للذي ببكا). وهذا هو في رأييّ المقصود، لأن أول بيت عبادة هو بالفعل بيت الإله (المقه) قرب جبل البكا وفيه تتم طقوس الحج .

وكنت تحدثت مراراً عن جبل البكاء هذا في مؤلفاتي السابقة. وهذا هو منطوق السورة القرآنية التي تربط بين الحج

(1) : إسرائيل المُتخيّلة : الكتاب الرابع.

وتحـريم الطعـام وإبـراهيم . في هـذا السـياق، قـد لا يبـدو مفهومـاً بالنسبة لكثير من المسلمين، أن القرآن يذكر اسم محمد في سورة كاملة وبوضوح لا مثيل لـه، بينمـا لا يـأتي على ذكـر اسـم الكعبـة في بعض الآيات بشكل دقيق وخالٍ من أيّ التباس، مع أنه يذكرها في آية واحدة صريحة (جَعَلَ اللّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلاَئِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ سورة المائدة (، الآية : 97). وطبقاً لهذا النصّ القرآني الواضح؛ فقد كانت الكعبة تُـزّين بـالحلي والقلائـد، وهـذا أمـر غريـب، لأن العـرب عرفـت بيـت عبادة هو شجرة عظيمة كانت تُزيّن بالحلي والقلائد. فهل كانت كعبة الحجاز كذلك؟ لكن ما المقصود من الكعبة بالضبط في النصّ القرآني؟ هل قصد كعبة الحجاز أم كعبة أخرى (وكما نعلم فقد كان للعرب كعبات، أي بيوت عبادة بهذا الاسم [1]).

(1) : جواد علي ، المفصل : الهمداني : "وكانوا يعبدون بيتًا يسمى ذا الكعبات، والكعبات حروف الترابيع . ويظهر من روايات الإخباريين عن هذا القصر أنه كان من القصور الضخمة المعروفة. يظهر أنه كان مربع الشكل، أو ذا مربعات ولذلك عرف بـ "الكعبات"، وبـ "ذي الكعبات". وذكر أيضًا أنه كان لربيعة، وأنها كانت تطوف حوله حيث قالوا: "الكعبات، بيت كان لربيعة، كانوا يطوفون به". ويظهر من أقوال الإخباريين وجود بيوت عدة كانت على هيئة كعبات في جزيرة العرب لعبادة الأصنام، تحج القبائل إليها وتطوف حولها، سأتحدث عنها في الجزء الخاص بالحياة الدينية عند العرب قبل الإسلام، ومنها بيت كان ب "أحد" على رواية، أو على مقربة من شداد "سنداد" على رواية ابن دريد، أو على شاطئ الفرات على رواية تنسب إلى ابن الكلبي عرف ب "السعيدة" كانت ربيعة تحجه في الجاهلية4، وأظنهم ==

طبقاً للوصف القرآني فهناك ترابط دلالي وطقوسي بين بيت العبادة وتزيينه بالقلائد ونحر الهدي عنده، وهذا أمر يتناقض كلياً مع صورة الكعبة الحجازية، ذلك أنها لم تكن تعرف تقليد التزيّين بالقلائد [1] ولا النحر جوارها؛ بينما نجد (كعبات) أخرى كانت تزّين بالقلائد. إن تاريخ الكعبة كما تركه لنا مؤرخو الإسلام العباسي، لا يشير قط إلى أي علاقة بين طقوس الحج وتزيين الكعبة بالقلائد أو النحر عندها. هذه صورة متأخرة لكعبة وثنية كانت تدعى (ذات أنواط [2]) وهي شجرة مقدّسة في بيت عبادة. حتى إن تاريخ الإسلام الرسمي يقول، إن المسلمين طلبوا من محمد أن يقيم لهم بيت عبادة شبيهاً ب (ذات أنواط) فرفض. يقول الواقدي الذي كتب روايته في العصر العباسي (130 هـ ـ 207 هـ ـ 747 ـ 823م) [3] ما يلي ـ بلغتنا المعاصرة ـ : إن المسلمين طلبوا من محمد أن يبني لهم بيت عبادة شبيهاً بـ (ذات أنواط) لكن محمد رفض ذلك.

يقصدون هذا البيت بيت سنداد. تاج العروس "4/ 544"، جمهرة "9"، صبح الأعشى "1/ 339"، منتخبات "ص35، 55".

(1) : ذات القلائد : (في الأغاني للأصفهاني / بيروت ، دار الكتب العلمية 2017)

قال حاجز بن عوف الأزدي:

ألا هل أتى ذات القلائد فرَّتي ... عشية بين الجرف والبحر من بعرِ

عشية كادت عامر يقتلونني ... لدى طرف السلماء راغية البكرِ

(2) : ذات أنواط : أنظر ما كتبناه عن ذلك.

(3) : محمد بن عمر بن واقد السهمي أبو عبد الله، الواقدي (المتوفى: 207هـ) : كتاب المغازي ـ تحقيق: مارسدن جونس ـ دار الأعلمي ـ بيروت ـ الطبعة: الثالثة - 1409/1989.

يقول ابن عباس إن ـ ذات أنواط ـ كانت شجرة عظيمة (أي كعبة) يحجّ إليها العرب ويزّينون أغصانها بعباءاتهم وقلائدهم.

وهنا نص رواية الواقدي بلغته الكلاسيكية :

(قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: اللّهُ أَكْبَرُ، اللّهُ أَكْبَرُ، قُلْتُمْ وَالّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: اجْعَلْ لَنا إلهاً كَما لَهُمْ آلِهَةٌ. قالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ إنّهَا لِلسّنَنِ ـ أي هي شرائع ـ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ. وحَدّثَنِي ابْنُ أَبِي حَبِيبَةَ، عَنْ داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عَبّاسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَتْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ شَجَرَةً عَظِيمَةً، أَهْلُ الْجَاهِلِيّةِ يَذْبَحُونَ بِهَا وَيَعْكُفُونَ عَلَيْهَا يَوْمًا، وَكَانَ مَنْ حَجّ مِنْهُمْ وَضَعَ رِدَاءَهُ عِنْدَهَا، وَيَدْخُلُ بِغَيْرِ رِدَاءٍ تَعْظِيمًا لَهَا، فَلَمّا مَرّ رَسُولُ اللّهِ ﷺ إلَى حُنَيْنٍ قَالَ لَهُ رَهْطٌ ـ فريق ـ. مِنْ أَصْحَابِهِ، فِيهِمْ الْحَارِثُ بْنُ مَالِكٍ: يَا رَسُولَ اللّهِ. اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ. فَكَبّرَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ ثلاثا، وقال: هكذا فَعَلَ قَوْمُ مُوسَى بِمُوسَى).

فلماذا ربط النبيّ بين ـ ذات أنواط ـ وموسى (أي ذات القلائد كما في الآية القرآنية)؟ إن الترمذي وهو من مفسريّ الحديث ـ والقرآن ـ وعاش نحو (209 هـ ـ 279 هـ / 824م ـ 892م) أي أن روايته جاءت بعد رواية الواقدي بنحو70 عاماً، يقدّم الرواية ذاتها مع تفاصيل جديدة فيها إضافات من (التلفيق) على عمارة التلفيق التاريخي.

يقول : إن هذا الحدث وقع خلال توجه محمد لقتال أهل الطائف وقبائل هوازن. وفي تفسيره لحديث (اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط) قال الترمذي بلغته الكلاسيكية ما يلي :

(عن أبي واقد الليثي أن رسول الله ﷺ بعد فتح مكة توجه لقتال هوازن والطائف فخرج إلى حنين عليه الصلاة والسلام ومرّ بشجرة للمشركين يقال لها : ذات أنواط كانوا يعلقون عليها أسلحتهم، وكان معه من جنود الإسلام من أهل المدينة عشرة آلاف مقاتل ، وكان معه الطلقاء الذين دخلوا في الإسلام بعد دخول النبي ﷺ مكة وكانوا ألفي مقاتل، فدخلوا مع النبي ﷺ ومروا وهم ذاهبون ليجاهدوا معه عليه الصلاة والسلام على شجرة للمشركين تسمى : ذات أنواط. والنُوط أو النَوط الشيء الذي يعلق به، يقال: مناط الحكم، يعني: متعلق الحكم، وهذه ذات أنواط، يعني: ذات علائق، تعلق بها السيوف، فلما كان المشركون يذهبون للقتال يمرون على هذه الشجرة ويعلقون بها السيوف يرجون بذلك حصول البركة. فاعتقدوا أن الشجرة تنفع وتضر. فقال هؤلاء: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط) [1] .

سوف نتأكد من سائر هذه المرويات، أن السورة القرآنية عن بني إسرائيل والحج والهدي (الذبائح) لا تنطبق على وصف الكعبة؛ بل على بيت عبادة آخر، وأن مروية ذات أنواط، كانت تشير إلى كعبة أخرى من كعبات العرب، كانت شجرة عظيمة تعبدها القبائل وتعلق عليها السيوف والقلائد. لقد أدّى الزّج باسم عبد

(1) : الشيخ الطبيب أحمد حطيبة: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ـ كذلك: إبراهيم بن إبراهيم قريبي: مرويات غزوة حنين وحصار الطائف ـ عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية ــ الطبعة: الأولى، 1412هـ.

المطلب في التفاسير السائدة، الغرض الكامل منه وصار بوسع المسلمين استخدام قصة اللقاء مع إبرهة، للدلالة على حضور مكة في القرآن فقط. واليوم حين يتجادل المسلمون حول اسم مكة، يقال لهم أنه ورد في صورة صيغة الاسم (بكة) وهذا تلفيق آخر؛ إذ يقال في معرض تسويغ هذا الغموض أن آية ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ ـ آل عمران:96 ـ قصدت الإشارة إلى موضع البيت، وكلمة ببكة هنا تعني مكاناً بعينة. مع ان القرآن أشار إلى اسم مكة في سورة (الفتح) : (وهو الذي كفّ أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا). فمنْ هم هؤلاء الذين كفّ الله أيديهم عن العدوان على مكة؟ إن التاريخ الإسلامي يعطي تفاصيل متناقضة عن عدوان تعرضت له الكعبة على أيدي القبائل في حقب متأخرة من الإسلام، وليس في حقب أبعد وهو ما يعني أن تفسير الآية غير مقبول، وأن جملة (ببطن مكة) قصد بها (بطن وادي مقه) الذي تعرض بالفعل حسب النقوش السبأية لسلسلة متواصلة من الغزوات التي هدفت لتدمير معبد (المقه/ المكة [1]). لكن، لماذا ظل النص القرآني غامضاً في هذا الجانب الهام ؛ بينما كان صريحاً في أمور ثانوية مثلاً، لماذا يذكر بدقة متناهية اسم زيد (بن حارثة) وهو مجرد خادم لخديجة طلق زوجته فتزوجها النبيّ، أو اسم أبو لهب، وهو مجرد شخص بين كثيرين من أعدائه، بينما لا يشير بشكل صريح في بعض الآيات إلى كعبة الحجاز بالاسم لتمييزها عن سائر

(1) : العدوان على المقه ، أنظر د. جواد علي ـ مصدر مذكور -.

الكعبات الأخرى، بما هي بيت الله في الدين الجديد؟ ولماذا ترك أمرها في آيات أخريات غامضاً وملتبساً؟ وهل حقاً أن (بكة) هي مكة؟ إن تفكيك أسطورة غزوة تبّع من منظور مختلف سوف يضعنا أمام معطيات جديدة عن الأشكال والطرق التي جرى فيها تلفيق تاريخ الإسلام. بيد أن هذا سوف كله سوف يقودنا لا محالة إلى نقش آخر أكثر صخباً حول قريش.

المصادر والمراجع

العربية

1: **الجاحظ**، عمرو بن بحر بن محبوب أبو عثمان : كتاب الحيوان، دار الكتب العلمية ـ عدّة طبعات ، بيروت ـ الطبعة: الثانية، 1424 هـ ـ عدد الأجزاء: 7.

2: **الذهبي**، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان : تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، ـ المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف ـ الناشر: دار الغرب الإسلامي2003 .

3: **ابن كثير**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) ـ البداية والنهاية، المحقق : علي شيري ـ دار إحياء التراث العربي 1988.

4: **الزرقاني**، : أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد المالكي ، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ـ دار الكتب العلمية ـ 1996.

5: **القطان**، إبراهيم أبو الفداء، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي: روح البيان ـ دار الفكر ـ بيروت.

6: **البيضاوي**، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد

الشيرازي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ـ المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ الأولى ـ 1418 هـ .

7: **الخازن،** علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن: لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح: محمد علي شاهين ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الطبعة: الأولى.

8: **ابن كثير** : أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي : تفسير ابن كثير. عدة طبعات ـ بيروت.

9: **العسقلاني**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ـ المحقق: مراقبة / محمد عبد المعيد ضان ـ مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر أباد/ الهند 1972م.

10: **الرازي**، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي : مفاتيح الغيب ـ التفسير الكبير ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت 1420هـ.

11: **ابن فارس**، أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون، الجزء الخامس، الطبعة الثانية 1972م، كذلك طبعة دار الفكر 1979م.

12: **إغناطيوس الثالث**، الشهداء الحميريون العرب في الوثائق الكنسية/ المجلة البطريريكية ـ دمشق 1966.

12: **القرطبي** : الجامع لأحكام القرآن، والمبين لما تضمن من السنة وأحكام الفرقان . طبعة دار الفكر بيروت ـ دون سنة نشر.

13: **الجندي،** محمد سليم ، امرؤ القيس، الناشر مؤسسة هنداوي سي آي سي LD SL41 ، هاي ستريت، وندسور، المملكة المتحدة.

13: **الزبيدي،** محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس ـ المحقق: مجموعة من المحققين ـ لناشر: دار الهداية ـ دون سنة نشر.

14: **السيوطي**، جلال الدين عبد الرحمن: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، منشورات دار الفكر، دون سنة نشر.

15: **ابن حبيب:** الْمُنَمَّقُ فِيْ أَخْبَارِ قُرَيْشٍ، المحقق : خورشيد أحمد فاروق، الناشر : عالم الكتب، بيروت، الطبعة : تصوير طبعة حيدرآباد الهند.

16: **اليعقوبي:** أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر، تاريخ اليعقوبي، 3 أجزاء، طبعة النجف، 1358هـ/ وكذلك طبعة بيروت، تاريخ اليعقوبي ـ تحقيق : عبد الأمير المهنا ـ طباعة ونشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ لبنان ، بيروت.

17: **ابن خلدون،** عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ـ المحقق: خليل شحادة ـ دار الفكر، بيروت ـ 1408 هـ ـ 1988م.

18 : **ابن اسحق،** محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي : السيرة النبوية (سيرة ابن إسحاق) (ط. العلمية) المحقق: أحمد فريد المزيدي ـ دار الكتب العلمية ـ 2004.

19: **ياقوت** بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي شهاب الدين أبو عبد الله. معجم البلدان، الناشر: دار صادر ـ 1993.

20 : **أبـو حيـان التوحيـدي**، علـي بـن محمـد بـن العبـاس، البصـائر والـذخائر ــ المحقـق: د/ وداد القاضـي ــ دار صـادر ــ بـيروت ــ 1988م .

21: **الدكتور سيد ،** عبد المنعم عبد الحليم: هل يشير نقش أبرهة الحبشي عند بئر مريغان إلى حملة الفيل ؟ مجلة جامعة الملك عبد العزيز– جدة ـ المملكة العربية السعودية " الآداب والعلوم الإنسانية " المجلد الثاني 1990م.

22: **المقدسـي**، شمس الدين المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق د. محمد مخزوم، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1987.

23**: العـارف**، عـارف: تـاريخ الحـرم القدسـي، وزارة الثقافـة الهيئـة العامّة السورية للكتاب ـ دمشق 2009.

25: **اليعقـوبي**: تـاريخ اليعقـوبي ، طبعـة ليـدن ــ 1883م، طبعـة دار صادر بيروت ـ 1960م.

26: **الأزرقي،** أبو الوليد محمد بن عبد اللّه بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي المعروف بالأزرقي ، أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار ـ المحقق: رشدي الصالح ملحس دار الأندلس للنشر ـ بيروت.

27: **يـاقوت الحمـوي**: معجـم البلـدان، الناشـر: دار صـادر، بـيروت، الطبعة: الثانية، 1995م.

28: **الطبري،** محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر : تاريخ الرسل والملوك، تاريخ الطبري ، دار التراث ـ بيروت ـ الطبعة: الثانية ـ 1387 هـ.

29: **عارف العارف**، المفصل في تاريخ القدس، القدس: مكتبة الأندلس، 1961.

30: **الزركلي**، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء، بيروت: دار العلم للملايين، 1999.

31: **ابن تيمية**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحنبلي الدمشقي: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية ـ المحقق: محمد رشاد سالم ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الطبعة: الأولى، 1406 هـ ـ 1986م.

32: **المقدسي**، أبو المعالي المشرف بن المرجى بن إبراهيم: فضائل بيت المقدس ـ المحقق: أيمن نصر الدين الأزهري : دار الكتب العلمية ـ الطبعة: الأولى 1422 هـ ـ 2002 .

34: **أبو المحاسن**، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، جمال الدين : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ـ وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.

35: **: مجدي** ، عبد الرازق : بلقيس الحبشية وملكة سبأ ، كبرا نجشت: جلال الملوك، ترجمة من اللغة الجعزية إلى اللغة العربية جامعة القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، لقاهرة، 5007م.

36: **الأصفهاني** ، أبو الفرج ، الأغاني ـ دار الفكر ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ـ تحقيق : سمير جابر ـ عدد الأجزاء : 24 .

37: **ابن وهب**، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري ، أبو محمد ، جمال الدين : التيجان، تحقيق: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية ـ الناشر: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء ـ الجمهورية العربية اليمنية ـ الطبعة: الأولى، 1347 هـ.

38: **الزبيدي**، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس ـعدة طبعات ـ.

39: **ابن عساكر**: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الأفريقي، مختصر تاريخ دمشق، المحقق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق ـ سوريا ـ الطبعة: الأولى، 1402 هـ ـ 1984م.

40: **العلامة الإمام علاء الدين** أبو عبدالله مُغْلطاي أبو عبد الرحمن عادل بن محمد ــ أبو محمد أسامة بن إبراهيم ــ : تهذيب الاكتمال: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ـ الطبعة: الأولى، 1422 هـ ـ 2001 م.

41: **المنقري**، نصر بن مزاحم: وقعة صفين، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت الطبعة الأولى1990 م.

42: **ابن الأثير**، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، المحقق: علي محمد معوض ـ عادل أحمد عبد الموجود ــ دار الكتب العلمية ـ 1415هـ ـ 1994م.

43: **ابن خلكان،** أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ـ المحقق: إحسان عباس ـ الناشر: دار صادر ـ بيروت.

44: **الطبري** : محمد بن جرير الطبري أبو جعفر: تاريخ الأمم والملوك ـ : دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ، 1407.

45: **ابن كثير** الدمشقي./ البداية والنهاية، حققه ودقق أصوله وعلق حواشيه علي شيري الجزء الثالث دار إحياء التراث العربي ـ الطبعة الأولى 1988 م.

46: **الدميري**، محمد بن موسى بن عيسى بن علي ، أبو البقاء، كمال الدين، حياة الحيوان الكبرى ـ دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الثانية، 1424 هـ.

47: : **القزويني**، زكريا بن محمد بن محمود ـ آثار البلاد وأخبار العباد ـ دار صادر ـ بيروت.

48 : **إحسان عباس** : شعر الخوارج ـ دار الثقافة 1974 ـ بيروت ـ لبنان.

49: **القرطبي**، محمد بن أحمد الأنصاري ، تفسير القرطبي ـ دار الفكر ـ عدة طبعات.

50: **السيوطي**، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين ، الدر المنثور ـ دار الفكر ـ بيروت ، 1993.

51: **الهمداني**، أبو محمد الحسن: الإكليل، تحقيق القاضي محمد بن علي الأكوع ، دار الحرية للطباعة ، بغداد، 1980م.

52: **الصفدي**، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله: الوافي بالوفيات ـ سلسلة : النشرات الإسلامية بإشراف جمعية المستشرقين الألمانية (طبع المجلد 1 عام : 1937 م ، و طبع المجلد 30 عام 2004 م ، وصدرت خلال سنة 2013م.

53: **ابن خيّاط**، خليفة العصفري أبو عمر، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق : د. أكرم ضياء العمري ـ دار القلم ، مؤسسة الرسالة ـ دمشق ، بيروت ـ الطبعة الثانية ، 1397.

54: **الربيعي،** فاضل، جبريل والنبي ـ دار الجداول، بيروت 2011.

55: **علي، د.جواد**، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ـ دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثانية الجزء الثالث 1980م .

56: **ابن كثير**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ـ تفسير القرآن العظيم المحقق : سامي بن محمد سلامة، الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة : الثانية 1420هـ ـ 1999 م.

57: **الصلوي،** إبراهيم محمد : نقش جديد من وادي ورور ، 1996م مجلة ريدان، كذلك، الصلوي، صنعاء، وزارة الثقافة، ريدان ع2 ، السنة 7/، 198م.

58: **بافقيه**، محمد عبد القادر ، بيستون، ألفريد ، روبان ، كريستيان ، الغول، محمود ، مختارات من النقوش اليمنية القديمة، المنظمة العربية للتربية والثقافة العلوم ، إدارة الثقافة، تونس **1985**.

59: **الطبراني**، سليمان بن أحمد أبو القاسم، معجم الطبراني : المعجم الكبير، المحقق: حمدي عبد المجيد السلفي ـ مكتبة ابن تيمية.

60: **ابن الضياء**، محمد بن أحمد بن الضياء محمد القرشي العمري المكي الحنفي، بهاء الدين : تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف ــ المحقق: علاء إبراهيم، أيمن نصر ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت / لبنان ـ الطبعة: الثانية، 1424هـ ـ 2004م.

61: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري: البداية والنهاية ـ دار الفكر ـ 1407 هـ ـ 1986 م.

62: آبادي، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي: دار الكتب العلمية ـ بيروت الطبعة: الثانية، 1415 هـ.

63: **أبو داود**، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي ـ سنن أبي داود/ عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته ــ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الطبعة: الثانية، 1415 هـ.

64: **الحلبي**، علي بن إبراهيم بن أحمد أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين ـ السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون)/ دار الكتب العلمية ـ بيروت/ الطبعة: الثانية ـ 1427هـ.

65: **الثعلبي**، النيسابورى، أحمد بن محمد بن إبراهيم /عرائس المجالس ــ قصص الأنبياء: طبعة مطبعة الحيدري ــ المتنبي

.1295

66: **ابن منظور** : لسان العرب : طبعات عدّة / بيروت.

67: **الزمخشري**، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر- المستقصى في أمثال العرب دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت/ الطبعة: الثانية 1987م.

68: **البيهقي**، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي ا، أبو بكر البيهقي: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الأولى - 1405هـ.

69: **الواقدي**: محمد بن عمر بن واقد السهمي أبو عبد الله: كتاب المغازي ـ تحقيق: مارسدن جونس ـ دار الأعلمي ـ بيروت - الطبعة: الثالثة - 1409هـ /1989م.

70: **قريبي**، إبراهيم بن إبراهيم: مرويات غزوة حنين وحصار الطائف ـ عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية - الطبعة: الأولى، 1412هـ.

الأجنبية

1 : Turchin, Peter and Jonathan M. Adams and Thomas D. Hall: "East-West Orientation of Historical Empires and Modern States", page 222. Journal of World-Systems Research, Vol. XII, No. II, 2006

2 : Francis Anfray. Les anciens ethiopiens. Paris: Armand Colin, 1991Carlo Conti Rossini. Storia d'Etiopia. Bergamo: Istituto Italiano d'Arti Grafiche, 1928.

Rodolfo Fattovich et al. The Aksum Archaeological Area:

a preliminary assessment. Naples: Istituto Universitario Orientale, 2000

3: APOLLODORUS, THE LIBRARY BOOK 2 - Theoi Classical Texts Library

"Volume: Hellas, Article: Greek Mythology". Encyclopaedia

كذلكThe Helios. 1952

Arabic theology, Arabic philosophy: from the many to the one, Richard M. Frank,James Edward Montgomery. p.60

4: The international standard for the representation of dates and times, ISO 8601, uses the Gregorian calendar. Section 3.2.1.

See Wikisource English translation of the (Latin) 1582 papal bull Inter gravissimas

5.: J. L. Berggren, Alexander Jones; Ptolemy's Geography By Ptolemy, Princeton University Press, 2001 ISBN 0-691-09259-1

: Naturalis Historia, 1669 edition, Natural History of Gaius Plinius

6: : Eduard Glasers Reise nach Marib (Eduard Glaser's journey to Ma'rib published in Vienna 1913,

ملحق النقوش

(من نقوش الحج والاعتراف في اليمن القديم)

CIH 533



RES 3945

text:

1 ʾmt{|}ʾbh tnẖyt w-tnḏ—
2 rn l-ḏ-S^{1}mwy bʿl Byn b-h—
3 n qrb-h mrʾ<m> ywm ṯlṯ |
4 ḥgtn w-hʾ ḥyḍ<m> w-ms^{2}y w-l—
5 m yġts^{1}l w-ʿwdt mrʾ<m> w-h—
6 [... ...]

translation:

1 ʾmt ʾbh confessed and did penance
2 to ḏ-S^{1}mwy, Master of Byn, because
3 a man approached her sexually in the third day of the
4 pilgrimage, when she was having her period, and then he went away and
5 he did not wash himself; and (because) she (?) a man and
6 [... ...]

الترجمة العربية

1: أمة (عبد) والدها ، أقرّت واعترفت وقدّمت الكفارة

2: للإله السيّد ذي سموي(إله السماء)

3: لأن رجلاً ضاجعها في اليوم الثالث من

4: الحج عندما كانت مُحرمة ثم تركها

5: ولم تتمكن من أن تتطهرّ

6: ولهذا فهي والرجل (......)

Res 4176



Text:

1 b-ḥg d̲n mḥrn hḥr Tʾlb Rym Yrẖm s^{2}ʿb-hw S^{1}mʿy b-kn s^{1}tyfʿ b-ẖrf ʾws^{1}ʾl bn Yhs^{3}ḥm l-k-d̲ ʾl yʿṭnn S^{1}mʿ b-d̲-ʾbhy bn hḥḍrn ʾlmq—
2 h ʿdy Mrb w-l-k-d̲ ḥẓr Tʾlb qs^{1}dm bn ḍbḥ b-bḍʿ-hw w-l-k-d̲ ḥẓr Tʾlb Rḥbtm bn ẓlf qnwym ywmy Trʿt w-Ẓbyn w-s^{1}rn ns^{1}r-n Nws^{2}m ((Nws^{2}m))b-ʿmd |
3 ʿdy Rḥb w-ʾṭmt ywm Trʿt w-Ẓbyn w-hwṣt Tʾlb ywm ḥgr s^{1}rn l-ġrḍ b-hw w-yġrḍw S^{1}mʿ b-s^{1}rn b-ḥg mwṣt Tʾlb s^{1}bʿ mʾt qnym b-ʾḥ̲d |
4 ywmm w-l-k-d̲ l-yqny Tʾlb bʿl Trʿt ʿs^{2}r Ġlẓ w-Nḍḥt w-Brrn w-Mnẖdm d̲-Mnydʿ w-ʿs^{2}r Ḍrʿm w-ʿs^{2}r m[ḥ]mytn d̲-rtʿ mṣyḥm((Mṣyḥm)) ʿdy l-yrtʿ s^{3}dn Hgr w-mdy-
5 h w-qwlnhn d̲-Yhybb w-d̲ Md̲nḥn w-mnṣftn l-ykwnw b-ʿly mbʿl Tʾlb w-d̲ yġln bn mbʿl Tʾlb l-ytʿlmn Tʾlb brt̲-hw w-l-k-d̲ ḥẓr Tʾlb s^1—
6 ʾr ʾrwyn bn ns^{3}g bn mṣrn k-s^{1}tnḥṣn b-ns^{1}lm w-ḥẓr Tʾlb ẖlfn d̲-Mḥrmm w-Rydn w-Mnttm bn hwḍʾn ʾs^{3}rm

ḏ-ys^{1}tʿḏbn k-ḥrmw w-ʾl s^{3}n S^{1}mʿy h—

7 ẖbn ṣd Tʾlb w-ḥẓr ʿlb bn ẖṭl ʾnṯt b-ywm s^{1}bʿ ḏ-Ṣrr l-tfr qs^{1}d Tʾlb ʿdy Ṯmt w-ʿdy ʾtmn w-hṣr b-ḥrmt ʾtmn w-ns^{2}ʾ ḏ-Mḏnḥn qs^{1}dn w-l-k-

8 ḏ l-yfʿl Tʾlb b-ʿs^{2}r ʾlm w-bn Hmdn ʾlmn b-ẖrf w-ḏ-Yhybb-w-ḏ-Mḏnḥn ṯny-b-ẖrf w-kwn-mrtʿ ʾlmn ẖms^{1}t b-ʾẖd-ẖrf ym Trʿt w-l-k-ḏ l-y—

9 tʿlmn ʿṯtr w-ʾlʾlt b-Yhrq ḏ-ydkṯn tḥrm k-ḥrm w-l-k-ḏ s^{2}m Tʾlb Yhybb ʾḥd-fqḥm w-Mḏnḥn w-Yrs^{1}m ʾḥd l-ṭbb mṣt ʾlmqh

10 w-Tʾlb w-l-k-ḏ ḥẓr Tʾlb Rḥbtm bn kl-tʾby ym Trʿt w-ḥẓrn-h nfs^{1}m w-l-k-ḏ l-yʾt ʿs^{2}r ʾbs^{1}mʿ w-fql Ḥrmt w-S^{2}db w-ʾbln w-Mhns^{2}y-w-S^{1}mrt

11 w-Ḏmḥṭ w-Mdmmn w-Qḥrt w-ʾtwt l-yʾt ʿdy ʾtwt w-Rymt w-ʿs^{2}r Ḍrʿ w-Mḥmtn w-S^{1}rn w-Mnẖd w-fql Gḥfl l-yʾt ʿdy Ẓbyn w-ḥg qny—

12 n ḏbḥ-hw ((ḏ-bḥ-hw)) ṯny ʾs^{1}n w-tʾl ((w-Tʾl<b>)) w-l-yhrdʾ mrʾ ʾrbbw S^{1}mʿy w-mʾtn dʿt w-mḥr ʾrs^{2}wt Trʿt w-Ẓbyn ʿs^{2}rt ẖrfn w-ʿqb w-s^{1}ẖmm l-yrtʿ ḏ-ʾḥdq—

13 {ḥ}n l-Rḥbt w-htq b-hwfyn b-ḥg-ḏn-mḥrn ym Trʿt ẖrf w-dṯʾ w-ʾs^{1}rr w-ʾṯmr b-ʿs^{2}r ḏ-ʾgby ʿln-ḥgr Tʾlb ʾs^{3}wr-hw w-mrḍ ṯlṯ l-qs^{3}m

14 ʾqwl w-ms^{3}wd w-qs^{1}d s^{2}ʿbn S^{1}mʿy hgddw w-hʿzz mḥr hḥr l-hmw s^{2}ym-hmw T—

15 ʾlb bʿl Trʿt ʿdy ḏn ẓrn |

Translation: 1 In accordance with this decree, Tʾlb Rym Yrẖm has ordained to His tribe S^{1}mʿy when He declared His will in the year of ʾws^{1}ʾl, of the family Yhs^{3}ḥm: that S^{1}mʿy should not neglect in the month of ʾbhy to make a pilgrimage to ʾlmqh

2 in Mrb, and that Tʾlb has forbidden the pilgrims to make trouble (?) in His territory and that Tʾlb has forbidden (the territory of) Rḥbtm to be grazed by livestock on the two days of Trʿt and Ẓbyn as well as the valley from (or: on the

authority of) Nws²m, directly
3 towards Rḥb and ʾṭmt, on the day of Trʿt and Ẓbyn. And Tʾlb has decreed, when the valley was reserved, to slaughter there - and S¹mʿ will slaughter in the valley - according to the decree of Tʾlb, seven hundred small animals in one
4 day; and that Tʾlb, Lord of Trʿt, will receive the tithes of Ġlẓ, Nḍḥt, Brrn and Mnẖdm ḏ-Mnydʿ, and the tihes of Ḍrʿm, and the tithes of the irrigated field which runs alongside the canalization (or: Mṣyḥm) until the latter reaches the barrage Hgr and its
5 two overflow channels. And the two qwl of Yhybb and Mḏnḥn and the (temple) officials shall control the property of Tʾlb, and anyone who fraudulently appropriates (something) from the property of Tʿlb, shall be denounced to Tʾlb forthwith; and that Tʾlb has forbidden
6 capturing the remants of the female ibexes by the mṣr, when they are pregnants with offspring. And Tʾlb has forbidden the inhabitants of ḏ-Mḥrmm, Rymn and Mnttm to lead herds, that can cause damage, since (these territories) are in the sacral state. And S¹mʿy are not allowed
7 to neglect the hunt of Tʾlb. And that He has forbidden that (those of) ʾlb have sexual intercourse with women on the seventh day of (tho month) ḏ-Ṣrr, while the pilgrims of Tʾlb make the vistation at Ṯmt and at ʾtmn and stay in the sanctuary of ʾtmn until he (the qyl) of Mḏnḥn dismisses the pilgrims. And that
8 Tʾlb will provide with the tithes - from Ḥmdn the sigle banquest in a year and from (each of) Yhybb and of Mḏnḥn two (banquests) in a year; so that the total of the banquests is five in one year, (to be held) in the day of Trʿt. And that ʿṯtr and the gods in Yhrq shall
9 be notified of anyone who violates the ritual prohibition while in the sacral state. And that Tʾlb has appointed for Yhybb one arbitrator, and for Mḏnḥn and Yrs¹m one, for proclaming the decree of ʾlmqh
10 and Tʾlb. And that Tʾlb has prohibited Rḥbtm from any fighting among themselves on the day of Trʿt and has

prohibited disputes there. And that the tithes of ʾbs^{1}mʿ and the firstfruits of Ḥrmt, S^{2}db, ʾbln, Mhns^{2}y, S^{1}mrt,
11 Ḏmḥṭ, Mdmmn, Qḥrt and ʾtwt shall be brought into ʾtwt and Rymt; and the tithes of Ḍrʿ, Mḥmtn, S^{1}rn and Mnḫd, and the firstfruits of Gḥfl shall be brought into Ẓbyn and in regarding the cattle,
12 two men should free them; and furthermore the master of dependents of S^{1}mʿy and of the places shall enforce the proclamation and the decree of the priests of Trʿt and Ẓbyn for ten years (or: and Tʾlb should aid ...). And subsequent dispute is to be adjusted by him of Ḥdqn
13 for Rḥbt; and the execution of this edict according to this is guaranteed on the day of Trʿt, autumn and spring. And the valley (agricultural produce) and crops, which are with the tithes in the third decade (of the month) on the basis of the reserve, which Tʾlb separated for His part and one third is granted for the share
14 of the ʾqwl, of the tribal council and of the pilgrims of the tribe of S^{1}mʿy. They have validated and put into effect the edict promulgated for them by their Patron Tʾlb,
15 Lord of Trʿt, on this rock.

translation:

1 Of that Krbʾl Wtr, son of Ḏmrʿly, mkrb of Sabaʾ, transferred the possession, during his reign, to ʾlmqh and to Sabaʾ, when he settled the entire community, that of the god, of the patron, that of the territory, of the people. He made three (3) sacrifices in honour of ʿṯtr and carried out a ritual to Hwbs^1; organized the sacred banquet for ʿṯtr and offered a burnt sacrifice in Trḥ and presented dress to ʿṯtr and Hwbs^1. And then, when he held the tribal assembly of Saba', so that they might gather (under his leadership) and succeeded in their calls to arms, unanimous in doing what was right
2 so that every man acted to safeguard its property. And

then, when he fulfilled his duty towards ʿṯtr and ʾlmqh, according their will, so that he might water (bring again waters of) his fertile plain Rymn and he might arrange (it) anal by canal and field by field; he protected his canal ʿhl up to Mʾwdn (or up to the boundary) in order that it might not flow out uncontrolled toward the two plains and toward ʿrʾn, and he watered (brought again water flow of) the protected territory Mwtrm, which received its irrigation from Hwdym. He took possession of Ḥṣṣm and Ṯʿrtm, the plain of Mydʿm, and all the land irrigated by the water flood of (the channels) Wtr and
3 Wqh; and by the order of Krbʾl the water flood of Wtr and Wqh flowed and were collected. And then, when he broke S¹ʿdm and burned Nqbtm and all the cities of Mʿfrn and took possession of Ẓbr and Ẓlmm and ʾrwy and burned all of their cities and killed three thousand (3,000) and took prisoner eight thousand (8,000) and doubled their tribute and required of them, in addition to their tribute, livestock of large and small size of which they remained indebted in addition to their
4 tribute. He broke Ḏbḥn of Qs²rm and S²rgb and burned their cities and took possession of their mountain ʿs¹mt and their irrigated land Ṣyr for ʾlmqh and for Sabaʾ. And then, when he broke Awsān and massacred sixteen thousand (16,000) and took prisoner forty thousand (40,000) and sacked Ws¹r from Lgʾtm to Ḥmn and burned all the cities of ʾnfm and burned all the cities of Ḥbn and Ḏyb
5 and sacked their fertile plains and sacked Ns¹m, the irrigated plain of Rs²ʾy, and Grdn and broke (Awsān) in the Dtnt and burned its cities and broke Tfḍ and destroyed it and burned it and sacked its irrigated plains and completely broke (the resistance of Awsān) until he reached the sea and burned all the cities, that were on the sea, and he broke it (Awsān) in Ws¹r until he had completely put to rout Awsān and Mrtʿm, its king, and demanded from him the heads of the council of Awsān for S¹mht and demanded them from him, in death
6 and slavery. He carried away the looting of his palace

Ms^{1}wr and removed all the inscriptions, which Krbʾl in person had demanded, from his palace Ms^{1}wr and the inscriptions of the temples of the gods and [… …] the palace Ms^{1}wr and he brought together the children of ʾlmqh and the people, its free men and its slaves from the territories of Awsān and from its cities and assigned to ʾlmqh and to Sabaʾ S^{1}rm and its territories and Ḥmdn and its territories; he walled the
7 cities of S^{1}rm and cultivated its plains and colonized it with Sabaeans. And then, when he broke Dhs^{1}m and Tbny and killed two thousand (2,000) of them and took five thousand (5,000) of them prisoner and burned their cities [… …] Dhs^{1}m and condemned to complete destruction the mountain [… …] and assigned Dhs^{1}m and Tbny and the Dtnt to ʾlmqh and to Sabaʾ and assigned ʿwdm to the king of Dhs^{1}m,
8 he demanded the children of ʿwdm and their property from Awsān, in that he (the king of Dhs^{1}m) had been allied with ʾlmqh and Sabaʾ; he assigned the spoils of war of Y[… …] all its territory and ʾnfm and its cities and its fertile plains and its mountains and its valleys and its pastures, with full ownership rights, and Ns^{1}m and Rs^{2}ʾy and Grdn as far as Fẖd ʾlw and the ʿrmw of Kḥd and
9 S^{1}ybn and its territory and its cities of ʾṯ and Myfʿ and Rṯḥm and all the territory of ʿbdn and its cities, its valley, its mountain, and its pasture and the men of ʿAbadan, free citizens and slaves, with full ownership rights, [… …] the Dtnt ʾḥlfw and Mys^{1}rm and the Dtnt of Ṯbrm and Ḥrṯw and all the cities (of the two regions) and their valleys
10 and their territories, their plains, their mountains, and their pastures, with full ownership rights, and all the qs^{1}ṭ of the vassals of Ṯbrm and their sons and their property extending down to the sea [… …] and its territories and its plains and its mountain and its valley and its pastures, with full ownership rights, and all the cities and the territories that extend around the territory of Tfḍ toward Dhs^{1}m and those that are on the sea and all the coastal region of those territories and all the territory of Ylʾy and S^{2}yʿn

11 and ʿbrt and Lbnt, all their cities, their fields, their pastures, and their valleys and their mountains, with full ownership rights, and all that Mrtʿm and his men possessed in Dhs^{1}m and in Tbny and assigned Yzḥm and its qs^{1}ṭ and ʾnm , its territory, its mountains, its valleys and its pastures to ʾlmqh and to Sabaʾ. He took possession of Kḥd of Ḥḍnm, its qs^{1}ṭ and its ʾnm and [assigned] to all of those who were allies of Krbʾl

12 [confiscating them] from [... …] with full ownership rights, for ʾlmqh and Sabaʾ. And Krbʾl took possession of all the qs^{1}ṭ of Kḥt, its free men and its slaves and their children and their property and all the men and the [……] of Ylʾy and S^{2}yʿn and ʿbrt and their children and their property, with full ownership rights, for ʾlmqh and Sabaʾ. He assigned to S^{1}yn and to Ḥwl and to Ydʿʾl and to Ḥaḍramawt its territories, (taking them away) from the dominion of Awsān and assigned

13 the territories of ʿmm and ʾnby, therefore Wrwʾl and Qatabān were (free) from the dominion of Awsān, since Ḥaḍramawt and Qatabān had been allies of ʾlmqh and of Krbʾl and of Sabaʾ. And then, when he broke Kḥd of S^{1}wṭm, since they had initiated the hostilities with the killing of Lzwm and violence was wreaked upon those under the protection of Krbʾl; he killed five hundred (500) of them and took prisoner one thousand (1,000) of their children and struck two thousand (2,000) among the ʾnm and took booty and took possession of all

14 their livestock and their property (or: large and small-sized livestock). And then, when he broke Ns^{2}n and burned its cities and devastated ʿs^{2}r and Byḥn and all of their irrigated plains in an expedition. And then, when he made a second expedition (during which) he was constructing a wall with which Ns^{2}n and Ns^{2}qm were besieged as commanded by ʿṯtr for three years (3) and he took possession of Ns^{2}n and its territory for ʾlmqh and for Sabaʾ and he killed one thousand (1,000) Nashshanities and put to rout S^{1}mhyfʿ and Ns^{2}n and assigned the territories,

15 which the king of Sabaʾ had already conceded to him for ʾlmqh and Sabaʾ. He took possession of the cities of Qwm and Gwʿl and Dwrm and Fḏm and S^{2}bm and the cities of ʾykm, everything that S^{1}mhyfʿ and Ns^{2}n possessed in ʾykm and he took possession in its territory, from the extension of the borders to the border of Mnhytm, for ʾlmqh and for Sabaʾ. He took possession of the fields of Ẓlm and of the fields of Ḥmrt and he confiscated the irrigated territory of the king of Ns^{2}n and of Ns^{2}n, depriving it of the waters of Mḏb and demolished the walls of his city of Ns^{2}n until he eradicated it
16 and the city of Ns^{2}n he condemned to complete destruction by fire and required of him the pillaging of his palace ʿfrw and the pillaging of his city of Ns^{2}n. He imposed on Ns^{2}n a tax, (a tax) on the priests, and requested from Ns^{2}n those, whose fate had been decided by the gods and were killed; he constrained S^{1}mhyfʿ and Ns^{2}n to allow the Sabaeans to be settled in the city of Ns^{2}n and forced S^{1}mhyfʿ and Ns^{2}n to construct the temple to ʾlmqh in the centre of the city of Ns^{2}n. He took possession of the waters of Qfʿn, (cutting them off) from
17 S^{1}mhyfʿ and Ns^{2}n and [the waters] were entrusted to Yḏmrmlk, king of Hrmm, and he took possession to the detriment of S^{1}mhyfʿ and Ns^{2}n of the irrigation system that of Mlkwqh and entrusted to Nbṭʿly king of Kmnhw and to Kmnhw the irrigation system that of Mlkwqh from the borders fixed by Krbʾl and walled Ns^{2}qm and colonized it with Sabeans for ʾlmqh and for Sabaʾ. And then, when he overthrew Ydhn and Gzbt and ʿrbm and imposed on them a tribute for ʾlmqh and Sabaʾ.
18 And then, when he broke S^{1}bl and Hrm and Fnnn and took possession of all their irrigated lands and burned the cities of S^{1}bl and the cities of Hrm and the cities of Fnnn and killed three thousand (3,000) of them and killed their kings and took prisoner five thousand (5,000) of them and seized fifteen thousand (15,000) of their livestock and imposed upon them a tribute for ʾlmqh and Sabaʾ. With a vengeance he avenged the free men of Sabaʾ and Ḍhr, who were under the

protection of Krbʾl,
19 who had been killed . And he broke Mhʾmrm and ʾmr and all the tribes of Mhʾmrm and ʿwhbn and killed five thousand (5000) of them and took prisoner twelve thousand (12,000) of their children, and took as booty their livestock, two hundred thousand (200,000) among (them) camels and cattle and asses and small animals and burned all the cities of Mhʾmrm and took possession of Yfʿt and sacked it and Krbʾl took possession of
20 some irrigated plains of Mhʾmrm in Najran and imposed on Mhʾmrm a tribute for ʾlmqh and Sabaʾ.